

عرس فرغانة

رواية تاريخية غرامية

في الحلقة الثانية عشرة من روايات تاريخ الإسلام

تضمّن وصف الدولة العباسية في عهد المعتصم بالله (سنة ٢١٨ -

٢٢٧هـ) ويقام الفرس لارجاع دولتهم بالسيف ونهوض الروم

لاكتساح المملكة الإسلامية وتشغيل ذلك وصف

آداب الإنزال وعاداتهم في أقصى بلادهم ووصف سامراً

عاصمة المعتصم وواقعة البذ في حرب بابل وواقعة

عموريا في حرب الروم وغير ذلك

—
—

تأليف

بهرجي زيدان

منشـيـة الـلـالـلـ

—
—
—

طبع بطبعة الـلـالـلـ بـالـجـاهـلـةـ بـصـرـسـنةـ ١٩٠٨ـ

هذه هي الحلقة الثانية عشرة من روايات تاريخ الاسلام وهي آخر كلامنا في الدولة العباسية في ابان مجدها لانها أخذت من عهد المعتصم وما بعده بالتفرع والشعب وانتقلت السلطة السياسية الى امارتها في خراسان وفارس والشام ومصر والمغرب وغيرها وبقيت لها السيادة الدينية فتشتري من الحلقة الثالثة عشرة في وصف حال ام تلث الفروع ونبأً بدولاً بني طلوبون بصر ان شاء الله ويزيدنا نشاطاً في هذا العمل ارتياح القراء لطالعة هذه الروايات مع ما فيها من الفوائد التاريخية الاسلامية وما حوطه من آداب المسلمين وعادات الام التي احكوا بها في ابان دولتهم حتى طبع كثیرها غير مررة وقد وقع اسلوبها وفماحسننا عند الادباء وارباب الاقلام من المسلمين غير العرب في الهند وفارس وتركستان وسائر الشرق الاسلامي فأخذنا في تقليلها الى لغاتهم . ومنهم من أخذ في نقل السلسلة كلها بالتابع من فتاوى غسان فايها ومنهم من نقل منها روايات متفرقة . فالذين اخذوا في نقل السلسلة كلها هم :

اولاً - فهو البرنس عبد الحسين مرزا نقلها الى الفارسية وزين بعضها بالرسوم

وقد نشرت في طهران وجاءنا أمثلة منها

ثانياً - الشيخ غلام محمد ملشى ، جريدة وكيل الهندية في امر تسار بالهند أوعز الى المولوي محمد حليم الانصاري . فأأخذ في نقلها الى اللغة الهندستانية (الاوردية) وقد ظهر منها عدة حلقات مطبوعة في متابعة وكيل المشار إليها وعندها نسخ منها

ثالثاً - السيد محمد كريم قاضي المسلمين في باكستان أخذ في ترجمة رواية عذراء قريش وكتاب يقول فيه « كنت عازماً على تأليف تاريخ الاسلام في اللغة التركية الاذرية بمحاجة التي هي لغة ابناء وطني خدمة لهم . فلما اطلعت على رواياتكم القرامية في تاريخ

الاسلام عزمت على نقلها الى اللغة المذكورة واكتفيت بهامن التأليف المخصوصة
..... فشرعت بعذراء قريش وسائلق بعدها ١٧ رمضان ففادة كربلاء اما
ارمانوسه فهي تحت الترجمة . وما اطاع على حسن اسلوب الروايات وكثرة فائدتها
رجل القوقاس محبى المعرفة والعلوم الحاج زبن العابدين نقى اوف قبل ان يطبع
هذه السلسلة على نفقته . وقد تم طبع عذراء قريش بمحمد الله وارسانها اليم
ومتى ظهر غيرها ارسلناه في حينه .. والطبعة المشار إليها في غاية الاقان على
ورق صقيل وحرف واضح

اما الذين نقلوا حلقات متفرقة من هذه السلسلة او غيرها من روایاتنا
فنهن خليل افندى يدرس بدمشق والمستشرق فلاديمير دانييلوف في موسكو نقل
الملوك الشارد الى الروسية نقلين . وفرانس افندى شهاب بيرسيين نقل اسير
المتمهدى الى الفرنساوية . وقسطنطين افندى ثابت في بيروت نقل فتاة غسان
الى الانكليزية ومس هيسك في الناصرة نقلت عذراء قريش الى الانكليزية .
وميرزا جمیر بن علي اکبر في تبریز نقل ابو مسلم الخراسانى الى الفارسية غير نقل
البرنس عبد الحسين . واكثر هذه الترجمات تحت الطبع . ومنها ترجمة فتاة
غسان الى لغة هندية لم نقدر على قراءة كلها منها لانها مكتوبة بالقلم الهندي
الشائع في سيلان وستقاوره وهو يخالف الاقلام المعروفة عندنا ولللغة اسمها
«الارديدية» . وقد بعث اليانا نسخة من هذه الترجمة حضرة السيد محمد بن
سالم الكلالي في ستقاوره واخبرنا ان مترجمها هو الشيخ احمد غني مریک من
سكان ناقور . وكتب اليانا السيد جلال الدين من كراپور الهند يستاذن في
ترجمة روايتي الامين والمؤمن وجihad الحسين الى اللغة الهندستانية (الاوردية)
هذه هي الترجمات التي بلغنا خبرها ولم نلقي ترجمات لم نعلم بها الات
بعضهم لا يرى استاذان المؤلف لازماً . وفي كل حال فانا شكر لحسن ما
المترجمين والناشرين ونرجو ان نوفق الى اقام هذه السلسلة وبالله نستعين

الفصل الأول

فرغانة

في مدينة كبيرة كانت عاصمة كورة فرغانة وكان الفرس يستوتها «اختيكت» واقعة على شفاف نهر جيجون على حدود تركستان والعرب يسمونه «نهر الشاش والافريخ يسمونه» نهريكارت والاتراك يسمونه سرداريا . وبيننا وبين فرغانة بعد شاسع مسافة بضعة اشهر فإذا أراد احدنا ان يسافر الى شفاف جيجون اتفق له ان يسير شرقاً فيقطع الشام فالعراق ففارس نغراسان . ويعبر نهر جيجون ويختلف بخارا وسرقند واشر وسنة فيصل الى شفاف جيجون او نهر الشاش بعد ان يهدأ الجبال والصحابي والسبول والأودية ويرى في طريقه بين «جيجون» و«جيجون» اماماً شقي مختلف لغة وطبيعة وديانتها تاهيلك بالماواز التي يسر سلوكها لوعرتها وكثرة قطاع الارق فيها وآكلتهم من يدو التركان وهم اهل خشونة وسلو فالعرب لما قاموا للفتح بعد الاسلام فتحوا الشام وال العراق ومصر وفارس في بعض عشرة سنة لكنهم لم يستطعوا الوصول الى فرغانة الا في اواخر القرن الاول الميلادي لفتها قبیبة بن سلم فاتح تركستان سنة ٩٦ هـ^(١) ولم يستمروا فيها او يقيموا فيها الا بعد ذلك باعوام عديدة . وكانت تابعة لولاية خراسان بحادية الجزبة واظراج

ورغم ما تقدم ذكره من المفاوز والجبال في الطريق الى فرغانة كان المسافر يتهي بعد تلك الاخطار الى نهر جيجون فيقطعه الى مدينة فرغانة على ضفته اليمن او الشرقي فيري لها الاسواق والابنية والقصور وحوطها الاسوار والابواب وخارجها الارباض والبساتين على شفاف ذلك النهر المبارك في ارض مستوية مساحتها ثلاثة فراسخ . وفي شمالها جبل ومر على مسافة ميل منها . وفي وسطها قلعة عقية يقال لها في اصطلاح الفرس فهندذ على عادة ابنيه ذلك المعر تعتصم بها حامية المدينة عند الحاجة . بنيت بناء مبنينا بالاجبار الخصبة وسائل ابانية المدينة من الطين . حوطا سور له اربعة ابواب وحول هذا السور ارباض حوطا سور ثان بابوا ويتخلل المدينة والارباض مياه جارية وحياض كبيرة . وكل باب من ابواب الارباض ينبع الى بساتين مختلفة ونهر جاري لا يقطع مقدار فرع من لاصالها بالنهر .

(١) ابن الأثير ٢٧٩ ج ٤

فعي من ازره بلاد تركستان او ما وراء النهر^(١)
وكان سكان فرغانة عند الفتح الاسلامي اخلاقاً من اهل البلاد الاصليين الذين
يسمونهم « طاجية » وجاءات من جالية الهند والصين والترك . والطبقة الراقية ذوي جباه
القرس وقد كانوا ارقى المشارق في ذلك العصر فكانت لهم الرئاسة والسيامية والفنون
الادبي والديني لانهم كانوا ينقولون معهم ثديهم حيثما حلووا وديفهم الجبوسية ولغتهم اليهودية
(الفارسية القديمة) وكانت اليهودية لغة الطبقة الراقية في الشرق الاقصى كما هو شأن الفن
التاريسية الحديثة الان . وكانت لغة اهل فرغانة الاصليين التركية القديمة المعروفة بالشاعطاني
وكان على فرغانة عند الفتح امراء او ملوك يعرفون بـ لقب خاص بهم يسمى احمد
« اخشد » كـ يسمى ملك الحبشة بخاشي وملك الروم قيسر وملك القرس كسرى . وكان
الاخشيد كثير بن يتولون اجزاء كورة فرغانة . فـ دخلت في حوزة المسلمين والتحقوا بـ اداره
خراسان لم تبق حاجة لبقاء ملوكها ولم يتمزضهم السلاطون في دينهم او عادتهم او ثيـ من
احوالهم فـ نـزـحـ بـ عـصـمـهـ الى قـلـبـ الـمـلـكـةـ الـاسـلـامـيـةـ فـيـ الـعـرـاقـ وـتـقـرـبـواـ مـنـ بـلـاطـ اـللـهـ
وخدمـوـمـ وـاعـتـقـلـوـ اـلـاسـلـامـ وـتـوـلـوـ اـلـاعـالـ وـاـشـهـرـمـ الـاخـشـيدـ طـغـيـ بنـ جـفـ صـاحـبـ مـهـرـ
وـظـلـ اـخـرـوـنـ فـيـ بـلـادـ يـمـتـعـنـ بـالـكـيـنـةـ وـالـبـيـشـ المـذـيـ خـتـ ظـلـ الـسـلـيـنـ

الفصل الثاني

عيد التبروز

أصبح أهل فرغانة في صباح يوم من أيام سنة ٢٢١ الهجرة وهو يتابعون للاحتلال
بالـتـبـرـوزـ (ـرأـسـ الـسـنـةـ)ـ وـقـدـ أـحـذـواـ بـاقـامـةـ مـعـالـمـ الـرـيـنةـ فـتـصـبـواـ الـاعـلامـ الـملـوـنةـ فـوـقـ مـنـازـلـهمـ
وـعـلـقـواـ طـلـاقـاتـ الـرـيـاحـينـ عـلـىـ اـبـوـاهـمـ .ـ وـنـقـاطـرـواـ إـلـىـ اـلـاسـوـاقـ يـتـابـعـونـ الـأـلـبـسـ الـجـدـيـدةـ
لـأـلـادـمـ وـيـحـمـلـونـ اـطـبـاقـ الـحـلـوـيـ إـلـىـ اـهـالـيـمـ فـيـتـابـعـونـ مـنـ الـمـاـكـلـ مـقـادـيرـ تـكـفيـ
لـكـلـ اـيـامـ العـيـدـ وـهيـ مـسـتـةـ .ـ وـلـوـ دـخـلـتـ الـمـاـزـالـ لـرـأـيـتـ السـاـقـانـ قـدـ اـوـقـدـنـ التـبـرـانـ لـاـعـدـادـ الـأـطـعـمـ
وـالـحـلـوـيـ وـاحـمـيـنـ الـحـمـامـاتـ الـلـاـغـتـالـ وـرـأـيـتـ الـجـوارـيـ يـشـتـغلـونـ بـقـدـيمـ الـأـلـادـ وـالـغـلـغـلـ وـعـيـنـ اـرـغـنـةـ
الـعـيـدـ .ـ وـهـيـ اـرـغـنـةـ كـانـ يـصـنـعـهـ الـفـرسـ فـيـ ذـلـكـ الـيـومـ مـنـ حـنـطةـ الـسـنـةـ الـجـدـيـدةـ يـمـتـعـنـونـ فـيـ

(١) مـجـمـعـ يـاقـوتـ جـ ١

صباح العيد باقتـامها وينتـالون باكلها استبـشاراً يخـصب ذلك السنة وكانوا يـتمـامون في ذلك اليوم بالقدـر الجـديدة ويـتهـدون الجـبوب الجـديدة على اطـلاق من النـفـحة وخـوفـها ويتـرامـون بالـيفـنـ او الـاثـمارـ . وكانت الاسـواقـ في ذلك الصـباـحـ غـاصـةـ بالـمـلـارـةـ منـ الرـجـالـ والـأـلـادـ هـذاـ يـحـملـ قـفةـ وـذاـكـ يـنـقلـ سـلـةـ وـذاـكـ يـسـوقـ حـارـاـ اوـ فـرـساـ يـتـسابـقـونـ الىـ المـازـلـ اوـ الىـ بـيـتـ النـارـ يـحـملـنـ المـدـاـيـاـ لـأـلـادـهـمـ اوـ لـلـوـيـذـانـ كـهـانـ الجـبـوسـ وقدـ نـسـاـكـ مـنـ كـهـيمـ وـنـصـادـمـتـ اـقـادـهـمـ وـلوـ صـعـدـتـ الىـ القـلـعـةـ الـكـبـيرـ (ـالـقـنـدـزـ)ـ القـائـمـ فـيـ وـسـطـ الـمـدـنـةـ وـاـشـرـفـ مـنـ سـطـلـهاـ عـلـ اـطـرافـ فـرـغـانـةـ لـأـيـهـاـ اـشـبـهـ بـخـارـطـةـ مـوـسـومـةـ عـلـيـ وـرـقـ اوـ صـورـةـ مـلـوـنةـ يـمـدـقـ بـالـقـلـعـةـ بـيـوـتـ النـاسـ الـبـنـيةـ بـالـطـيـنـ اـكـثـرـهـاـ طـبـقـةـ وـاحـدـةـ الـأـلـاثـةـ اـبـيـةـ :ـ اـولـاـ القـلـعـةـ فـيـ وـسـطـ الـمـدـنـةـ وـاـكـافـيـ بـيـتـ النـارـ وـهـوـ الـمـيـكـلـ الـذـيـ يـتـبعـدـ فـيـ سـيـرـ الجـبـوسـ وـكـانـ الجـبـوسـيـةـ لـأـزـرـالـ مـتـغـلـبةـ هـذاـكـ .ـ وـقـيـ فـرـغـانـةـ بـيـتـ (ـالـنـارـ اـسـمـهـ)ـ كـارـشـانـ شـاهـ (ـ١ـ)ـ رـفـعـ العـادـ يـنـاطـعـ السـحـابـ يـظـرـ بـأـرـزاـ بـيـنـ اـبـيـةـ الـمـدـنـةـ كـالـخـلـةـ بـيـنـ الرـيـاحـينـ وـقـدـ نـسـبـوـاـ حـولـ سـطـلـهاـ اـكـثـرـهـاـ خـفـرـاءـ الـلـوـنـ .ـ وـالـثـالـثـ بـيـتـ لـرـيـزـانـ سـيـاـنـ ذـكـرـهـ (ـالـمـازـبـةـ حـكـمـ المـقـاطـعـاتـ عـلـ اـيـامـ الـأـكـسـرـةـ)ـ تـكـنـيقـهـ حـدـيـقـةـ فـيـهـاـ مـنـ كـلـ فـاكـهـةـ زـيـجـانـ .ـ وـلـوـ اـطـلـقـتـ بـصـرـكـ اـلـىـ ماـ وـرـاـ سـورـ الـمـدـنـةـ عـلـ الـأـرـبـاضـ وـمـاـ وـرـاـهـاـ لـرـايـتـ الـأـغـرـاسـ وـالـأـعـدـابـ وـالـرـيـاحـينـ نـقـلـلـاـ جـيـاريـ الـلـاءـ وـلـنـقـنـ عـلـ اـخـانـهـاـ الـأـطـيـارـ

وـأـهـلـ الـمـدـنـةـ فـيـ ذـاكـ الـاحـتـفالـ وـإـذـاـ يـوـكـ جـيلـ زـاهـيـمـ فـيـ اـسـواقـ حقـ شـغـلـمـ عـمـاـ مـفـيـهـ لـخـاتـمـ وـغـرـابـهـ .ـ وـهـوـ عـبـارـةـ عنـ مـرـكـبـةـ كـبـيرـهـ اـشـبـهـ بـالـغـرـفـةـ مـنـهـاـ بـالـعـرـبـةـ فـوـقـهاـ قـيـةـ مـنـ النـفـحةـ الـمـوـهـةـ بـالـتـهـبـ قـائـمـةـ عـلـ اـعـمـدةـ مـنـ الـخـشـبـ الـمـلـوـنـ يـنـهـاـ سـتـائـرـ مـنـ الـدـيـاجـ الـأـزـرـقـ يـمـيـرـهـاـ فـرـسانـ مـيـلـلـانـ بـأـنـوـاـبـ الـمـوـرـيـرـ الـمـزـرـكـشـ وـمـائـقـ الـعـرـبـةـ رـاـكـ عـلـ اـحدـ الـفـرسـينـ وـفـيـ يـدـهـ سـوـطـ يـسـوـلـهـاـ بـهـ وـعـودـ كـبـيرـ يـصـوـبـهـاـ بـهـ إـذـاـ عـاجـاـنـ التـصـدـ .ـ وـيـكتـفـ لـلـرـكـبـةـ بـضـعـةـ مـنـ الـخـصـيـانـ يـرـكـفـونـ الـلـيـلـ جـانـيـهـاـ وـقـدـ اـرـخـيـتـ السـتـائـرـ عـلـ الـرـكـبـينـ فـلاـ يـرـامـ اـحـدـ .ـ لـكـنـ لـيـسـ فـيـ فـرـغـانـةـ رـجـلـ اوـ اـمـرـأـ لـاـ يـعـرـفـ صـاحـبـ هـذـهـ الـرـكـبـةـ اـذـ لـيـسـ هـذـاكـ مـرـكـبـةـ سـواـهـ .ـ فـهـمـ يـعـلـمـونـ اـنـهـاـ مـرـكـبـةـ الـرـيـانـ جـاءـتـهـ هـدـيـةـ مـنـ بـعـضـ اـهـلـ اـمـرـأـتـهـ فـيـ بـلـادـ الـقـوـقـاسـ .ـ لـاـنـ الـرـجـلـ فـارـسـيـ الـاـصـلـ وـاـمـرـأـتـهـ جـرـكـيـةـ مـنـ بـلـادـ الـقـوـقـاسـ وـاـهـلـ هـذـاكـ الـبـلـادـ يـسـتـخـدـمـونـ هـذـهـ الـمـرـكـبـاتـ حـلـلـ الـخـلـاوـيـنـ فـيـ خـروـجـهـنـ اوـ اـسـفارـهـنـ (ـ٢ـ)

(ـ١ـ)ـ الـمـسـعـودـيـ ١٦٦ـ جـ ١ـ (ـ٢ـ)ـ اـنـ بـطـوـطـةـ

والمركبة عبارة عن غرفة كبيرة فيها كل ما تحتاج اليه اخواتهن من الادوات حتى الطعام والشراب . فكان اهل فرغانة لا تقر بهم هذه المركبة الا تشوفوا لرؤيه من فيها العليم لها نقل خاتمة في بنت المرزبان كلام يحبونها ويجلون قدرها ويعجبون بجمالها وتعقلاها وكثيراً ما رأوها تقر بهم في مركبتها وقد ازاحت ستائرها فلا تخفي من احد . واذا قع بصرها على احد هم ابتساماً يزدهر تباهياً منها

اما في ذلك اليوم فكانت قد ارخت ستائر المركبة واركتض السائق الفرسين وظهر من تجلياته انه يطلب الخروج من المدينة . ورلوا وراء المركبة جوادين مسرجين لا يقودهما سائق ولا يركبها راكب احدها ادھم على سرقة جمعية مملوكة بالبيال فلم يخف على المارفين ان الباراد لصاحب المركبة وقد تعودوا ان يروها خارجة عليه بالبسة الرجال للصيد او السباق . ووراء الجوادين خدمة الصيد وفيهم اصحاب الكلاب والثيود . ولم يعجب اهل فرغانة لمعدات الصيد لانهم يعلمون مماراة بنت المرزبان به ولكنهم يحبونه على روجها في ذلك اليوم

وكان بين المارة رجالان احدها تاجر من اهل فرغانة والآخر قريب له من اهل خوفن اتى لقاء ايام الثيروز عنده ولم يكن راي شيئاً من ذلك قبلما فسأل رفيقه عن صاحب هذا الموك فقال « هو موك اخواتهن جهان بنت المرزبان طهراز الا تعرفها »

قال « سمعت المرة الماضية عن مرزبان يقيم في هذه المدينة معتزاً عن العمل وانه ذو ثروة طائلة وليس له الا ابنة سمعت الناس يتتحدثون بمحماها فهل هي وحيدة له ؟ »

قال « لما اخ ابرد قبيح اخلق والخلق كانه ليس اخاه »

قال « العمل المرزبان من اهل هذه المدينة »

قال « كلاماً انه غريب ولكنها جاءها وهو شاب منذ ثلاثين او اربعين سنة واتخذها وطنها له فراراً من المسلمين العرب وتم هجومهم على الجبوس . وكان حاكماً في بعض مقاطعات فارس فقامي اضطهاداً ولم يشأ ان يدخل دينه بذلك الدين الجديد فاتى بما والدواقام هنا .. فقطع كلامه قاللاً « وهل هو غني يا صاحبي ؟ »

قال « له ثروة طائلة وأكثر المغارس خارج فرغانة على ضفة نهر الشاش ملكه فضلاً المشازل والنقوذ والجوامر - ولكن مالنا وله دعنا من ذلك وامض بنا الى سوق الحنم بنجاع سروفَ نذبحه لا ولادنا يهدون به »

وكان رفيقه من عيي الاطلاع على اخبار الناس والاعتراض على اعمالهم فلم يبغ رأي صاحبه بل قال « قل لي كيف خرج هذه اخواتهن من اليت في مثل هذا اليوم ؟ »

فشك رفيقه وقال « كانك تريدها ان تبقى في البيت لتعجن الجبن وتحبره او لتطبخ الطبيخ كافعل نساونا .. انها يا صاحبي سيدة بيت ايتها لان والدتها توفيت منذ اعوام وبا يتزوج المربان بعدها اكراماً جهان هذه فانه يجهها الى درجة العشق ويعاملها معاملة الشاق لمشوقته وليس والد لولده » .

قال « لست اعني ان تقيم في البيت الجبن او للطبيخ بل تبقى فيه لاستقبال الزائرين الذين يتوافدون على بيت ايتها بالهدايا والتحف في يوم العيد » .
فقطط الآخر كلامه قائلاً « دعنا من ذلك يا صديقي وسرينا الى السوق لفتش لنا عن خروف شتريبه » .

الفصل الثالث

وكان الموكب قد تجاوزها حتى خرج من المدينة الى الارباض ومنها الى البستان فوقف عند مشرب بعض اتباع المربان تعودوا استقبال هذا الموكب فلقوه ملائقاته فلما وقت المركبة ترجل السائق ووقف بجانب الفرسين ليتعهدا من جر العربة في اثناء تزول اغاثون . وتقدم احد الخصيان لساعدتهم بالتزول وكانت قد فرغت للطنه وخفه حركته واسمه برجان فوقت بجانب المركبة بانتظار الامر ولم يتجها على ازاحة السيارة . فطال وقوفه ولم تنتفع ولا اهلات اغاثون ولكنها كان يسمع حدثاً جارياً فلما يجبر الاستطلاع الى معرفته وردةً التيپ عن الاصفاء لساعده . وكان سائر رجال الموكب والاكثر في تلك المزرعة ونوفاً يتضيرون ترجل جهان فلما ابطأ اشتغلت خواطرهم . وكان اكثراً قلةً جوادها الادم فانه كان واقفاً وهو يضم الارض بقوالمه ومساله لا يقوى على زجره : ثم صهل كأنه ينادي صاحبته او يستعجلها فاذ استارة المركبة فدارت بحثت وزلت منها امرة كملة في الحسين من عمرها عليها سمات التعقل وقد زادها الانقباض رزانة . عليها ثوب واسع يغطي كل جسمها وقد تخررت بنوار احرى يشمل راسها وعشقها فلما يظهر غير وجهها فرق الواقعون انها التبرمانة خيرزان مرية جهان ورفيقتها ومستودع اسرارها .
ولما صارت التبرمانة في الخارج مدت يدها لاستقبال سيدتها فترجمت جهان وهي

لا تستعين ب احد حتى و قفت بمحابي المر كبة والابصار شاخصة الها لاقمع بذلك اجمالا حاذب الذي لم يسمع بعنده . وكانت قد ابست في ذلك اليوم ثوب الركوب لاصيد وهو عباره عن المسراويل والقباء او الاراعه و تزملت بشبه العباءة من الحرير المازركش و امت رأسها ببعاد اشبه بالمساية تقطعي الحيين الى الحاجين و ارسلت منها ذوا ابنين على قفا العنق تقبها حر الشمس . و ادارت العباءة حول العنق حق لا يبدو منها غير بعض وجهها



جهان - عروس فرغاتة بباب النزل

و كانت طولية القامة جليلة الطلعة في وجهها هيبة و سخة و جمال غينتها كيرتان وفيها نور و ذكاء و جاذبية لا يعبر عنها بغير السحر يشعر من يرايتها النظر او الحديث بسلطنة طاعن قلبه و عقده فلا يقوى على محادتها في موضوع ولا تقاوعه نفسه على مدافعتها في أمر كاتها ملكت ارادته بالتشويم المفططي فتصبح آلة يدعاها . فكان الا ان يتقدرون خروجها من منزلها لاصيد او الزرعة فيقفون في الطريق ليشاهدوا عينها ولم تكن تحجب ترفاً عن الحين او النزيل كانت تقسم للاظظرن فيزدادون تعلقاً بها

اما في ذلك اليوم فخاب انتظارهم لانهم رأوا في وجهها تلقاً وفي عينيها دمعتان تحاول اخفاها بالابتسام والتلطف

ولو لنظرت الى جهان عروس هذه الرواية في يتها وقد ازاحت اللثام حتى ظهر عنقها وارخت شعرها كاً تراها في هذا الرسم لرأيت قوة الجبان ورباطة الجأش ظاهريتين حول فمها وفي ذقnya وتجابت لك القوة في شكل عنقها المتدرج وقد تمجد لأول وهلة من اختلاف ملامحها عن ملامح الفارسيين والدها منها فإذا علمت ان والدتها جركية زال تعجبك وعلمت أنها ورثت تلك الملامح من والدتها وورثت منها كثيراً من سجايا الجراكسة كالقوة والشجاعة والافقة وتوحدت ركوب الخيل والنزول في حلبة السباق والطروج لاصيد واحتذت من ابيها ذكاء الفرس وتعقلهم ودقة احساهم فاتت آية من آيات ازمان وشفق بها اهل فرقانة وسموها عروسهم فكان يقال لها عروس فرقانة وان كان اسمها جهان بنت المرزبان

لتما نزلت من المركبة ورأرت الناس وقوفاً لا تظارها وهم شاهدون بإيمانهم خوفها جنهم على محفل خوفاً من ظهور أশطرابها وهي حربة على كجهان ما بها فالتفتت الى الهرمانة وقالت بصوت يقع في الأذن وقوع النغم المطرب «أين الجبود يا أماء» وكانت تادها بالآمومة تلعلهاً وتحبها لانها ويتها من صغرها وكانت خذنة بها شفقة علماء وكانت جهان تستودعها اسرارها وتكتشف لها عن مكنونات قلبها ونمط تعليمه في الطروج من للركبة الا لاشتغالها بمحادثتها في شأن يومها

فشارارت الهرمانة الى السائس فاق بالجبود وهو يختلف في مشيته تهأً حق كاد يرقص تلادنا من جهان لنظرت اليه واابتسمت ثم حكت جينه بالآمامة وكان عليها بقمة سيفاء من شعره تكمل اسدآ رائضاً ولذلك سمته «شير» وهو الأسد بالفارسية و لما احسن الجبود ياناملها استأنس واخذ يضرب الأرض بيته والناس وقفوا فالتفتت الهرمانة اليهم وقالت «ان مولانا ذايبة لاصيد فماكروا مع المركبة هنا لاعداد الطعام واتما يتبعنا منكم رجالان يمسنان الركب حق اذا وقع لنا سيد آنيا به» ونادت «فiroz» لتقدم السائس بالجبود الادهن فوُبَّت جهان اليه باسرع من البرق ثم قدم الفرس الآخر الهرمانة خنزران واعانها على اركوب فركبت وشاررت الى السائس ان يتقدّر وينهي مع ارجلين الآخرين وكان احددهما من جان وساقت جوادها بعباب جواد سيدتها وسارها متزامنين وقد تسبّبت جهان القوس وكانت جمبة البال معلقة بالقربوس والهست عرض

البر والقرسان يمشيان زملاً والأرض سهلة وأكثرها مزدمع ويتراءى طما عن بيد جبل
كثير الشعب

تموعدت جهان الذهاب في الشعاب والأودية مع الفهادين وأصحاب الكلاب لاصطباب
الفزان او حر الوحش او الوعول . واما يومئذ فلم تصطحب احداً من اوكل لرغبتها
في الانفراد وإنما انحذرت الصيد حيلة الخروج

فلما امعنتها في الخلاء اتفقت القهرمانة الى جهان لفته حدو وانعاف وقلت
« والآن ياسيدتي الا تكتشفين لي عن سبب انتباشك وانت تعلمين التي مستودع اسرارك
واسرار والدتك من قبلك ؟ »

فنهدت جهان وقالت « دعني يا ماء من هذا الحديث وإنما جئت لا اورج النفس
بالصيد »

فسخكت القهرمانة وقالت « وهل تريدين ان اصدق انا ايضاً انك خرجت الصيد
وانما اخترعت هذه الحيلة الخروج مما امتحسين سرك خافياً عن يا ولدي ؟ »

فأرادت مقابلتها فاظهرت عدم البلاهة وقالت « أستغرين انتباشي وانت ترين
والدي مربضاً بالقرس منذ اعوام وقد سمعت طبيبه يقول ما تعلمته من ضف الابل
بالشفاء . ولا يخفى عليك ان للرزبان اذ أصيب بسوء اصبحت منقطعة اذ لا اهل لي هنا
ولا أعرف اهل والدي في بلاد فارس ولا اهل والدتي في بلاد القوقاس ولا ادرى مع
ذلك كيف ... » وغضت بريقها

قالت القهرمانة « ان مرض سيدتي المرزبان يا جهان لم يحدث بعده وقد كت تخالين
علي حياته من قبل ولم يهد عليك مثل هذا الانتباش . وإنما سبب الانتباش سر انت
شديدة الحرص على كيانه واكثري اعرقه ... »

الفصل الرابع

فالتفت اليها جهان لفته الاستغراب وتقرست في عينيها ووجهها كأنها تقرأ خبرها
وكان جهان شديدة الافتدار على ذلك فأثارت القهرمانة من نظرها و بما يهلا في عينيها
من الماء وهي تغالب عواطفها وقالت « نعم ان سرك غير خافر على وان كنتر تحاولين

اخفاء، ليس لضعف قدرتك بي ولكن حياء مني . واري هذا الحياء يهدو على وجهك الآن
لبرد الاشارة الى الموضوع ..

وكانت جهان لما سمعت تعريف القمرمانة صعد الدرج الى وجنتها فتورتها واشرق وجهها
وايرقت عينها بريقاً ينبع منها يعيش في قلبها من الواقع الحب — واعتراف العينين حمة وادا
انكر صاحبها وبالغ في التسلل فهو كاذب وهو صادقان . اذا قالت العين قوله وقال
السان آخر فالصادق هي لا هو وخصوصاً من يكون مثل هروس روايتها من حيث دقة
الاحساس وقوة العاطفة . فقد كانت كبيرة القلب وكبيرة القلب معاً لكن القصف
السأني غلب عليها في تلك الملحظة فاطرقت قاتلها خيرزان قائلة « لا تجيء يا سيدتي
لاظلاع على ذلك السر وليس انا وحدي المطلمة عليه فانه متداول بين اهل الفصر
لا يجهله احد غير والدك . ولو لا تهيب اهل الفصر منه لابلغوه اليه ولكنهم لا يستطيعون
تبليغه ذلك الاً على يدي وانا لم افعل »

فيجئت جهان وقالت وهي تشغل باصلاح شعر جوادها عند قاعدة عيادة « واخي
سامان؟ هل هو عالم بهذا السر؟ »

فابتسمت ايسامة ثُفَّ عن تأملها من ذكر ذلك الاسم وقالت « سامان؟ ان
سامان لا تخفي عليه خافية يا سيدتي وقد قلت لك موارداً ... »

فاختت جهان انها تربى الطعن بالخلاص الخبيث فأبت تقسماً مماع الطعن فيه
قطعت كلامها قائلة « اني اتوسم في اخي سامان شيئاً لا يرتاح اليه قلبي لا ادرى ما هو
ولكنني لا اسمع الطعن عليه وهو اخي الوحيد كما تعلمون واري منه انساناً خوياً وان كنت
أشعر من خلال ذلك بشيء لا يجيئني ولا يجيئني منه اشتغال بالاسرار حتى يخبل لي
انه جمعة خفايا وغماءض . ينبع عن اليت يوماً فيحيط عنه في فرغانة بمثابة ديفقاً فلا تنف
على خيره ثم يأتي وناسه عن سبب غيابه فلا يجيئ او يجيئ جواباً منها . واخبرنا بعضهم انه
كثير اخلاقه بالمويد . كاهن كارشان شاه بيت النار في هذه المدينة ولا يخفى عليك حال هذا
الكافر من الدعاء والحليلة ... »

فقالت خيرزان « اظن هذا المويد مهدداً مع ثلاثة اطرمية الجمعية السرية التي
يرأسها اليوم وبقود رجالها بابك اظرمي صاحب الصول والطول الذي اصبع خليفة المسلمين
بيفاته ولا يبعد ان يكون اخوه سامان عضواً من اعضاء هذه الجمعية ولا باس من
ذلك لأن غرض اطرمية اعادة السلطة للفرس ومحاربة المسلمين »

قالت « لا انكر ما في اخي سامان من اماكن الفحص ولكنه اخي ... ما لا رده الان »

فاطرقت القبرمانة وهي تستغرب حسن ظن الفتاة باخديها رغم ما يظهر من تبع اعماله وما تعتقد هي من سوء قصده ولكنها اعرضت عن ذكره ورجعت الى الموضوع فقالت « والآن ألا تب吼ون لي او تأذنون بان ابرح انا لك »

فاعظمت جهان ان يطلب عليها الفحص السائي الى هذا الحد بين بدبي فورمانها او مريتها فتحركت فيها الالة وقالت « لا تستعفي بي يا امه وربما توهمت في غير الواقع فاذكري لي سباقباني ان كنت تعلمين »

قالت « ان موضوعه « ضرغام » هل اصبت المرمى ؟ »

فلا يمكنت ذلك الاسم خلق قلبيا وكان الدسم قد تحول عن وجنتها فعاد اليها وابرت عينها فاقدرتها خيرزان فالملاة « لا سبيل الى الانكار يا حبيبتي وعيناك شهدان على محنة قولي الله تغرين ضرغام ... »

فثبتت جهان تنظر الى ما يدور من اسخانها ذلك الحب او استهجانه فقالت القبرمانة « ان ضرغاماً شاب جميل وشجاع باسل »

فقالت جهان « لم تقولي رايتك فيه »

قالت « قلت لك انه شجاع وجميل لا مثيل له في فرغاته ولا غيرها من بلاد المياطلة ولا بلاد فارس »

قالت « فهمت انه شجاع وجميل ثم ماذا ... »

فهمت خيرزان ان تصريح بذكرها ثبّط وخففت على جهان فاطرقت وسكتت فقالت لها جهان بصوت هادئ « وجاش رابط « قولي يا ماما بصراحة ولا تخافي من شيء »

قالت « ليس في العالم احسن من ضرغام لولا نبه ... اذ ليس في فرطانة من يعرف اصله او نبه حق هو فانه لا يعرف من هو ابوه »

فتحجلت جهان وقالت وهي لتشغل بالصلاح وضع القوس على كتفيها « وماذا يقول الناس عنه ... »

قالت « لا يقولون شيئاً عن شخصه فانه مثال الشجاعة وكم اطلق فضلاً عن جماله وعلى همة وكبير نفسه لكنهم يتهدّون بعموم نبه ... انا اعرف والدته منذ جهات الى فرغاته وهي في ايان شبابها تحمل مقلها ضرغاماً وكانت جليلة الطلعة ... ومع فترها

وعوزها خطتها غير واحد من اهل فرغانة فابت ان تزوج رغبة في تربية ابنتها لانها كانت شديدة العناية به . و «مع سيدی المربیان بخبرها فاستقدمها اليه و سالها عن حدثها فتكلمت في يادی ، الرأی ثم قالت ابنتها أحدث طفلة من حضن والدتها من بادیة الترك وريت في منزل بعض الفاسدين بالعراق حق انتهت الى رجل من اهل تلك البلاد فاعتقها وتزوجها ثم توفى قبل ان تفع حلها فلما وضعته احيطت الاقطاع الى تریته . فلم يصدق سیدی المربیان قوله واحب ان يغير بها نظره عليها ان يزوجها ببعض رجاله فابت واعتذرت قازداد شکاً في حدثها فائزطا بمحاب قصره وامر لها بما تحتاج اليه من لوازم الحياة وكانت تحسن الطيامدة وتشغل في جملة خدم التصرح حق اصيحت بالرمد وكف بصرها فكانت من العمل وظلت في بيت ایک کا تعلمين . وبالشب غرگام تعلم رکوب الظیل والری بالشاف وظاهرت فيه سجايا نیيلة تجعله مولای المربیان في جملة اعوانه وكان يحبه ويحمل مناقبه حق بعث الخلیفة المعتصم الى هذه البلاد لتجبید الرجال من الاتراك والفراغنة والاشروسنية منذ بضعة اعوام فطلع غرگام في خدمته وكانت قد لحظت ما ينکا من الحب المتبدل الذي تخاورون الان اخفاوه . ولكنني عجبت لذهابه وضيابه كأنه رای تنه افسر باعما من ان بذلك للتباعد ينکا في المقام والشب »

و كانت التبرمانة تکلام وجہان مصنفۃ تسمی کلامها بشوق وطفة حق اذا بلنت الى هنا اجابتها فائلة « انه تطوع في جند المعتصم لعلم ان الرجال تظهر مواهیهم في مثل هذا التجبید . وكان قد تقلب عليه الوم الذي اراده متفلباً عليك فزعم انه لا يتحققني وانا اروم ينفلاني بدرجات كثيرة . لان الانسان لا يقدر بیزارعه و منازله و ثیابه و اثاثه يقدر بمواهیه و مناقبه . وانت تقولين والناس كلهم يقولون انه غریب بهذه المناقب . ومن جملة مناقبه الشریقة ایضاً انه رای تنه احط من ان يتألق فطلع في الجندية عند المسلمين في بنداد الشاس للجیجدو لثلاً يقال اني افضلهم » في شيء ولا رب هندي انه سیلخ ارقی مرائب الجند لانها تسمی باناس من رقيق هذه البلاد ایناعهم الخلیفة بالمال ورباً و جندهم فیبغ بعضهم الى مرائب القواد فكيف بضرغام کما تعریفته « اعرقه ؟ ... » وكانت تقول ذلك و يکاد لسانها يتلثم خلقان قلبها وثورة عواطفها

فرأت التبرمانة تصریحها واسلوب کلامها يدلان على تعاقبها بضرغام وهي تعرف ثباتها في رأيها فلم تستطع معارضتها رأساً لكنها قالت « لاشك عندی ان ضرغاما سیمال رتبة علينا في جند المعتصم ولكن عروس فرغانة طبقاً أخرى من الشر .. ان جہان يا سیدی

ارقي من ان ينادى القواد فان الملوك يقطبون رضاها .. « قالت ذلك وفي صوتها نسمة تدل على اتها تعني ما تقول حقيقة وليس على سبيل الاطراء او الجمالة . ولكل لاترك طهان وفناً للتفكير والجواب اذيرت اتها ثبتت من الركوب والفتنت الى ما حولها فوجدت اتها على مقرية من تل يشرف على اودية كانت تأتها جهان الصيد فقالت « الا ترين ان ترجل للاستراحة هنا قليلا ثم تعود الى الركوب اذا شئت لاني لا اصبر صبرك على هذه الشقة » فاجابت جهان بهز راسها . وترجلتا فامض السائس الى الفرسين وتداولما واقترش بأدبيهما على صورة منبسطة فوق الثلث قدمتا عليها واشتغل هو بمثل الفرسين . وأشارت جهان الى الحادمين ان يتوغلان في تلك الاودية يستعلمان حال الصيد هناك ويرجعا .

الفصل الخامس

الكتاب

فلا خطا كانت التبرمانة قد ملكت روعها فقالت « كيف رأيت قولي يا سيدتي ؟ » قالت « لا استغرب اطراها ايادي واعيابك بي فاني مجازلة ابنتك والوالدة ترى ابنتها لا مثل لها حتى تظن الملوك يقتلون عليها ... » . « قالت « اني لم اقل ما قلته من قبيل الاطراء او المبالغة بل انا واثقة بما اقول ... انا على يقين ان اعظم ملوك الفرس يطلب رضاك وتنفي الحصول عليك .. » فهزت جهان كثنيها هـ الانكار والاستبعاد وقالت « ملوك الفرس ؟ وهل الفرس ملوك اليوم » فاستبشرت التبرمانة بقرب انتهاءها بعلو مرتبتها لانها على ثقة مما تقوله « قالت لا تهزي كثنيك يا سيدتي .. ان الفرس ملوكا عظاما لا يليشون ان يهدوا سلطان الاك瑟رة . الا تعرفين ما زيار صاحب طبرستان .. ألا تعرفين بابك الظري صاحب اردبيل ؟ ان كل واحد من هذين ملوك عظيم تخضع له الا لوف من الابطال ولكنكه يبني الحصول على عروس فرغانة .. »

فاظهرت جهان الاستخفاف وقالت وهي تنظر الى فرسها الادم سارحا يرعى العشب « دعينا من الملوك ... لا أرب لنا في غير ضراغم .. وما لنا وبابك وما زيار وابن فزن من اردبيل وطبرستان ؟ »

قالت « اذا كنت لا تصدقيني اسألي اخاك سامان عن بابك الظرمي »
 قالت وقد انتهيت نفسها « اظنني سمعته يذكر هذا الامر بالاكثر ولكنني لا اثق
 بآرائه كلامها كما تعلمون ولا همّي هذا الامر لان ضررًا ليس مثله احد على قلبي ولا رغبة لي
 في المالك ولا الامرأ »

قالت « اذا كنت تستبعدين تلك البلاد فهذا الاشرين صاحب مملكة اشور وسنة
 على مقرها هنا وهو الان قائد جند المسلمين كافة في بغداد وعا قليل ياتي زيارته اليك
 لان سيدى كتب اليه منذ اشهر اذا جاء في عيد النيروز الى اشور وسنة انت يزوره في
 فريغة .. »

وكانت جهان تظهر فلة المبالغة كما رأيت فلا سمعت اسم الاشرين اجهلهم وتغير وجهها
 والنسبت نفسها وصداً خيرزان عن الكلام بكلها كالماء تقول « كفى لا تذكري هذا
 الاسم .. »

فأرادت ان تسأله الحديث فصاحت جهان « دعيتي من ذكر هذا الرجل الذي لا
 احمل ساعاته .. وهو هو سبب اقياض نصي الذي زعمت انك عرفته .. فان قصي
 اتسببت منذ سمعت بقرب قدومه الى فريغة وانه سيقف بعض عيد النيروز عندنا ولو
 استطعت ان اقفي هذا العيد بعيدة عن البيت لعلت »

فاستغربت كلامها للاثرين وقالت « وهل اسمك الاثرين في شيء ؟ »

قالت « كلام لم يسواني بشيء ولا كلامي بكلة ولكنني لا أزال منذ كنت أراه في قصرنا
 ياتي لزيارة والدي ونفسى تماقه واتكره النظر اليه .. ولا اذكر ان شعوري خانق في
 حكمه على الناس .. »

قالت التهرمانة « يا للعجب لا تعلمين ان الاشرين رئيس ضررنا وان غالبة ما يبلغ
 اليه ضررنا من الرقي في جند المسلمين ان يصبر قائدًا من قواد الاشرين وتحت رايته .. »
 قالت « بترفع وهدوء كلام يا امامه انه ليس تحت رايته بل هو رئيس حرس الخليفة »

قالت وقد ظهر الاستغراب في عيالها « وهل انت على يقين من ذلك ؟ »
 فنظرت اليها وقالت وهي تبسم « اتي على يقين اصح من يقينك برغبة الملوك
 في طلبها » ومدّت يدها الى جيدها وهي تقول « وقد جاءني كتابه منذ بضعة أشهر يخبرني
 بذلك وينبهني بهرب قدمه الى فريغة ولكنه الى الان لم يأت » واستخرجت
 الكتاب ودقته اليها لتقرأه وهو مكتوب بالبهلوية وهذا مفاده :

« من ضرخام في سامر^(١) الى حبيبة قلب جهان في فرغانة
 يا سيدتي • ولا ازال ادعوك سيدتي لانك سيدة العالمين وانت أيضاً حبيبة لانك
 ملكتْ قلبي وكل جوارحي • تركت^٢ فرغانة منذ بعض سنوات ولم اكتب اليك حتى الآن
 لاني لم اكن اهلاً خطابتك وكيف يجسر ضرخام الفقير اليهم ان يخاطب جهان بنت
 المرزبان صاحبة السيادة المالكة لاموال وارقام • وقد وعدتك يوم الوداع ان ابذل
 جهدي في طلب العلى فإذا باقت درجة تفريقي من ملامك اتيت اليك والست رضاك
 والا فاني اموت في سبيل طلبك • وقد انتظمت^٣ في الجندية وخضت الماء مع باسل^٤
 واستقبلت البال بصدرني وانت فيه فرقاني من الاذى • وقضى الله ان ابق حياً لعل لي
 مارياً بجهان • ارتقيت في مران الجندي حتى صرت رئيس الحرس في قصر الخليفة فبادرت
 الى تبشيرك وكأنك تأليقي عن عافية ذلك الترقى • فإذا لم يكن هذا الارتفاع لاكتسب
 به رضاك فلا مأرب لي به لاني لا أرى لحياة قيمة ان لم تكون لك ومعك • وقد أخذت
 اسمع في التخوس الى فرغانة لاقبل يدي سيد المرزبان وأخذني بشاهدة حبيبة جهان
 ولو لا بعض المشاكل التي تخاف عواقبها على الحالة لجئت اليك منذ أشهر على اني ظفرت
 بعلقة تساعدني على الشخوص • وذلك ان امير المؤمنين بن مدينة سامر^٥ بالقرب من
 بغداد كما تعلمون ليجعلها مدينته الخاصة ويقيم فيها جنده الاتراك الذين جدهم وانا
 واحد منهم • واراد ان يتصر بهم على الاحزاب المختلفة التي نشأت في المملكة الاسلامية
 من الفرس وغيرهم ولكنها خاف على هؤلاء الجنود اذا اختلطوا بسكان المدن المجاورة
 ان تذهب شدتهم ونحوهم فارتآى ان يزوجهم بمحوار تركيات يستجلبهن من وراء الهر^(٦)
 ويعين انساناً يرسل بهم الى ماوراء فرغانة يتعاون الجنوبي والآمة ويمودون بهن • وقد
 شكت الله رغبتي في زيارة وطفي وربما كان لي قفع اذا صحبت ذلك الوفد فوعدي بذلك
 فensi ان اتيك قريباً • وقد عهدت بكتابي هنا الى رجل من خاصتي ارجو ان يوفق
 الى ا يصله .. والذى للسكنية تهديك السلام •

فلا فرغت القبرمانة من تلاوة الكتاب همت بجهان وضعتها الى صدرها وقبلتها وهي تقول
 يورك فيك وفيه انه اهل لك .. صدقتر ان الرجل باعاليه لا يباله واذا كان قد اصبح
 رئيس الحرس يهدى وبساله فكيف بعد اعوام والدولة الاسلامية لا تزال حر وبها قائلة

(١) تاريخ القدن الاسلامي ١٥٨ ج ٤

و مثل ضراغم لا يبعد وسيلة للارقاء »
 فسرت جهان لموافقة التبرمانة على ما في خاطرها لكنها ما لبست ان عادت الى هواجسها
 وقالت « ان هذا الكتاب جاء في منذ عدة اشهر ولم يات ضراغم ولا عرفت شيئاً عنه »
 قالت « لا تخزياني انه آثر .. ولكن .. » واطرقت كأنها تذكر في أمر طرأ عليها
 فقالت جهان « ولكن ماذا .. قولي بالعامه »
 قالت « ولكن والدك .. هل خاطبته بشأن هذا الامر وهل تحسينه بضراغم »
 قالت « لم افتخنه بشأنه بعد ولكنني اعلم انه يحبه ويجل خصاله ولم يعنني امراً اردته
 يومي جاء ضراغم خاطب والدي بهذا الشأن »
 قالت « اعلم ان سيد المرزبان يحب ضراغماً ويجله .. ولكن هناك أمراً آخر
 هل تذكرت به ؟ » قالت « ما هو ؟ »
 قالت « ان ضراغاماً مسلم على ما اعلم كيف يصح زواجه بك الا اذا اعتنق الاسلام »
 قالت « وما الذي يعنفي من ذلك ؟ ان الاسلام ديانة الدولة »
 فقالت « ونتركين ديانة ابيك وعشيرتك ؟ »
 قالت « اذا كانت هذه الديانة تحول بيني وبين ضراغم اتركيها لا في احب ان اكون
 حيث يكون هو في هذه الدنيا وفي الدنيا الآتية » قالت ذلك ودمعت عينها وهي تبسم
 واحست التبرمانة ان الحديث طال وقد وصلنا منه الى نقطة حرجة فأجبت مشاغلة
 جهان فتهافت وقالت « مضى قسم من النهار ولم تنشريري الصيد .. فاركبي فرسك
 والا ابعك والمويا اشاهدك » من مهاراتك في مطاردة الفزان

الفصل السادس

الوعول

وكانت جهان قد ملت الحديث ايضاً فاعجبها الرأي فشاررت الى السائس ان يأتني
 بالجواب والقوس والببال ونظرت الى الجبال بين يديها لختصار جهة ترك اليها فصرت بوعول
 وكفى على محفر قريب منها ولم تهد مثله في تلك الجهة من قبل فبقيت وصاحت بالسائس
 « فيروز .. هات القوس »

فاسرع اليها بالقوس فاوترتها وسدت السهم واختبرت في يامن سرقة لها اذا اهابت طريحتها كان ذلك فالاً على نيلها ضراغم وقرب محيشه والاً غلاً، ونظرت الى الوعل فرأى وقف على تلك الصخرة والفت فجوم فرمته باسرع من نع البسر همت طنين الببل في الماء وخيز رانة تنظر الى الوعل وتختلف ان ينفر قبل : لللاق السهم فما لبث ان رأه ونور ثم انقلب الى شق بين صخرين فصاحت جهان « وقع وقع .. الي » يا مرجان « فركبها ورفيقه والسايس يركضان في اثره وطلت جهان واقفة وقلبها يكاد يطير امام الفرع ثم خيز رانة اليها وهي تضحك وتقول « لقد ضربني ربي هذا الوعل ليس لاذك ايش قد قطط ولكنني قبل ان ترميه اخترت ان يكون فوزك في صدرك هذا هم من فوزك بـ « نظام » فابتسمت جهان وقالت « وهذا شهيري ايضاً القولون بعد ذلك ان ضراغماً لا يناسفي »

قالت « بسطت لك رأبي وانا بصراحة الان اكثركم رغبة فيه » **المحك** وهي تمازحها فابتسمت نفس جهان لهذه المازحة واقتصرت كرتها بـ « كاشفة خير » ثم سمعت صياغة فالذئب فرأى الرجال يعبرون الوعل جراً لقتله فامسرعت اليوم فرأت الوعل .. لا يرتبط .. فتعجبت من سرعة مهرجه بهم واحد . . فلما وصلت اليه رأت سهامها لا يزال مغروساً في خاصرته ولاحت منها النذالة فرأى سهاماً آخر في لبته فصاحت « انه مصاب بهمدين وانا لم اطلق الا سهاماً واحداً وهذا السهم في صدره »

وأمرت مرجان ان يستخرجه فاستخرجه بعد عنف شديد وهو يقول « يظهر ان الوعل مات من هذا السهم » ودفعه الى جهان فتناوله وقلبه بين انانها ثراث على ريشه كتابة بالعربيه وكانت تحسن قراءتها ولم تكن تثنين احرفها حتى صاحت « ضراغم ١٠٠ ضراغم ١٠٠ اني اقر اسماً ضراغم على هذا السهم فتقدم مرجان وكان يقرأ العزيزة ايضاً قال « هو اسم ضراغم حقيقة »

فيهبت جهان واجعلت والفتت الى خيز رانة وهي تتجدد خوفاً من خلود بيتها امام الرجالين ثم امرتها ان يذهبها بالوعل الى مكان يذهبانه وينعلان به ماشاء اس حدث خيز ران وقالت لها « ما تقولك بهذه الصدفة ؟ اني توسمت منها خيراً »

قالت « يظير ان ضراغماً قريب من هذا المكان وهذا سهامه وقد تعني الوعل انه يحمل الوعل بجرحة مسافة طول بلة لان هذه الوعول لا تسرح الا عند ضياف نهر الشاش على مسافة بعيدة من هذا المكان »

فاطرقت جهان وهي تحسب نفسها في حلم ثم قالت « إنها صدقة غريبة ١٠٠ على أنني أخاف أن تكون قد أخطأنا النظر » ولكن لا ٠٠ ان قابي يخدعني بصدق ظني ٠٠ فانا كنت مصيبة أين تظنين ضر فاما الان؟ »
 قالت « اثنانه مسكنك أ على ماك للراحة قبل دخول فرغاتة ولا اعرف ماك في هذه الجهة الآخر الشاش فلمهم معسرك على صدقته الشرفية »
 قالت « وهل هذه الصفة بعيدة عنك؟ »
 قالت « إنها على فرسخ وبعض الترسخ من هنا على ما اذان ٠٠٠ وما مرادك من هذا السؤال؟ »

فخرجت جهان من التصرع بما يخالج ضميرها عافية أن تستخف مريتها بها فطلبت ساكتة واطرقت وهي تشاغل بالصلاح وترتوس يدها « فادركت خيزران ما في نفسها فابتدرتها قائلة « اذنك تريدين الذهاب للقاءه هناك »
 فابتسمت والتجول يعارض ابتسامتها وفترست في عيني خيزران لستطاع حقيقة غرضها من ذلك السؤال فرأيتها تنظر إليها باهتمام فعلمت أنها مشمرة معها فقالت « وهل تظنين في ذهابي إليه يأساً أو محظوراً؟ »

فأشفقت خيزران على عواطفها وأاحت مساريها فقالت « لو علم القوم أنك ذاهبة إلى عداؤها تذهبوا بذهابك ولكنكنا إذا لقيناه جعلنا لقاءنا على سيل الصدقة ٠٠٠ أما اللكان فيعيد لا يخلو الذهاب إليه من المشقة ٠٠٠ هل تصرين على ذلك؟ »
 قالت « لا مشقة علينا ونحن راكبان ٠٠٠ فإذا ذهابي إلى الذهاب » قالت ذلك والتمنت إلى الرجلين فرأيتهما مشتبلين بنسيج الوعل بعيداً

فادركت خيزران أنها تريد استقدامهما فسبقها إلى ذلك وقالت « أرى أن تستقدم خادمك فيروز يسير في ركبك وتأمرني الآخر بالذهاب إلى بقية الموكب بباب المدينة ينخرطنا مع سائر الخدم هناك »

فاستحقنت جهان رأيها فشت خيزران نحو الرجالين ثم نادتما وأومأت إلى فيروز أن يأتي فاسرع وهو لا فأمرته بما ذكرته جهان عن رفيقه وإن يأتي بالترسين فقبل وأن يهمها فركبتا ومشي هو في ركبها لا يدرك إلى ابن تبران أما جهان فأدارت وأس جوادها نحو البر وعيناها شائتان في الأفق لعلمها بـ زى حبيبها قادماً وكانت الشمس قد تكبدت السماء ونبت جهان إنها لم تذق طعاماً في ذلك

اليوم ولكنها أغضت عن كل شيء في سيل ملاقتها ضر غاماً — وقد يغلب الحب على
خاطر صاحبه حتى ينسه وجوده

الفصل السابع

الضيافة

سار الفارسان في أرض بعضها مزدوج وفيه الأكمة والمارة وكلاهم يعرفون عروس فرغانة وإن فاتهم النظر إلى وجهها فلهم يعرفونها من فرسها أو من خادمها . فكلوا أنا رأوها وقفوا لها احتراماً وابتسموا الجباراً وهي قلما تبسم لاشتغال خاطرها . وبينما هي فارقة في بيتها صهل فرسها وفرس خيزران فانهت ولننظرت إلى إمامها فرأأت على مقربيه ملائكة مزرعة فيها خيام كروية السقف على شكل خيام التركان — وهم يبنونها مستديرة وسقفها قبة . ورأأت بين يدي الخيام بضعة أفراس وغلامين يحملون فرسين منها وأهل بادية تركستان يقتذون بالبان الخيل كما يقتذى يدو العرب بالبان الأبل



التركان يحملون الخيل

فلا رأت جهان أو تلك الأكمة أرادت أن تجعل طريقها بعيداً عنهم حرمًا على الوقت .
رأأت خيزران تحول شكوة جوادها نحوه وأشارت إلى سيدتها أن تبعها وقالت « إلا

ترى مولاي ان نسال هؤلاء القوم عن ضراغم لعلم رأوه مارئا فينتينا ذلك عن تكبد
اللثنة في الوصول الى التبر؟

فاصنست جهان رأيها وتحولت معها حق دتها من القوم وبعدها فیروز فرآم احمد
القلامين فنهض وقد علم من قيافة جهان انها امية كبيرة واسع الی والده في احدى الظیم
بدعوه لاستقبال الاشیاف واذا با كار (فلاج) شیخ خرج من الخيمة وهو يتوک على عکازه
وحلما وقع بصیره على الفارسین عرف جهان فامر اولاده ان يساعدوها في التوجیل فابت جهان
الذرول وافتت على الرجل والتقتت الى خیزان کانها تخوضها علی السوال فقالت « ازلي يا
سیدتی للاماکنة هنیه ثم ترکب فاطعتها مرغمة واستلم فیروز الفرسین وابعد بعها عن
الکان لثلا يشوا الموقف بالصہیل بین يدي الافراس الآخر

ولما ترجلت الفرش لها اولاد الشیخ حصیراً تجلسان علیه وخطبها الشیخ بلطاف
وسذاجة قالا « الا تشرقا بت المریزان بیخلوس الحلة في هذا الیت الحتیر » شجلت من
هذا اللطف وجلست على جلد افترشوها لها ولریقتها وقبل ان تبدأ خیزان بالسؤال جاء
القلام بچمل قدحًا من الخشب فيه سائل عرفت انه من بن الافراس الذي احتلبوه في تلك
الساعة . فاشارت اليه ان يقدمه الى سیدتها فاعذررت اهنا لا تشعر بالجرع فقال الشیخ
پغاط غلامه « قدم لها قدحًا من التومز » (وهو بن العیل يخرونونه ويقدموه شراباً
الرازرين کا يقدم العرب السویق وكما يقدم اهل هذا الزمان اليوناده او الشای) ونظر
الى جهان وقال « وهذا التومز لا يستدعي جوعاً فانه يشرب كالماء ويزيل التعب
فلم تستطع جهان ردّه فتناولته فاختفت خیزان تلك اللثنة وخطب الشیخ قائلة
« لم یز بكم اشیاف غیرنا في هذا اليوم »

قال « کلا يا سیدتی . ولذلك فاني سرت بقدومک ... وقد تشرفت بپور مولانا
جهان واذا فاتنا مپور الفیستان . فھي خیر من الف شیف »

قالت « وهل العادة ان یز بكم المسافرون دائمًا ؟ »
قال « نعم يا سیدتی لان القادر من اشرف منه او خوکند او يخبارا یرب المشرق اذا قطع
الپور من بنا . ثم یدھب الى فرغانة او الى غيرها . وكثيراً ما تمر بنا قوافل التجارقادمة من
المدن او الیت او الصين تقصد بلاد الروم او راجحة منها الى بلادها »

فنظرت الى جهان وخطبها بالفارسية - واکرة تلك البلاد يتكلمون الشافطائیة
(التركیة التدیعیة) وقالت لها « الا ترين ان نکت هنا بیشان یز ضراغم اذا كان لا بدّ من

مروره؟ أليس ذلك أفضل من أن تطلب هناك وقد نسر إليه من طريق وبأقى هو من طريق آخر مختلف في المور ولا ثلثي؟

فلم يُنْجِب ولكن ظهر على ملاعِج وجهها أنها رضيت فقالت خيزران عند ذلك «إذنني الرجل في أن يقدم لها شيئاً تأكله»

قالت «وكيف نطلب الطعام بعد أن رفضاه؟»

قالت «أنا أطلبه باسلوب معقول» وانفتحت إلى الرجل وقالت بلغتها «الآن يعمون

خليلاً للذبح؟»

قال «كلاً يا سيدتي لأنك تزكي الأفواش البن ولا نذبحها إلاّ متى عجزت وقل لبنتها

قالت «وإذا أردت إثبات مهر الذبح كيف تفعلون؟»

قال «ترصد قطبيعاً من الخليل ماراً من هنا قشتري منه ما شئنا . . . وقد مضت على

برهة وأنا انظر إلى هذه الجهة (وأشار يده نحو الشرق) والافتتحت خيزران فرات في الانفاق البعيد غباراً كثيناً معلقاً في الجو» — فقال انظر إلى هذا الغبار واتوقي دونه فلعله غبار

قطيع من الخليل قادم اليك فإذا جاء منه فرسماً أو فرسين للذبح . . . وإذا شاءت مولاك المكتوب

هنية أخرى وتنازلت أن تتناول الطعام عندنا ذبحت لها فرساً مسيناً»

فاستحسن جهان ارتجالية الرجل وخلفه روحه فابحست له قفهم أنها رضيت فامر أحد

ابنائه بعلقة القطيع وتعجبه فاسرع الغلام ي Undo واشتعل الشيخ باعداد المائدة ثم ألقى

ببطيخة وضعها بين يدي جهان وقال «هذه بطيخة من بطيخ بخاري المشهور بخلاؤه

سنديها لولاتها في جملة الدباح

فاستغربت جهان وجود هذا البطيخ عنده وهو ما يتفاخر باختلافه الكبير . . . ولم

يفت الرجل ما جال في خاطرها فاستدرك قائلاً إن هذه البطيخة أهداني إليها شاب

مغرم جاءه يخطب إلى أحدى بناتي فأقى بهذه البطيخة في جملة المدايا»

فلا صحت جهان ذكر الغرام تذكرت لوعتها فنهدت خفية وأومنأت إلى الشيخ أن

يمحتظ بالمدية وقالت «احفظ المدية لصاحبها

الفصل الثامن

الراية

وارد الشيخ ان يجيئها فسمع صوتاً يناديه فالتفت فرأى ابنه راجعاً يمدو وهو يلهث من النعف ويقول « ان رعاة القطط لا يبعون من قططهم شيئاً » ونظرت جهان الى جهة الصوت فدطا الغبار على ذلك القطط من الخيل وفي مقدمته رجل راكب على فرس مسرج ووراء عشرات من الخيول عارية تزاحم وتراكلض على بعضها رعاة من بدو الکرج وهم يعيشون في براري تركستان على رعاية الخيل والماشية · ورأى الفارس الاول لابساً لياس الجند ويدره راية على رمح لم تتبه للاسم الذي طرز عليها ولرقانه لارتفاعها فرانصها

اما الشيخ فامسرع الى الفارس واستوقفه وقال « ألا تبعونا فرساً من هذه الاواس؟ » فاجاب الفارس بالرقة وعيرفة « كلاماً »

قال « انا في حاجة الى ذيجة قمعك الشعن الذي تريدونه » فشار برأسه نحو الوراء ولم يجيب

فقال الشيخ « ولماذا لا تبعون؟ »

فقال « لأن هذا القطط مشترى لناس لا يبعونه »

فقال « ومن هو لاد؟ اليهو تجارة؟ »

اجاب « كلاماً ثم أوما الى الى الراية وهو يقول « اذنك لا تعرف القراءة ولو عرفتها لكفيتنا موثوة السؤال والجواب »

فلما سمعت جهان قوله نظرت الى الراية فقرأت فيها « الاشين حيدر بن كاووس »

باحرف عربية وحملها قرأتها تغير لونها ونظرت الى خيزران فرأيتها في مثل بعثتها تخلدنا · اما

الشيخ فاجاب الفارس قائلاً « صدقتي لا اعرف القراءة ... بل هذه الراية؟ »

قال « في الاشين حيدر بن كاووس قائد جند الخليفة المعتصم وصاحب مملكة

أشرومته »

ولم يكن احد في تركستان لا يعرف هذا الاسم لان الاشين كان ملكاً على اشرومته قبل دخوله في خدمة المعتصم فبعثت الشيخ وتيوب وقال « ان مولانا الاشين مقم في

بغداد على ما نعلم

قال « كان في بغداد ولكنه جاء الى اشروسنة منذ ايام وبعثنا بنتائج الماشية لرجاله »

قال « واتم ذاهبون بهذا القطبيع الى اشروسنة الان؟ »

قال « كان مولانا الاشرين في اشروسنة ولكننه قادم الى فرغانة يقفي عيد النبیروز فيها ورجاله مسکرون خارجها على ضفاف الناشر وهذه الطیول لهم ... فهل تحتاج الى زيادة ایضاح؟ » قال ذلك وساق جواده وتبعه الرعاة بالطیول

فلم يعد الشیخ يتجاهر على السؤال وغلب عليه الاعجل من جهان لانه غیر عن اليوم بپیانها وانخدع بیهی ^٤ عبارۃ يعتذر بها اليها فإذا هو يراها قد وقفت وأشارت الى خادمها ان يأتي بالجواودین واسرعت الى الشیخ وقالت وهي تتجاهل ما عليه من فعله « اني شاکرة حسن صنیعك يا احمد، وقد طرأ على امری يدعو الى سرعة رجوعي وعسى ان تكون من زيارتك يوما آخر »

فاکبر الشیخ ذلك التلطیف وهم يتقبیل بدابة المربیان شکرًا على تلطفها ونماذجها فاجتنبت يدها منه وأشارت الى القهرمانة فدفعت اليه بضعة دنانير وقالت له « اعطي هذه الدوانیق الى الغلام يشتري بها قوسا وثاببا يلبو بهما » فشك الشیخ لها فودعاه وركبها ونحوها عن المکان وقد جاش في ذهن جهان خواطر زادتها فلنًا ولما خلت بخیزان الثنتي اليها وقالت بعد تهدی بدل ^٥ على غیظ تکتبه « والآن ماذا تقولين؟ هذا الاشرين قد آتی فرغانة ولا بد انه فازل عندنا او هو بیزورنا غالباً ... »

قالت « وما الذي یهمك من زيارته؟ ... »

فقطمت کلامها فائلة « لا یعنی شيء ^٦ من امره ولا هو تنسه یعنی ولا جند ^٧ یخفیني ولا انا اخشاه ^٨ على شيء في ... ولكنکنی اکره مجالسته و ... » وبلطف ریتها شاغلاً عن اقام الحديث وله باصلاح عصایتها على رأسها وسکنت

قهیعت خیزان موضوع ثغونها ولكنها تجاهلت وقالت « ان جهان العاقلة الحکیمة لا یخفی عليها من احد ... وهل انت لا تزالین عازمة على المسیر الى النہر ... » فنظرت خیزان اليها شرداً وابتسمت کالمها تستغرب سؤالها ولسان حالمها يقول « کیف اذن؟ »

وساقها الجواودین وها تنظران الى قطبيع الخیل حق تواری وطريقه غير طرقهما وكانت الشمس قد مالت الى الاصیل وأثر الجموع في خیزان واما جهان فتابهها التي

جيها شفاتها عن كل ماءفة وقضت سفلن الطريق ساكتة وهو اجسها تعاظم وتلاطم وكما تصورت لفاهما ضر غلاماً يختلنج قلها وترى مع ذلك أنها ارتكت شططاً ما كانت ناتجه لولا غبة الحب على ارادتها ... وكثيراً ما تتغابل الارادة والحب ويكون النوز له لا يلماً وقد تفوز الارادة ولكن الى اجل قريب وإذا طالت غلبتها كان الحب ضعيفاً سرع الزوال ... وقد يكون الحب كير القلب مدبراً حكماً ويرتكب في سيل الحب اموراً لا يأتها غير اهل الطيش وليس استغراب الناس عملهُ أكثر من استغرابه عمل نفسه لاته باتي تلك الامور وعقوله مشرفٌ على عمله ينتقده ويعيجه ولا يرى له سلطاناً على ردمه وبالسب في ذلك ان لذلك العاقل الحكيم قلباً فطر على الحب الشديد فإذا خالف هو قلبه تألم المآلا طامة له باحتفاله وقد يحيى او يصفع ... وكم من عاشق ذهب ضحية الزانع بين القلب والقلب ... فالمائل اذا احب اتشبت بين ارادته وعواطفه حرب ولا حرب البوسن فإذا كان كير النفس توبي الجنان جاري عواطفه اعياً على عنزة نفسه وقوه جنانه فلا يختلف ان يغلب على امره ... وكانت جهان كبيرة القلب قوية الارادة ولكنها كانت كبيرة القلب شديدة المواطف وكانت مع ذلك ألوقة شديدة التسلق بما تألفه وإن يكن لا يخبوه على حد قول الشاعر :

~~~~~

خلقت الوفا لو رجمتُ الى الصبا      لفارقت شهيء وجع القلب بأكيا  
فكيف اذا كانت تحبّه وقد عاشرته اعواماً عديدة حتى تكن حبه من قلها ... وكانت  
نورية الجنان ناتحة الرأي في حبه وزادها تعلقاً به تخفيفها من الاخفشين ونفورها من رؤيته فلم  
ز بأساً من السعي في ملاقة حبيبها وخصوصاً أنها ذاتية بمحنة الصيد

## الفصل التاسع

### ضفاف الشاش

سارتا برحة وها تنظران الى الافق والجوادان يدللانها على الطريق المؤدي الى  
ضفة النهر حق اهلنا على الماء عن بعد ورأينا الشاطئ ... فلم تجدا عليه خياماً ولا رائماً  
جندأً مأشياً ولا راكباً ... فاوافت فرسها والتقت الى الفهرمة وقالت « هل ترين  
احداً هناك ؟ »

قالت « كلا يا سيدتي ولكننا على مقرية من الشاطئ » فهم بنا إليه لما ترى في  
أرأينا بقينا »

فعادت إلى المسير حتى بلغت الشاطئ « بقرب كوخ تحت شجرة فرآها آثار أناس كانوا  
هناك وانصرفوا من برحة وجبرة . . . رأينا عينة نار لا تزال موقدة وبقايا طعام وفاكه  
وعظام . وإذا بصاحب الكوخ قد خرج للقائهم، ورحب بهما يحسب أنها زائلاً عنده  
وكانت خيرزان قد استدعت فیروز وامته أن يسأل أهل الكوخ عن القوم الذين كانوا  
هناك فتقدم وجهاً الرجل وسأله فقال « هم جدد من المسلمين عبروا النهر عند النهر  
وأقاموا هنا إلى الظهر فندوا والصرفوا »

قال « وهل عرفت جهة مسيرهم؟ »

قال « أظنه يقصدون فرغانة ولم يعودون قضاء التیروز فيها »  
فلم يسمت جهان قوله ترجح عندها أن القوم ضراغم ورجاله وندمت على عيشهما إلى  
هناك لاعتقادها أن ضراغماً إذا أتى فرغانة يذهب توكاً إلى بيت والدهما فلو عادت رأساً  
إليها ربعاً لقيته هناك . ومع ذلك أشارت إلى خيرزان بالرجوع العاجل قبل أن يدركها  
الظلم وهم على ميلين من المدينة فحولت الأعنة واستحنا الحيل نحو المكان الذي تركوا  
أرك في باب المدينة

وصلت جهان إلى ذلك الباب وأهل الموك في قلق عظيم لغيرها وكان بعضهم قد خرج  
البحث عنها في الجهة التي كانت تصطاد فيها . ولو لم يأتهم الخادم بالوعل المتذوب ويطيب لهم  
زيادوا قلقاً . فاما رأوها مقبلة عرفوها عن بعد من فاقتها ولون فرسها . فلما وصلت  
رجعوا بها وأخبروها أن الطعام مهراً فاشارت إليها خيرزان ان تتناول شيئاً منه فاطاعتها  
وجلس إلى المائدة وتناولت شيئاً من الملح والقوز والفاكهة على محمل لشدة يلماها  
ولحظت وهي تأكل ان بعض الخدم يخاطب القهرمانة همساً توسمت في وجهها تغيراً  
قادر كأنه يسارها في أمر ذي بال فادتها ونظرت في عينها لظر الاستفهام فقالت  
خيرزان « أنه يغتر بي عن مولاي سامان »

قالت « وهل جاء سامان إلى هنا . . . وain هو؟ »

قالت « يقولون أنه جاء وسائل عنك ورجع »

قالت « لا بد لسرعة رجوعه من سبب . . . وماذا قال؟ »

قالت « لم يقل شيئاً . . . وتشاغلت بازدراد لفترة كانت تغضها وكانت تعصى بهـا

فقرست جهان في وجه الخادم الذي كان يخاطب خيزران وقالت « انته جاء  
إبان والدي .. هل به يأس ؟ »  
فلم تستغرب خيزران مسرعة اقبالها لأنها كثيرة ما كانت تقرأ أفكار المتكلمين من  
بعد الفرس في عيونهم ولم يسمها إلا الآثار وإنها اظهرت فلة الاكتناث وقالت  
« لا يأس على سيدى المرزبان بفضل اورمزد ( الله اخثير عند الج بواس ) ولكنك قال انه  
يتعلق الى رؤبك وقد استطاعك وغض في يوم النيروز كما تعلمين »  
فنهضت جهان للحال وأشارت الى خدم الملكة ان يمدأها للذهاب وقالت « لم يبعث  
والدي الى الا وهو يشكون من اشتداد المرض عليه ... هيا بنا »  
وكانوا قد أعدوا المركبة فركبت فيها مع خيزران وسار الملك توا الى القصر وفي  
نونق ان تجد ضر فاما هناك

## الفصل العاشر

### المرزبان

أطلت على القصر نحو الشاه فرأت الحديقة تلألأ بما اودق فيها المشاعل والمصايح  
فقد غصت بمجاوير الناس وما يحملونه من المهدايا والتحف الى المرزبان على حدتهم في  
تل ذلك المروجان .. وكانوا اذا جاؤا في الاعياد السابقة رأيت وجوهم تطلع سروراً  
برهجة يضحكون ويقرعون طبولهم ويضرعون طنابيرهم اما اليوم فقد آتوا بالآلات الطرب  
لکنهم لم يضرروا عليها شيئاً لما علموا من اشتداد المرض على المرزبان .. فرأتهما جهان  
تنزقين زرافات ووحدانا في طرقات الحديقة وعل السلم وعليهم البسة العيد من الحرز  
الديباج وكالم وقوف يهامسون ويشتفتون بعضهم الى بعض وعلامات الاسف باية  
على وجوهم .. وبباب الحديقة الدواب تحمل التجف من الثياب والاطياب والفاكة  
اللحم يشققون بازالتها وجلها الى المطاعع

ولما وصلت مركبة جهان الى باب القصر ترقق الناس الى الحائطين واشتققا عن احالمهم  
مسارا حوالهم يشاهدة بنت المرزبان وكانتا يحبونها ويتبركون بطالعتها ويتوسون برؤيتها  
غيراً فلما تزلت من المركبة هتفوا بالسلام عليها وحملها اطلت عليهم ورأوا وجوهها سري

عنهم ونسوا ما كانوا فيه من الفراق كأنهم يحسبون دخولها على أيها يذهب مرطه وبمان  
 أما هي فتحت رأسها للسلام تلطفاً ولم تبسم كعادتها ولكنهم ثوبيوا أنها ابتسمت لها  
 لظرف ما في حيابها من الرداعة واللطف وكانت خيرزان قد سبقتها للنزول وشلت  
 جانبيها والناس يسعون الطريق ويفرون وفته الاختراط حق دخلت الحديقة مأشية بليل  
 ورشاقة وصعدت السلم وهي يضع درجات توادي الى ابوان القصر وهي تنفرس بالبرجر  
 خلسة لها عبد ضرضاً وتخفى ان ترى الاشرين هناك فلم تجد احدها وكان اهل القصر في  
 انتظارها على اخر من الجلوس بغاوا الاستقباطا ولم تجد اخاها ساماً ان ينهم نظنه عند ايها في  
 غرفه خالماً لقيت فيه القصر سالماً عن ايها قالت «انه في خير شكرًا لرحة اورمزد»  
 فاما نت قليلاً ولكنها ظلت سائرة الى غرفة ايها بين صوف الجواري والغضارب  
 والكل وقوف اجلالاً لها . فشت في دهليز منروش بالسجاد حتى اتت غرفة ايها وتد الشهدت  
 لها لرؤيه وقل لها يتنق خوفاً عليه . وكان يباب الغرفة حاجب من المالك اطهيان قد  
 اخنعن يباب المرزبان فلما رأى جهان اسرع الي مسدده وبشره بقدومها ثم ورفع السريري  
 ووضع طاً فدخلت وهي لا تزال بالباس الذي خرجت به للعيد والعصابة على رأسها ولكنها  
 حسرت عن وجهها وعنها بيان اشرافها وقد زادها الفرق والتعب هيبة وجمالاً فاقبلت بغيرها  
 قبر والدها ووجهها يطلع رونقاً وبهاءً وعينها تبرقان ذكاً واعياماً  
 وكان المرزبان ككل لم يتجاوز السبعين من عمره ولكن المرض والضعف جعله شيئاً هرداً  
 وكانت طبته ملء صدره وقد ايش شعرها وعيانه كبيراً تنان زادها الصفف غوراً وبالآن  
 المزال في وجهه ولم يقلل شيئاً من هيبته لبريق عينيه واشتد بيقه لما علم شيئاً ، ابنته في  
 ابان الحاجة اليها وكان صريره من خشب الابوس فائضاً على اربع قوائم زيل فيها العاج . وكان  
 مستلقياً وعلى رأسه قمة صغيرة كالطاقيه وفوقه غطاء من الدبياج المزركش بالقصب على  
 نفسه الاعلى الذي يغطي الصدر مطرق من فرو السعور الثمين وبداء مرسلات فوق  
 المطرف وقد حسر عنها كالمتعين بيان هز المعا  
 فلما دخلت جهان من الباب تهولت اولاً الى صنم مذهب قد نصب على عضادة بأربعة  
 من الحائطين بجانب سرير والدها وبين يدي الصنم شمعة مضيئة غير المصاح بالسفر  
 فالمهنت الصنم تقدمها على عادة الجحوس وامرعت الى والدها حالاً وجشت بجانب السرير  
 وابتكت على يده نقابها وقلد اثر قبها شمعة ولكنها تجلدت تسبباً له على جاري عادتها  
 فما تحيت وعناتها لا ينتبهان ولكنها تطلقان باجياني عن عقلهم استرامها اليها وشدة حبه

اما هو بحالا رأها ابتسماه الدمع يتردد في ما فيه وفتح ذراعيه فلعلت انه يريد تشبيها  
الذئب قصها على صدره فقبلها واستنشق رائحة عرقها فاحسست بحرارة نفسه وخشونة شعره  
لأنك أنت بذلك الخشونة لاطمئنانها على صحته لأنها كانت تخاف ان لا تدركه حياً  
وبعد التقبيل تحمل المربزان وتساعد على الجلوس حتى انكاكا على الواسدة وأشار اليها ان  
تفصل عن الرشاش بجهاته فقعدت وسائله «كيف ترى نفسك يا سيدى؟»  
قال «أنا يفضل اورمزد الحذون في خير و كنت اخشى ان يتغلب اهريان (واهريان  
الشر عندم) فلا اراك لشدة ما يأسبيه من الالم وما كنت به من الفعف ولكنني شعرت  
الراحة منذ علمت برجوعك الى القصر وانت تعلمون انك تعزز في الوحيدة في هذا العام فلا  
ذكر في التصر لاني ارتاح لرؤيتك»

فلا ينالك جهان عن ارسال دمعتين دلتا على حنوها وخففتا لوعة ذلك الوالد المريض  
وازرتا في نفسه . وكانه تصور حال ابنته بعد موته فغلب عليه الحزن فيكي وهو يحاول اخفاء  
خواطره وفجأة يعواطفها فابتسمت هي وتجسدت ولم يفتها ماحمل خاطرها فقالت «اشكر لأورمزد  
الشوق فاني اراك في حمة وسائل ليه واتوصل اليه (واشارت الى النصال) ان يعايفك  
يدفع عنك المرض ولا رب انه يسمع صلاقي»

قال «قد ارسلت اخاك سامان في طلب الوريد (انكمان) فاذاجاء صلينا معه»  
فاحسست بجهان براحة عدد مهامها انكال ابيها على الصلاة . وليس للانسان تعزية في  
ليل هذه الساعة غير الايمان — ان الايمان هو وحده تعزية بني الانسان في شدائدهم  
فان تعجز العقول وتفلت الايدي عن درتها . ولو لا الايمان لكان حظ الناس من دينام  
تعامة والثقاء بذلك ان الارض لم تخل من دين . وما من امة الا وهي تدين  
شيء ، ترجع اليه في رد القوي عن الفعف وتعزى به في المصائب التي يدفع فيها الاجتهد  
تعجز عنها العقول ولا ينفع في دفعها مال ولا سلطان ولا ينفي فيها جند ولا اعون وتصدر  
عن معايايتها مهارة الاخطباء وحكمة الفلاسفة وعلوم العلامة واقلام الكتابة — تلك الحال في  
ناس لا ينفع فيها غير الايمان والاستسلام عن اعتقاد صحيح في الدين . فالمؤمن يطلق  
صواعب بالشكوى ويستقبل الموت ضاحكاً مسروراً . وليس اخر البشرية من يضم الشكوك  
في اذهان العامة لانها تقتلهن وتذهب بسعادتهم . وهو قصه معايانه من شكوكه او انكاره اذا  
سيجب بضرف او خاف على حبيب قدرت حيلته في امساكه لا يرى متذوقة هن الاقباء الى  
غير المأمول المعروفة فيستغيث بقوة لا يعرفها ويتوصل الى شخص لا يراه ولا يعتقد بوجوده .

وقد اختلف الناس في تقاضي الأديان لكنهم اجمعوا على التدين بواحد منها  
فلا سمعت جهان انكال والدعا على الصلاة سكن خاطرها واطنان بما فنالت « ولع  
باني المولد اليلية ؟ »

فتهجد عن سرت يضمروه وقال « قد بعثت اخاك في طلبه ولا اخلكه ياتي به لانه عودني  
ان لا يطابق عمله ما في تسمي ، وكانه ندم على هذا التصریض فاستدرك وقال « ولا باس  
من تاجير ذلك الى الغد .. »

وشعرت جهان عند تصریض ابيها ياخيها انه غير راض عنه وكانت تلاحظ مثل ذلك  
من قبل وهي لا تعلم سبباً لهذا التصور وكان المرزبان يبالغ في كفهان ذلك عمله بذلك كاه جهان  
ومسرعة انتقامها وانها اذا اطاعت على ما في خاطره من امر اخيها يتذكر عيشها . فسكنت  
وسكت والدعا حيناً وكلاهما مطرق واخيراً انتهت هو فقال « اذهب يا جهان ياحبيتي الى  
غرفتك وبدلي ثيابك وتتناولني عشاءك فاني اشعر براحة وميل الى الرقاد »

فنهضت وهي تقول « الا تحتاج الى شيء افضيه لك يا ابني قبل ذهابي ؟ »  
قال لا احتاج الى شيء الا ان وادا اصبح الصباح وجاء المولد عملت شيئاً جديداً ..  
اذهي محفوظة شهروسة »

## الفصل الحادى عشر

اشتافت نفسها الاطلاع على ما في خاطر والدعا والى ما استعمله سيف الغد ...  
ولم تستحسن الاخراج عليه في كشفه مراعاة لضمه وقد سرّها انه لم يذكر الانشين ولكنها  
ودأت لوسخت لها فرصة تذكر فيها خسر غامده يذكرة بغيره وتنظرق الى اطلاعه على رغبها  
فيه ولم تكن تطيب من ذلك التصریع وان خالف العادة المألوفة من سکوت البنات عن  
مثله لانها كانت لكبر عقلها قد تعودت التكلم بين يدي والدعا كما يتكلم الرجال . لكنها أجلت  
ذلك حق ياتي ضراغم ويدخل عليه فتحيز دخوله جهة الكلام  
وب قبل ان تتحول للخروج دخل اخلاقه والخبر المرزبان « ان سامان بالباب » فلما سمع  
المرزبان اسمه اقتبضت نفسه ولكنها تتجاهل وقال « يدخل »

فدخل سامان ولا يصدق الفاظه اليه والى جهان انها اخوان على انه كان اخاما من ابيها فقط لان والدته كانت جارية سندية ماتت عنده وهو في الثامنة من عمره وسافر والده على اثر ذلك الى بلاد التوكان فلقي هناك فتاة جركية اعجبه جالما قتزوجها وجاء بها الى فرغانة فولدت له توأمدين ها جهان وطنيلة اخرى . وماتت الوالدة والطفلتان صغيرتان ثم بامرها الى خيزرات ولم يعد يتزوج بعد امها لانه كان يحبها جائعاً شديداً لبرط جالما ونمقلاها واحد ابنتهما لشدة مشابهتها . ولكنها لم تبلغ الثالثة من عمر حتى تقدت احداهما وبقيت جهان وحدها فنقوش كل محبتها اليها . وللمشهور عن فقدان تلك الشيقية ان فرساً اختطفها لان في تركستان جماعة من المتصومين بذريون الخيل على الصوصية فتقطف الاخطال او الاعمال باستثنائها وتمدو بها . واصبح اهل فرغانة من ذلك العهد يهازرون التغافل عن اطفالهم خوفاً من اختطافهم . اما المرزبان فنظر في سبب ضياع ابنته نظرًا آخر وتولد البعض في قلبه لسامان من ذلك الحين لكنه كتم السبب عن كل انسان فكان سامان بعيداً عن جهان خلقاً وخلاقه . كانت قصيراً اجرد ليس في وجه الا شعرات متفرقة في ذقنه . وكان من سبط المخذلين يخامر ياض عينيه حمرة كالمه مسيقظ من رقاد وهو مع ذلك مضطرب البصر لشدة الحول اذا نظر اليك حبيبته بنظر الالى البصق او الى الباب ولا يستقر نظره في لقطة . يخاطبك وهو مطرق او يحمل بصره عدنك واجفانه ترثيف . وادا تكلم اسرع بكلامه وشتاته ترتعشان كأنه في موقف يخاف فيه النساء عليه بالموت ولكنها كان كثير الدهاء واسع الحيلة شديد الحب لذاته والكره لسواء فلا يحب من الدنيا غير نفسه ويغلب هذا الطبع في الاجرد والخصمي

فلا اذن له في الدخول هرول الى مربير والله وعل رأسه قلنسوة من الخز بلا عامة وقد ارتدى جبة طويلة تغطي ثيابه واصبح اذا مشي يتغير بارданها في اثناء مشيه فوقف بين يدي والده وقال « ذهبت الى بيت كوشان شاه ( وهو هيكل المحسوس بفرغانة ) فلم اجد الموريد هناك وقيل لي انه يمود في الصباح فهل اتيت عنه في منزله ؟ »

ففي المرزبان رأسه متضجعاً وقال « قد كان في امكانك ان تبحث عنه قبل رجوعك ولكن لا يأْن .. غداً ارسل اليه احد الخدم فاتهم كثيزيون عبدنا .. اذهب الان » فرات جهان في خطاب والدها بخطاه زادها شكلاً في يديه على اخيها لم تكن معهه يخاطبه بهذه الجهة من قبل . امام سامان فتجاهله مراد ابيه واظهر الاستغراب وقال « لم اكن احبك نطلب حضوره الليلة من كل بد والا لما راجعت الاَّ به .. هل اذهب اليه ؟ »

وكان المرزبان يسمع كلام ابنه وهو يتفرس في وجهه فلما فرغ من قوله حول وجهه وقال « اذهب ... ولكن لا تبحث عنه فاني احتاج الى الراحة ... » فاكتب سامان على يدي والده يقباهما فلم يكترث أبوه به ثم خرج وظلت جهان واقفة ونظرت الى ايها وتفرست في عينيه فرأت فيما دمعتين تكادان تختدران وهو ينظر الى الشمسة المشتبهة بين يدي الثنائي وقرأت حول شفتيه معنى دهاء على سرّي في خاطره يحب اذهابه فقعت على السرير وتناولت يده فشعرت بعرق بارد ورعدة حقيقة فقال « هل تزيد بي شيئاً يا ابناه ام اذهب ؟ » فقال وهو يصلح متكلماً « اذهب بي يا حبيبي ... لا لا لا ... لا تذهب بي لا بل اذهب واستريحني ... »

فقالت « ما بالك ... هل اغضبك اهمال اخي سامان ... ساحجه ... انه لم يكن يعلم مرادك ... »

فهز رأسه وقال « انه لم يفهم مرادي ولكنني قدمت مراده ... وقد دنّ وقت الحاسبة ... » قال ذلك واستلقى على الفراش وهو يرفع الغطاء الى كتفيه القائم بالرقد فلعلت انه لا يريد الخوض في الموضوع فنادته على التقطعة وخرجت الى غرفتها وهي في شاغل جديد على اخيها فرأت خيرزان في انتظارها فرحب بها وسألتها عن ايها فطمأنها انه مرتاح فقالت يدللي ثيابك واذهب الى فراشك ... »

فطللت واقفة ولم تجدها قادرٍ على ايتها لا تزال عالقة الذهن بضرغام وعيشه فابتدرها قائلة « ان الناس قد صرقوها واطلقت الاتونار في الحديقة والابواب وهم يات ضرغام فالظاهر انه يأتي في الليل ... »

فاقتصرت وأخذت في تبديل ثيابها فساعدتها خيرزان على ذلك ثم ودعتها وخرجت وارادت جهان ان تذهب الى فراشكها وادا بخادمة دخلت وهي تقول « ان مولاي سامان يريد مشاهدة مولاني ... »

فسررت جهان اندومه لانها كانت مشتبهة اخاطر به بعد خروجه من حضرة والده على تلك الصورة فدخلت وعليه ملابع الاكتتاب والانكسار فلما رأته اشفقت عليه فرجحت به وابتسمت له وقالت « لا يسوّك ما سمعته من اينما قاله عن غضب من شعفه وضيق صدره ... »

فقدمت على وسادة في ارض القرفة وهو يظهر الاسف والانكسار واطرق وبكي

فجلست الى جانبها وتفسرت فيه فرأيت دموعه تتساقط بلا بكاء فاشر منظره في خاطرها  
وغلب حنوهاً وطيب عنصرها على فراسها وتنقاها وقالت «ما بذلك تبكي يا سامان يا أخي»  
فرفع بصره اليها وقال وصوته مخترق «تسألي عن أمري وقد شاهدت بيتك  
وسمعت باذنيك » ٠٠٠

قالت «قلت لك أن أباانا فعل ذلك عن هرض لا غرض فانه يحبك وليس له ابن  
سواك فاتت وريت اسمه وانت ٠٠٠ » فقلع كالدما قالاً «ربها كان يحبني ولكنني اراني  
سيء الطالع ٠٠ لاتي ابدل جهدي في طاعته ولم يكن هو كافني استدعاه المولود ولكنني  
رباته يسأل عن خادم يرسله في طلبه فقدت تقني هذه الخدمة ٠٠ ولا ارجى منه غير  
الامر ارض واما بهمني ان يكون راضياً عني ٠٠»

قالت «انه راض عنك والا فانه سيرضى ٠٠٠ كن مطمئناً »

قال «انا اعلم انك تحبيتي وتسعين في استرضاه والدي ولكن يظهر ان آخرين  
يكونون لي عنده ٠٠٠ وهو اسلامة ينتهى ينخدع باقوالهم » قال ذلك ووقف، واظهر انه  
يريد الطرح لثلاثيسيؤها تام جديشه فاقوفتها وقالت «من تقى باولذلك الكاذبين ؟»  
قال «اعني جماعة تعرفتهم وقد قبضوا على عقولنا وقلوبنا واموالنا باسم الدين»  
تعلمت انه يعني الموليدان (الكمان) فقالت «فهمت مرادك واظنك تعمدت الرجوع  
وجدك الالية ولم تأت معك بالمولود ؟»

فتحجح وبلغ ريقه ثم قال «لم اعد ذلك ولكنني لم اجد ، في وقت النار فلم ابحث  
عن في مكان آخر لأن دخول الموليدان الى ينتها يفسده ٠٠»  
فقطلت كلامه قاتلة « اي لا اوافقك على ذلك لأن اولذلك الموليدان يصلون لاجانا  
هم بركتنا وليس لنا تغزية بدونهم وارى والدنا يعتقد ذلك فلا يجب ان تخالفه »  
قال «لا انكر ان ينتهي انساناً صالحين ولكن بعضهم من اهل المطامع يريدون كل  
شيء لا نقسمهم ٠٠ ما لنا وطن الآخر واما بهمني ان لا يكون والدي نافقاً علي»  
قالت «اما هذا فانا ادبره فاذهب الى فراشك مطمئناً »  
فخرج وهو مطاطي راسه يظهر الانكسار وحالما خرج ذهبت هي الى فراشها ولما خلت  
بنها عادت اليها هواجسها ولم تنم تلك الليلة الا قليلاً

## الفصل الثاني عشر

### ضرغام

وأصبحت باكراً فافتئت بطرفها وذهبت إلى غرفة والدها بثوب البيت فرأته جالساً في سريره وهو أحسن حالاً من الأمس ففرحت بصحته وسألته عن حاله فقال « قد نمت براحة شكرًا لا أورم زد وأشعر اليوم بنشاط ... لم يبلغك قドوم الأشرين إلى فرغاته ... قد كنت على موعد من بيته في هذا العيد »

فلا سمعت منه اجفلت وقالت « لم أعلم يا سيدى ولم جاء ولم ياتينا بعد ... »  
قال « من لي بين يبحث عنه »

فقالت « اذا امرت ان نبعث من يطلبها فعلنا ولكن لو اتي فرغاته جلانا بلا دعوة »  
قال « صدقت ... وهل ذهب أخيك ليستدعي لنا المولد اليوم ؟ »  
قالت « انه خرج في الفجر باكراً ليبحث عنه لانه تأسف البارحة لتغيرك عليه ... »  
قال « نتظر رجوعه ... استفي شربة ماذ من بذلك »

فسرها انه يرناح الى ذلك فاسرعت بنفسها فاتته يكأس فيه ماء وقدمه اليه فشربه وانتعش ودفع الكاس اليها فندقته الى الخادم وعادت واذا بال حاجب دخل وهو يقول « ان ضيئقاً قادماً من العراق يريد مقابلة المرزبان »

فصاح المرزبان « هذا هو الاشرين » وظاهر الارتياب في جبيته ولم يسأل من هو قبل ادخاله على جاري العادة فقال « ليدخل » واستفت جهان لوجودها هناك ولو استطاعت ان تشق الخاطئ وتخرج منه للعمل ولكنها تخجلت مراعاة ظاهر ابيها فوقت وقد انتبهت نفسها فه JACKت ثلاثة يدو ذلك عليها

اما الحاجب فوسع السرور داخل القادرم فلما اطلق اجفلت جهان وبدت الدهشة على وجهها واقترب القباغها الى ابساط وتحول امتناع لونها الى تورّد لأن القادرم يكن الاشرين وإنما هو ضرغام - فلما رأاه المرزبان ابتسם له ورحب به وصاح « ضرغام ! اهلأ بولنا ضرغام خلنتك صديقنا الاشرين ... هل انت قادم من العراق ؟ »  
قال « نعم يا مولاي ... »

قال « وهل أني الأفدين معك »

قال « لم يأت معي ولكنني علمت يوم خروجي من العراق أنه عازم على الجيء إلى  
أثروي وآتته أني »

وكان ضرغام شاباً في نحو الثلاثين من العمر قد كمه الله حلقاً وخلفاً . فكان ربع  
القامة مثقلة بالجسم عريض المكتفين واسع الجبهة كبير العارضين كث اللحمة تلوح البسالة  
وعلو الملة في عينيه وتنجلي الروأة وصدق المهمجة حول شفتيه . على رأسه قلنسوة  
قرمزية حوطها عمامة سوداء وقد ليس قباه سماوي اللون تندفع حوله بتنطلقة عانق بهأ سيقاً  
قبضة مذهبة وتحت القباه سراويل من الخز الارجواني . وفوق القباء حية سوداء  
وقد اقامت قامة الابطال اذا وقف حسبه جلاً راسياً  
دخل على المرزبان في ذلك الصباح وهو لا يعلم ان جهان هناك فلم تكن دعسته اقل  
من دعشتها

اما هي فلما وقع بصرها عليه لم تعد تعلم كيف تخفي بعثتها اذا استطاعت اخفاء خلقان  
فالماء وارتعاش اعضائها فكيف تستطيع اخفاء ما ظهر من التوره في وجنتها او الاشراق  
في عيتيها — وقد نسيت حال والدها من المرض واصبح هماها ان تلاحظ ما يهدو منه نحو  
حياتها من ترحاب او انعطاف . فلما رأته يرحب به فرحت وكانت بمحاب الصنم فاستدنت  
على العضادة وتشاغلت بمحاب الصنم من القبار مخافة ان يهدو ارتعاشها . ولم تقطع  
وجهها لان نساء تلك البلاد لا يعرفن الحجاب يومئذ ولا سبأ جهان فقد كانت تستكفي  
من تغطية وجهها وتعد الحجاب جيناً وضفناً

اما ضرغام فلما سروره بتلك الصدقه . وساعدته في اخفاء عواطفه السلام على  
المرزبان فاكب على يديه يقبلهما . فما له بوسادة جلس عليها وجلست جهان على وسادة  
آخرى واحد للمرزبان يسأله عن حاله فقال ضرغام « قد أمررت في الزيارة باكرأ لا تكون  
اول من يهتئك بهذا الامر جان المبارك ولم اكن اعلم انك منحرف المزاج فارجو ان  
تكون احسن حالاً »

قال المرزبان « اصبحت مرتاحاً اليوم وقد زاد سروري برؤشك وانت تعلم  
حياتك »

فانحنى ضرغام شاكراً وقد سره هذا الانعطاف ولكن سروره لم يكن شيئاً يذكر  
بالنظر الى سرور جهان فكانت تسمع كلمات ابيها وقلها يرقس فرحاً فاجابه ضرغام « اني

اشكر لبنيدي المرزبان التفاه الى ضيفه وقد تأكّدت فضله على من قبل وانا غرس لسته  
فتناهى المرزبان على سمع ذلك الاطراء قائلاً « هل انت قادم تو؟ من العراق؟ »  
قال « نعم يا سيدي وقد وصلت الى فرغامة مسا، الامس »  
قال « وكيف فارقت القوم هناك؟ »  
قال « فارقهم في شاغل من المشاكل وكل واحد يخاف صاحبه ويحذرها » وبشئين  
عليه بعنه من غير جسه ٠٠٠ وانما الغلبة اليوم للجند التركي  
فقال « قد علمنت ان الخلية الجديدة المعتصم بالله ٠٠٠ لما افضت الخلافة اليه استدانت  
في تأييدها باخواله الاتراك قاتلته وفي جلتهم الاشرين ملك اشروسنة وانت »  
فاعيجه إقران اسمه باسم الاشرين ولكن اراد التواضع فقال « ان الاشرين عنون  
كبير الخلافة واما أنا فلا استحق الذكر »  
قطع المرزبان كلامه قائلاً « ان لك مستقبلاً عظيماً لما اعلمه من بسانك وعلو  
هيبتك ٠٠ انك لعم القائد البطل ولا بد انك ارتقيت في جند الخلية »  
قال « نعم قد اصبحت بفضل مولاي رئيساً لحرس »  
قال « رئيساً لحرس الخلية؟ »  
قال « نعم يا سيدي »

فبان السرور بوجه المرزبان والتفت الى جهان وهو يظهر الاعجاب بذلك التقدم  
السريع على عادة المجب بامر يسمعه ان يطلب مشاركة الحضور في المعايدات فرأى جهان  
شائخة الى ضرفاً تسمع حديثه وتکاد تلتقطه بصرها ٠ ولو ادفى المرزبان اذيه من  
صدرها لسمع خفقان قلبها ٠ أما هي فاقبضت لفتها فتحولت بصرها اليه وسايره باتسامة  
اظهرت بها أنها مشاركة له بمحاجاته وسكتت وعيناها تكلمان كلاماً لم يفهمه والدها وأباها  
فهمه ضرفاً وكان يعييها بنظرات يوجهها نحوها في اثناء الحديث  
اما المرزبان فناد ل الكلام عن الجند فقال « اظن في العراق الآن جمّاً كبيراً من  
الاتراك الجنديين »

قال « انهم يزبون على عشرین ألفاً من هذه البلاد وفي جلتهم اباء ملوك فرغامة  
الاخشيد وغيرهم » (١)

فقال « أنته رغب في تجنيدهم لعصية والدته فيهم »  
 قال « لا يخلو أن يكون ذلك بعض السبب ولكن السبب الأهم أن دولة المسلمين  
 هذه عربية الأصل كما تعلم ولما نهض المسلمون للفتح كان الجند كلهم عرباً ففتحوا الامصار  
 وأسسوا الدولة وظلت الجنود معظمها عربية كل أيام بي امية ثم قام الفرس بنصرة  
 البياسيين وشاركتهم في تأسيس دولتهم فاشتد ساعد الفرس وضفت أمر العرب وما زال  
 الفرس يتوعون إلى أيام المأمون الخليفة السابق فاصبحوا هم أهل الدولة وفي أيامهم احتل  
 والمقد ، ولا يخفى عليك أئمما زالوا من أول الإسلام وهم يذوون رد السلطة إلى الملوك  
 الأكسرة »

## الفصل العاشر

سامراً

فلا وصل إلى هنا تهدى المرزبان تهدى عميقاً فادر لك ضراغم أنه ياسف لضياع دولة  
 الفرس فتجاهل وسار في حديثه فقال « فلما افاقت الخليقة إلى المعتصم منذ بضع سنين  
 أصبح خائفاً من الفرس وخصوصاً لاتهم قتلوا أخاه الإمام وسلموا الدولة إلى أخيه وإن  
 أخوه المأمون على نية ردها إلى الفرس بمدحه » فلم ير المعتصم خيراً من أن يستعين  
 عليهم بقوم أشداء لم تنظم الحضارة فعمد إلى تجنيد الأراك كاعملت »

فقال « وهل هم يقيرون في بغداد ؟ »

قال « كانوا يتقىون هناك إلى عهد غير بعد فتضيقين البغداديون من جوارهم لأنهم  
 كانوا يؤذون العوام في الشوارع وربما رأوا الواحد بعد الواحد قتيلاً في الأسواق<sup>(١)</sup>  
 فابتني لهم المعتصم مدينة سماها « سر من راي » أو سامر<sup>٢</sup> واختطف فيها الحاطط واقتلع  
 التعلق على حسب القبائل وبجاورتهم في بلادهم وأفرد أهل كل صنعة بسوق وكذلك  
 التجار في الناس وارتفع البيان وشيدت التصور وكثُرت العمارات واستبعطت المياه  
 وتسابع الناس ان دار الملك قد انتقلت إلى هناك فقصدوها وجهزوا إليها من أنواع  
 الأعنة وسائل ما يتنفع به الناس فكثر العيش وأنعم الرزق »

(١) تاريخ العدن الإسلامي ١٥٦ ج ٤

فأغبى المربان لهذا التدبر فقال «فهي اذا مدينة كبيرة ٠٠٠ وحل بي الاراك على دينهم او غيره»

قال «لا يعنني على مولاي ان معظمهم يبدون الزرادشتية ولكنهم اصحابا الآن مسلين . ومن اغرب التدابير التي درتها هذا الخليفة لاستبقاء هذا الجندي قويًا كم هو الآن انه ابعده عن اهل البلاد ومنع رجاله ان يتزوجوا منهم . ورأى ان يزوجهن بنات تركيات يستجيئن بالشرا من تركستان وقد ارسل وفقاً لابياع هؤلاء الجواري فافتتحت هذه الفرصة واستأنذت في مرافقه هذا الوفد فائتى الى فرغانة بهذا السبب .

قال المربان «قد سرتني قدومك باولاده وفرحت برؤيتك وكان اورمز قد دبر ذلك حتى اراك قبل ٠٠٠» قال ذلك وتغيرت سمعته وبان الاقبال في وجهه لكنه شاغل بالسعال ومع شاريء وعيته حتى لا يظهر اجهائه البكاء . فاختلس جهان في اثناء ذلك انسنة بادتها مع ضراغم وقد سرّها تعدد والدها اليه ولكنها تأثرت من يأس ايتها . وهي ارغب في بقائه بعد ما عاينته من رداء على حبيبها وتأكيد عندها الله لا يائع باقتراحها به وعززت على عذابيتها بذلك في أول فرصة

اما المربان فاراد ان يشغل ضراغم عما يدا منه فقال «وكيف والدتك المسكونة؟» قال «في في خير الحمد لله لافتت لحظة عن ذكر مولاي والفضل عليه علينا وتذكر على

الخصوص مولانا جهان لانها شديدة التعلق بها ٠٠٠ فرأيت جهان سيدلا لخاطبته فقالت «مسكونة أكتاب ٠٠٠ اني احبها حبة الابنة لوالدتها ولم اق امرأة اطيب قليلا منها وقد كنت كثيرة الاستئناس بها

وهب» المربان بفتحة كان شيئاً نبيه فقال «أين سامان؟ هل اق الموبد ٠٠٠ ادعوه لي حالاً ٠٠ ان سامان لا يعود عليه» قال ذلك وهو رأسه هزة كلها معان فنهض ضراغم وقال «انا اذهب لاستدعائه فاني اعرفه واعرف مكانه»

قال المربان «لانكاب نفسك الذهاب وفي تصرفا عشرات من الخدم والخصيان ٠٠٠ ولو لم يقصد سامان للذهاب بنفسه لكان لنا غنى بواحد منهم»

قال «قد احسن سامان بتصديقه اجلالاً لامرائيه واذا اذن مولاي ان اتولى ذلك انا فعلت»

قطع المربان حديثه قائلاً «كلّا لا تذهب انت»

قال «تاذن لي ان ابعث خادمي بل رفيقي وردان فاني لم اأكل اليه امراً الا اقده

ولوركب اليه على رؤوس الاشنة » قال ذلك وخرج وصالح « وردان »  
 فاتاه رجل في نحو الاربعين من عمره خفيف العضل خفيف الالعية يظهر من يرؤه من ابروز الله  
 وسائل ملاعنه انه ارمي . وكان قد دخل في خدمة ضراغام بسامراً من عهد قرب و لكنه  
 اكتب ثنيه <sup>سريراً</sup> لما آتته ضراغام من علو همته و شاهده و شدة جبه له فكان يعامله  
 بمعاملة الرفيق و اي ان يسميه خادماً لانه آلس فيه من غرة النفس والانفة ما لا يعهد به  
 بالخدم فاختذ رفيقاً له واصبح بضمبه باسفاره — فلاجا وردان وقف بين يديه وعليه  
 عافية مستديرة ومرأويل قصيرة وفروة من جلد الغنم فقال له « هل عرفت بيت الدار  
 الذي مررتنا به مساءً الامس وعليه الانوار والابيات ؟ »

قال « نعم »

قال « اذهب الى هناك واسأله عن الموربد وقل له ان المرزبان يطلب حضورك  
 في هذه الساعة ولا ترجع الا وهو معك »  
 فأشار مطليعاً وخرج

اما جهان فاصبحت شديدة الرغبة بخلوة تحدث فيها ضراغاماً وتشاكه الفرام وكانت  
 تشعر ان رأسها مملوء بالاخبار التي ياذ لها كثتها له على عادة الحب اذا فارق حبيبته فانه  
 لا يرى شيئاً او يسمع خبراً او يخطر له خاطر الا ويشعر بليل للاقابة حبيبته ليشركه في ما  
 رأه او سمعه او خطر له وقد يكون ذلك مسبباً في زيادة الشوق فيسرع في اللقاء واذا  
 التقيا وفرغا من التشاكى والتعاب عمدوا الى مبادلة الاحاديث وقص الاحبار وبث  
 الامراض كان الحب امتزاج الارواح فيستلزم امتزاج الشعائر والافكار  
 فلا عجب اذا اشتافت جهان بمحاللة ضراغام بعد ذلك الفراق الطويل ولا حاجة الى القول  
 انه في مثل شوقها وطفتها . وكانا في حيرة كيف يتسلى لها بذلك . فاذا بالمرزبان ينادي  
 جهان قائلاً « مري المهرى . وهو قيم الدار . ان ينزل حبيبنا ضراغاماً في القصر و هو في له  
 ما يحتاج اليه ومتى فرغ من ذلك مر به بالجيء الى » فاني احتاج الى الاختلاء به حينما ينها  
 بأني الموربد »

فسرها هذا الطلب وخرجت لاجراء ما امر به والدها وقد سبقها ضراغام الى قاعة  
 خصوصية تعود ان يرعاها جالة فيها

# الفصل الرابع عشر

بيت النار

اما ورдан فانه خرج باسرع من بحث البصر ولم يكن فيه شيء من طابع الخدم الا الطاعة  
العمياء لفقرام ولما خلا ذلك فقد كان فيه مناقب كبار الرجال وشعر فرغام بذلك  
فعامله معاملة الصديق



بيت النار — كاران شاه

وما خرج وردان من قصر المرزبان حتى رأى الناس يتزاحمون عليه بافراسهم وهداياهم  
وعلائم اثواب العيد وهم ينتظرون الاذن بالدخول فلما رأوه خارجًا بهلة ومجملة جعلوا يتزاحمون  
عن سبب عجلته وتتجاذب بعضهم فالله عن حال المرزبان فلم يجهه وظل سائرًا حتى تجاوز  
القصر الى الشوارع وقد تراحمت فيها الاصدام وتصادمت المراكب والناس في شابل من  
امر العيد بين راكب وماش زرافات ووحدات يحملون الفاكهة والحلوي ويتبادلون هبات  
المعايدة . فلم يهمنه شيء من ذلك وظل سائرًا حتى اخل على كاران شاه (بيت النار )  
والاعلام تتحقق على سوره وحوله مقاصير تعد بالعشرات تقيم بها السدنة والخدم والتوازم

وقد تراجم الناس بيابه وهو مزين بالريحان . فتظاهر وردان أنه واحد من عددة النار وقد جاء لاداء فريضة الزيارة فدخل إلى صحن ذلك المعبد فرأه مفروشاً بالديباج والطربيط يحيط به اروقة مستديرة قد علقت فيها السماوات المطرزة وبعضاً مرصع بالحجارة الكريمة وانصل من ذلك الصحن إلى باحة المعبد حيث يلتقيون الصلاة فإذا هي يقمعه مرعدة في وسطها بناء معمود شكله منيع مستطيل في وسطه شبه الباب يصعد إليه بخمس درجات (الظرالشكل) . وحول الباحة أحواض ملتصقة بالجدار قد أوقدوا فيها النيران واحرقوا البهور فتصاعد دخانها في الفضاء وعلى زوايا القبة اجران تصاعد دخانها كأنه تصاعد عن مئات من اثنالها على أعلى السور . وفي بعض جوانب الباحة هو اليسار وعاء مستدير على بالنطف قد اشعلوه من فوهه فيه فتصاعد النيب كالزرارق واصطف الناس حوله بين جلوس ووقف وهم يخشعون أو يصلون . ورأى رجلًا واقفاً على الدرج غلنه المويذ نهره بالذهب إليه فاعتربه «رجل» على رأسه قلنسوة مستطيلة هرمية الشكل عرف من ينظرون أنه أحد السدنة فلما رأه السادس اعترض سبيله فوق وردان فقال السادس «ماذا يريد ياسيدي ؟

قال «أريد مولانا المويذ .. أليس هذا هو ؟

قال «كلا .. أن المويذ في شاغل الآخر»

قال «وأين هو ؟

قال «مالك وله ؟ .. إذا شئت الصلاة او البركة بهذه النار في الاجران»

قال «بل أنا أريد المويذ»

فحول الرجل وجهه عنه وهو يقول «إنك لن تظفر برؤيته إلا بعد الصلاة» فاستمهله قائلاً «لا تنقض ياسيدي فاني غريب وقد أتيت من خوكند بالامس وعهدني بكم تكرمون الغرباء»

فتججل السادس ووقف له وقال «لم تأت للصلاحة او الاقتباس ؟ فهذه النار المقدسة فاقبس ما شئت»

قال «بل أنا أريد المويذ»

فتقدم السادس وهو يدلي فاصمن اذنه ويقول همساً «ان المويذ في خلوة مع بعض الكبار» في هذه الحجزة ( وأشار الي حجرة نحو العين ) فالظاهر خروجه او ا فعل ما شئت «

ـ قد وردان يده الى جيده وخرج ذاتير دفتها الي وهو يبتسم ويقول « الا

تأذن لي ان اذنو من الحجرة اصلي بجانبها استسأً بـ «ولا نال المويد»  
 فتناول السادس الدنائير وقال «أفضل ولكن أحذر ان يشعر بك احد»  
 فقال «طبعاً» وهرول نحو الحجرة على نية ان يدخل على المويد بجهلة ويلعنه امر المزبان  
 فلما وصل اليها وقع نظره على المويد ومعه رجالان بلياس فاخر حرف احدهما وهو الاشرين  
 اما الآخر فخالما وقع بصره عليه اخليج قلبية في صدره لانه يشبه رجالاً في نفسه منه امر  
 عظيم تفترس فيه فاذًا هو الرجل بعينه فاستغرب وجوده هناك وهو اصبيح (نائب) بابك  
 الظرمي وعدده انه في اردييل بارميانيا فـ «الذى جاء به الى فرغاته وبين البلدين سفر طويل»  
 وبعد ان كان ورдан مسرعاً لمقابلة المويد تراجع ثم وقف وهو ينطaher بالصلة والدعاه واعمل  
 فكرته في سبب هذه الخلوه في بيت نار الجوس بين الاشرين فـ «اائد جند المسلمين ونائب  
 بابك الظرمي الـ "اداء المسلمين" خدثته نفسه ان يستطلع ذلك السبب بالليلة قبولاً  
 الى فرجة توادي الى مستبروراء الحجرة فيه فـ «اذفة تشرف على داخلها بمحيث بـ "باب الجلوس"  
 فيها وـ "لامرون" قـ "تربيص" واحد يتغرس في الجامة فـ "رأه" جـ "البلدين على بساط من الدياج" -  
 المويد يقلنسونه وـ "قيـ "الارجواني" وـ "بين يـ "ديه الاشرين بـ "عـ "مامته حول القـ "لونة والـ "امـ "بيـ "هـ  
 بالـ "قلـ "نسـ "ونـ " بلا عـ "امةـ . وـ "كان يـ "هدـ " الاشـ "رين بـ "لـ "بسـ " الجـ "بةـ "الـ "سودـ "اءـ شـ "عارـ "الـ "عبـ "اسيـ "ينـ فـ "اذـ "اـ "هـ "زـ "يـ "باءـ  
 اـ "رجـ "وـ "انـ "يـ "يـ "صلـ "يـ "يـ " كـ "بارـ "الـ "جـ "وسـ " فـ "ذـ "كـ "الـ "مـ "يدـ " وـ "يـ "عـ "رفـ " الاـ "شـ "رينـ مـ "سـ "لـ " رـ "آـ "ءـ "يـ "صلـ "يـ " بالـ "مـ "جدـ "يـ "ـ  
 سـ "امـ " غيرـ " مـ "رةـ " فـ "اـ "نـ "ذـ "يـ " جـ "عـ "لـ "يـ "يـ "صـ "لـ "يـ "يـ " كـ "يـ "نـ "ارـ " وـ "لـ "مـ "يـ "سـ "تـ "رـ "بـ "عـ "جـ "وسـ "يـ "اـ "صـ "بـ "يـ "يـ "ـ  
 لمـ "يـ "عـ "تـ "قـ "يـ " اـ "سـ "لـ "ـ . فـ "قـ "عـ "دـ " وـ "اظـ "هـ " اـ "نـ "دـ "لـ "ـ اـ "وـ "اصـ "لـ "ـ اوـ "صـ "لـ "ـ اـ "وـ "اصـ "لـ "ـ اـ "ـ  
 المويد يقول «لا بد لنا من التوز بعون اورمزد واما يجيب علينا ان نصبر»  
 فقال الاشرين «اننا صابرون ولا اغلن اصطبارنا يعلو على شرط» وقطع كلامه

وهو يلح ربه

قال الاشرين «لا باس من الصبر وان حال ولكن لا ينبغي لصاحبك بابك ان لا يغير  
 اعتقاده في»

قال الاصبيح «انه لم يغير اعتقاده فيك ولكنه راك اطلت التقرب من اولئك  
 اليهود الذين سموهم مسلمين<sup>(١)</sup> او عرباً وقد ارسلني اليك للاتجتاع بك في هذا المهرجان  
 على جاري العادة لاذكرك بمدحك بين يدي حضرة المويد»

فضحك الاشرين وقال «ربما ظلم صاحبك انت غافل عن العهد الذي عقدناه هنا

(١) ان الجوس المحادين للسلمين كانوا يسمونهم يهوداً (ابن الائير)

منذ بضع سنين<sup>(١)</sup> ومعنا الماز يار صاحب طبرستان اما اذا فاسأل خصراً الموبد هل افت بهدي ؟

فأشار الموبد برأسه ان «نعم»

فاستطرد الاشرين كلامه «قائلًا» ان هذه النار تشهد على فهديننا .. قل لاخي يا ياك اني لا ادخل وسيلة في جمع المال وارسله ولا اخطو خطوة في حزب او سلم لدى الم Harm المقص الا انني اتفيت عليها مالاً ارسله الى خزيتنا سيف الشروسة .. واما الماز يار فانه «يتم على العهد ولم يحضر معنا هذا العام لاصباب خصوصية لكنه» كتب اليه «يختفي على اليات وانه اذا تحركنا كانت هو طبرستان كلها معنا فانه اشد غيرة منا على التخلص من هذه الدولة الطاللة والرجوع الى دولة الفرس الحبيبة»

فقال الاشيهيد «ذلك هو عهد مولاي فيك ولكنك راكط الرضوخ حكم اولئك اليهود كانوا اصبحت واحداً منهم حتى تصدت لهم بغير مرارة»

فتحقق الاشرين وعزم رأسه قائلًا «المثل يقال ذلك ؟ وهل يخفى تصدري على اخي يا ياك ؟ ألا يعلم اني اذا خربت طربه انا افضل ذلك اخفاً» لغرضي ولكنني اترقب الفرس فاذَا سُخِّنَ فرصة مناسبة اتي انه بها وقنا جميعاً قومه رجل واحد فتناول امنية قصر عن نيلها ابو سليم الطراساني وجعفر البرهكي والنضل بن سهل وضيّر من دعاء الفرس .. الا نعلم ان هؤلاء اما افسدوا تدبیرهم بالجهلة ؟ ومثل هذا الامر يتطلب التردد والصبر وافتتاح الفرس»

ثالثت الموبد الى الاشيهيد وقال «صدق الملك يا يقول الله» رجل عشك قفل لولادنا يا ياك ان يتربص معنا او ارمزد يساعدنا فقد ثبت بعمل رأبته بالامس ان وفت النوز قد دننا فلا يخفى ان تغير نياتكم فيضيع علينا سدى»

وكان وردان يسمع ذلك الحديث وهو يرتعد من الدهشة لما شاهده وسماعه فقد رأى قائد جند الخليفة يكتم الجوسية ويجالى عدو المسلمين على الابقاء بالدولة عند ستوح الفرسة .. واحس مع دعشه انه اكتب ملائحة قوية يهربه عند الحاجة .. ثم رأى الموبد يغزى للهوض ونهض الاشرين ورفيقه وتلائماً اخفاً حلقة حاملها تقول وردان باسرع من لمح البصر حتى وقف في مكان من صحن الميكيل يلتقي فيه بالمرزبان عند خروجه

(١) تاريخ طبرستان لابن استفتدار

وكان الناس مشغليين بالاتقباس والدعاء فابنهم السادس يتروج المويذ قفيهاوا التبرك  
بطلعته ووقف وردان بحملتهم يقلدهم بغير كائهم فإذا بالمويد يختظر بشوب يهز البصر بالوانه  
ونطريزه وفي عتقه عقد من الجوهر ويده صولجان قبضته مذهبة وهو قابض عليها يضرب  
الارض بعصاه ويحيى مشية الخيلاء والناس يطأطئون له رؤوسهم  
فلا راء وردان يقترب منه تقدم نحوه وأكب على يده يقبلها وهو يقول « ان مولانا  
المزيان يدعوك اليه الساعة لامر ضروري »

فعلم انه يعني والد جهان لانه وحيد هناك فقال « هل اشتد المرض عليه؟ »  
قال « لا ادري ولكنني اجي اعي ان تنقضلي بزارته حالاً وارفي ان لا اعود الا  
واتت معي »

قال « افي ذاuber انتظري خارجاً »

خرج وردان وهو يعاذر ان يراه الاثنين لثلايدرك انه اطلع على شيء من سره وله  
صار بالباب رأى مركبة قد شد إليها فرسان عليها العدة المذهبة فعلم انها معدة للاثنين  
والناس قد وقفوا ينظرون إليها وهم يتتساولون عن الفسقين اللذين احتفل بها المويذ  
هذا الاحتفال

وبعد هنمية خرج المويذ فركب في العربة وركب الاثنين الى جانبه وهو ملثم وأشار  
إلى وردان فركب على احد الترسين وساروا يطلبون قصر المزيان

## الفصل الخامس عشر

تركنا ضرغاماً في انتظار جهان بغرفتها واهل القصر لا يرون باساً من اجتماعها نظراً  
لما يعلونه من منزلة ضرغام عند مولام ولأن جهان لا تخجج عن الرجال . جلس ضرغام  
على كرسي في بعض جوانب الغرفة وليث في انتظار حبيبه وهو على مثل الجمر وقد همة  
ما شاهده من مرض ابيها ونشاهد من ذلك لكن اشتغاله بالشوق لجهان وشدة رغبته في  
مقابلتها انسيا كل شاغل  
وما همت ان مع صوتها يهان باب الغرفة تكل المهر وتوصيه بما امر به ايها خلق قلبه

ثم دخلت فلما أقبلت عليه خف لقائها وكلها يتضم قوله يتفق وقد نسي الدنيا ومصالحها كلها انتقالا من عالم الشقاء الى عالم الحب مقر السعادة والمناء - واذا العبر الفلسفة تقبل الدرس بما يدعوه من ادراك البشر فلا يمثل حال المقيمين فيه مثل سعادة حبيبين تصاهي وصفا لها الزمان وخلا لها الجلو فاجتمعوا وطنقا بتشاكيان لا يزعجا رفيق ولا يخامر قليها شك او غيرة — تلك هي الجنة لو لا ما ينطويها من التصر او يعرض لاصحاحها من طوارق الحدثان

فلما رأت جهان حبيبه واقفا لاستقبالها هشت له ومدت يدها لاصحافه فد يده وقبض على كتفها وقلبه يتحقق وعيشه تبركان . واذا كان وهو الشجاع الباسل الذي لا يهاب مواقف القتال لم يبال ذلك عن الرعدة فكيف هي معها بلغ من رياضة جاشها وتعقلها فانها لا تخرب عن طبيعة المرأة الحساسة . وفي مثل هذا الموقف عذر للحب على ما يتولاه من لوعة الغرام عند ذلك الققاء بما يغير في عروقه من الغاردي الکوريائية — وابتدأ خرمام بالكلام فالآ « لقد اطلت الفنية عليك يا سيدتي »

فاحتذبت يدها من يده ونظرت في عينيه نظرة الحب العاتب وقالت « لا تقل سيدتي بل ... » وتشاغلت عن اقام الكلام بالقعود وهي تدعوه اليه قعده كل منها على كومي وادرك هو مرادها فقال « كيف لا ادعوك سيدتي وانت جهان عروس فرغانة وبنات المرزبان وانا خرمام اليتيم ابن آفاتاب الارملة المسكونة »

قطعت كلامه فاتله « بل انت سيدتي ومولاي ... ليس لاتك رئيس حرس الملك او قائد جند الخليفة ... ولكنك سيدتي لأنك شهم باسل ... لا ... ولا هنا ايضا يزيدك رفعة في عيني ... اني اشعر بشيء آخر يعجزني التعبير عنه ... اشعر بسلطة لك على ... اذا لم تسعني بالتعبير عنها كنت حزينة باشة » قالت ذلك وتوردة ويتناهها وغلب عليها الحياه فعل انها تعنى الحب وان الحياة ينبعها من التصرع فقال « ان العامل الذي تحبسن ضرماماً المسكون اصح به سيداً فلا عجب اذا جعل الاميرة جهان اهلاً ... فانا اذ اعبدك يا جهان ... »

فتالت « قلت لك اني عاجزة عن اداء ما في خاطري او بيان اسبابه واغا اعلم انت مازلتك عندي لا تفهومها منزلة أحد على وجه هذه البساطة ... ومهبتي الان ان لا انسفع الوقت سدى اذ اخشى ان يأتي الموبد فيدعوني الى اليه ... » ولما ذكرت والدتها تذكرت حالة فتهدت ثم استدركت قالت « ان وقتنا ثمين يا حبيبي ... يا حبيبي ... ساخنني

اذا دعوك بـهذا اللقب قبل ان تدعوني انت به ۱۰۰۰ آء من سلطان الحب»  
 فقال وقد هاجت ابجعاته «لا يحق ل احد ان يبدأ بهذا التصریح سواك وقد فعلت  
 حق يکون لك الفضل في كل حال ۱۰۰۰ وهل اجرس انا ان ادعوك به قبل ان اسمعه من  
 فيك ؟ ۱۰۰۰ فامد الله على ذلك ۱۰۰۰ حق» لي الآن ان اسميك حبيبتي ۱۰۰۰ آء ما شعرت  
 هذا الانفظ في في وما اسوغه على قلبي ۱۰۰۰ وكم كرتته في خلواتي وكم ثقيت ان اسمعه من  
 فيك ۱۰۰۰ وقد سمعته ۱۰۰۰ فهل في العالم رجل اسعد في ۱۰۰۰ ؟  
 فتشاغلت باصلاح شعرها واطرقت وهو لا ينحرل نظره عنها وکانه «هم» ان يضمنها  
 بجهدي تبیأ من ان يقين علیها بنراعیه فلارآها مطرقة وقد بدا الاهماق في عيادها اخليع  
 قلبها في صدره وتوجه اتها سخطه من بين يديه فقال «ما بالك مطرقة يا حبيبتي ۱۰۰۰  
 جهان ما بالك ؟

فرفت بصرها اليه وابتسمت وقد فهمت ما خالج خاطره وقالت «لا تذهب بك  
 الخارق الى مكان بعيد .. اني لم اسميك بذلك الاسم وانا اخاف احداً او اخشى باسم  
 ولا سيما بعد ان آتست من والدي ما آتسته من الارياح لك والتعلق بك ۱۰۰۰ ولو لا  
 مرشه ۱۰۰۰ لو لا مرشه ۱۰۰۰ وسكتت

قال «ارجو ان يشفي قريباً» ومکث وعيشه تفسران في عيلها وكل منها يقرأ  
 فکر صاحبه ولعلها قرأت اکثر ما قرأ هو فقالت «ضرر غام ۱۰۰۰ لا يبني ان يغلب  
 الصعب على جهان حتى تخفي احسانها عن حبيبها وتحمّل على الشك في شيء من اسرها»  
 قد تعاشرنا اعواماً وعرف كل منا صاحبه حتى امترجت روحنا فاما في الارض فوة تستطيع  
 التفرق يتناوارا تي غير قادرة على الاستقلال بغيري او حباني عنك .. فاما اشعر انك  
 مفي وانا مشك .. فاما فكرت في شيء رأيت فكري يبرء قبل بروزه على تلك كارات ان  
 قواها واما تخيلات حادثة كان خيالك لنصب عيني يتحول يدي وينها ولا ترسم في عقلي  
 صورة الا و فيها شيء من صورتك .. فهل بعد ذلك يستطيع البشر ان يفصلوا يتناوارا  
 استطاعوا التفرق بين هذين الثوین الباليين فهم ماجزون عن الفصل بين روحينا  
 وفكرينا ۱۰۰۰ ولکتنا مقيدون على امر عظيم ۱۰۰۰ فاما خباوزناه ۱۰۰۰ وسكتت  
 وحولت وجهها عنه خشية ان يبدو له ما يتردد في ما قيدها

اما هو فاسکر تعبيرها واعجز ما رأها فيه على انه لم يفهم مرادها فقال «وما الذي  
 يخيفك ؟ ۱۰۰۰ لا اعهدك تخافين ولك من تعلقك ونبات جأشك حصن حصين .. وهذه

أروحي زن يديك أرمي بها من ثلاثة »  
 قالت وهي تبدي الاحجام « سلمت روحك يا ضر غام .. اني لا أخاف شيئاً اذ ليس  
 في الارض قوة تستطيع ان تبعدني عنك ... و كنت أحذر ان أوّل من والدي  
 يهراً او قوراً فذهب حذري اليوم ولكنك مريض .. فسأله ان يشفى قريباً »  
 قال « يشفى باذن الله .. وهل تخافين شيئاً آخر .. »

قالت « آتوق اموراً كثيرة خفيف غيري ولكنني لا أخافها لاني اعدها اعراضاً  
 وانت الجواهر فاذا كنت لي فقد ملكت الدنيا وما فيها ... اعذرني على هذا التصرع  
 وخططي بيته فاني لا احب التكتم والتزدد »

قال بالفحة وعزم ثابت « تريدين ان اصرح بالي احبك او اني اترك الدنيا لاجلك  
 لهذا حاجة بالي ذكره والظمان لا يطلب منه الاعتراف بمحتاجه الى الماء والتعن  
 لا بأس هل يخفى السعادة .. وانا بدونك ظمآن بلا ماء وحبي بلا سعادة وانت سعادتي  
 وحياتي وانت كل شيء .. »

فابرقت عينها وسرّي عنها وقالت « اذا كان هذا عزمك فهو كل ما ابغية ..  
 ان اسمع صوت سامان في الدار ... وربما دخل علينا فيقطع حدثنا ... فتجهن على  
 هذا المعهد وسأغنم ايالك والدي فاختطبه بهذا الشأن ثم اخبرك بما يكون » قالت ذلك  
 وخففت للاستroph وادا بخيزران قد دخلت وفي وجهها اقبال وملة فهمشت جهان  
 الاقطها فابتدرتها خيزران قائلة « ان سامان دادخل على مولاي المرزاean »

قالت « وهل أني المولود معه؟ »  
 قالت « لا .. »

نهزت رأسها وحرقت اسنانها ثم قالت لها وهي تشير الى ضر غام « هلرأيت ضر غاماً؟ »  
 قالت وقد علاها الحigel « لم ارم يا سيدتي ... اعذرني لدخولني بهذه الهيئة فقد  
 شفقت على سامان لعلمي ان والدك يستأله من دخوله عليه وقد اوصى ان لا يدخل  
 عليه احد ... « وتحولت الى ضر غام فجئته باحترام واكبت كلامها بهم بتقبيل يده «  
 فرد التحية وابتسم لها وكانت يستائس بحاله بمحبها لجهان وقال « مالي اراك  
 تخافون دخول سامان على والدك »  
 قالت جهان « لان والدي تغير عليه امس لاهاته امر المولود بعد ان اغتصبه في استقدامه

غير مرأة قام يستقدمه » قالت ذلك وخرجت وهي تقوله « استاذك في النهاية الى والدي لحظة ثم اعود »

## الفصل السادس عشر

### الخلوة

فليست ضرفاً في مكانه وسارت جهان حتى اتت غرفة والدها فرأى سامان واقفاً بالباب وال الحاجب يمنعه من الدخول وهو يجاجه بغضبه فحالات ينهمها وقالت « ما بالك يا أخي؟ »

قال « إن هذا الرجل يمنع من الدخول على والدي »

قالت « لا تغضب فإن والدنا في فراشه وقد أمرني بالخروج وادخل المهر يخاطب بعض الشؤون .. هل رأيت المويد؟ »

قال « لا .. لم أجده »

قالت « الا نعم ان رجوعك بدونه يغضبه والدنا »

وينها هما يتجاهن سمعاً المرزبان يقول من الداخل « لا تدخلوا عليّ سامان .. ادخلني يا جهان »

فالتقت الى أخيها وأبسمت وقالت له بصوت خافت « أذهب يا أخي الى الابواب ولا تذكر والدنا وساً عود اليك حالاً قلم يسعه الا الطاعة فتحول ودخلت هي فوجدت القلم جائياً بين يدي والدها ومامته اوراق ودفاتر وقلم ودواء ورأى سامان والدها جالساً في السرير وقد تغير وجهه وبدأ الاهتمام في عينيه فلما دخلت رفع بصره اليها وأبسم لها رغم ما يعلمه من الغضب قبضت له ودنت منه فقبلت يده وقالت « كيف تشعر الآن يا إبياه؟ أرجو أن تكون مرتاحاً »

فضحها اليه وقبلها وشمها وأطال معاشرتها حتى أخذت بدمعة حارة سقطت على عنقه فاقشعر بدنها وما صدق أنه أطلقها من بين يديه حتى نظرت في وجهه فرأى الدمع في عينيه فأثر منظرة فيها وكانه خاف على عواطفها فقال وهو يتكلف الابتسام « أتي في خبر .. لا أخافي .. سأعمل كل شيء في سبيل راحتكم .. اجلسي » وأشار اليه التبر

خرج وأغلق الباب فاعادت انظرها إلى ما بين يدي والدها من الاوراق والدفاتر و لما تحسن ان تسأله عنها

اما هو فشأب وأشار اليها ان تساعدته على التوسد فاعاده فاستلق وانكاكاً على  
وسادة وقال « قد علمت ان أخلاق سامان عاد هذه المرة ايضاً وحده ٠٠٠ فإنه لا يرى له  
صلحة باستقدام الموبد ٠٠٠ لا باس من ذلك ٠ »

قالت « ان ضر قاماً اتقى خادمه في استقادمه ولا يليت ان ياتي كن مطمئناً ٠ »  
لأن ذكرت ضر قاماً عمداً لترى ما يسدو من والدها

قال « ان ضر قاماً رجل كرم النفس وقد سرت بالقياه وهو جدير ان يكون اخاً  
لك وليس سامان الشرير ٠ »

فسرعاً اطتاب والده بمحبيها وهلت ان تقابله بشانه وإذا بال حاجب قد دخل وهو  
 يقول « ان الموبد بباب ومعه الاشين ٠ »

فلا مسع اسم الاشين اشرق وجهه وبعثت وقال « والاشين ايضاً ٠ »  
قال « نعم يا سيدتي ٠ »

اما جهان فلما سمعت اسم الاشين انقلب فرحاً الى اقباض وقت عن غير  
عزمها كلها تحاول الترار من رؤبة ذلك الرجل ولكنها تجلدت وقت تتذكر امر  
والدها فإذا هو يقول لها « لا باس من بقائك هنا اذا شئت والا فلاب الخبار ٠ »

قالت « اذن لي في المتروج ٠ »

قال « اخرجي وكوني معدة ٠ » فخرجت من باب سري في تلك الغرفة ثم التفت  
الرزيان الى الحاجب وقال « يدخل الموبد والاشين ٠ »

فدخل الموبد والاشين وراءه وتخلوا للموبد أولاً الى الصنم فوق براشه وتم  
والحق وقبل الاشين نحو ذلك

فأشار الرزيان اليها بالبلوس بقلسا والرزيان يرحب بها ووجه كلامه الى الاشين  
نالاً « لند لبطات علي حق اشتدى شوفي اليك ٠ »

قال وهو يحيط ذقه وقد شاب معظمها انه كان في نحو سن الرزيان « وقد كنت  
في شاغل خصوصي ولم اصل الى فرغاته الا اليوم وفي حال وصولي اتيت اليك ٠ كيف  
انت ٠ »

قال « اني كما ترى وقد جئت في ابان الحاجة اليك ٠ » ثم التفت الى الموبد وقال

مع الاحتزام « ارسلت في طلبك غير مرأة فلم تأت »

قال « لم يأتني احد قبل الآن »

قال « أرسلت اليك أخي سامان أمس واليوم قال انه لم يوجدك في كاران شاه »  
فاستغرب للوبذ كلامه وقال « أني لم أفارق المعبد منذ ثلاثة أيام بسبب المهرجان  
وقطاير الناس إلى فرغاته لا لاقتباس وأيقاء التدور .. وكيف تدعوني إلى موريلا أحضر  
بل كيف يسأل عنك في المعبد ولا يخبروني .. لا شك أن ولدنا سامان لم يسأل عنك أو  
لعله سال غير المارفين »

فحرق المرزبان اثنانة غيطاً وقال « بل هو لم يسأل عنك .. ولا ادرى غرضه  
من ذلك او لملي ادرى ولا اقول .. وفي كل حال فقد آن وقت الكفاية .. وهذا  
اخي الانثرين شاهد » ثم صفق فدخل الحاجب فقال له « لا تاذن لأحد من الناس إياً  
كان ان يدخل علينا وإذا سألك أحد الاستثنان .. فلا تستاذن اغلق الباب وراءك »  
فأشار الحاجب مطيناً وخرج واغلق عليهم الباب

## الفصل السابع عشر

### الوداع

اما جهان فنادرت الغرفة ورجلاها تصط يكن انفعالاً من رؤية الانثرين بعد ان  
رأت اهتمام واليها باعداد الورق والدواة والقلم وسارت توًما إلى غرفة فرآته واقفاً بالابواب  
وحده خالماً وقع بصرها عليه سري عنها ونبت هواجسها وكانت تذكر باخيبها وتذوي الاستئثار  
عنه « فالأنها غرفة كل شيء »

اما هو خالماً راحاً مقبلة تقول غروها وساًها عن حال ابيها  
فقالت « الله احسن حالاً من الصباح وقد ذكرك ذكر احسناً وقال انه كان يبني  
ان تكون انت في مكان اخي سامان .. ولكنك متكون فوق مكانه » قالت ذلك  
ونظرت إليه نظرة اخذته عن شرح كثير

قال لها وعيناه تضحكان « اشكرك على حسن ظنك يا جهان .. وكيف تركت  
والدك الآن؟ »

فنهدت ثم قالت « لم تعلم بجيء الاشرين والموبد؟ »

قال « هل اتيا ..... والاثنين ايضاً ؟ اني لم اشاهد ورдан بعد »

قالت « نعم اتيا معاً .. هذا الذي كنت اخوفه .. ولكن لا يأس الان .. طالما  
كان اي احسن حالاً »

قال « وابن ها ؟ »

قالت « ها عند والدي وقد طلب الخلوة بها وخيرني بين البقاء معهم والطروج  
فهلك الطروج لخالص من رؤيتهما ولكي اشاهد جنبي ضراغاماً »

قال « ها اذاً في خلوة معه واظن هذه الخلوة سطحول فهل تاذين بالصرافى ثم اعود  
بك بعد هنية ؟ »

قالت « الى اين تصرف وتتركني ؟ »

قال « اذا شئت بقيت طوع ارادتك ولكنني اذا ذهبت لا أطيل القباب »

قالت « اذهب بحراسة اورمزد ولا تبعطي »

فلما سمعها اذكر اورمزد قال « لمن اذكرتني شيئاً لا يأس من سؤالك عنه فهل اقول ؟ »  
فقرست في عينيه فقرأت فكره وقالت « اتفاك ستسألني عن اورمزد وات مدين  
بواه اليك كذلك ؟ »

فدهش لفراستها وقال « لم .. هذا سؤالي »

قالت « اني اكون طوع ارادتك ادين بما تدين به لاني لا احب فرافقك في الدنيا  
والآخرة »

فالعجب لتعلتها به فابتسم ثم قال « ولني سؤال آخر »

قالت « قل ما يدألك »

قال « انت تمدين تعلق والذى بالاقامة في العراق لسر لا اعلمك »

فقطعت كلامه وقالت « اني اكون حيث تشاء انت فان الدنيا كلها حيث تقيم ولا  
شيء مما تنا في فرغانة او غيرها »

قال « قد نلت الان ما اتناء وقبضت على السعادة بيدى فهل تاذين بالصرافى  
لارى الوفد الذين حجتهم قادر سيبلا لتخلف من حجتهم ثم آتي اليك ؟ »

قالت « اذهب بحراسة الله .. ها اني قد جاريتك منذ الان » فضحك وودعها  
خرج بعد ان بعث من يستقدم وردان

## الفصل الثامن عشر

### الاحضار

فَلَمَّا رأَهُ خارِجًا تَحْتَ لَثَبَابِ فِي اُثْرِ قَبَاسَكَتْ وَاسْتَرْجَمَتْ رَشْدَعَةَ وَفَكَرَتْ فِي مَا هِيَ فِيهِ مِنْ أَسْبَابِ الْقَلَاقِ وَالْأَشْعَلَابِ لِرَضِيَّ إِلَيْهَا وَإِذَا مَا أَسْبَحَتْ يَتِيمَةَ لِيَسْ هَلَا أَخْوَهَا وَهِيَ لَا تَتَخَاصِهُ وَلَا تَتَوَلَّ عَلَيْهِ وَمَا ذَكَرَتْ وَالَّذِهَانُ ذَكَرَتْ خَلْوَةَ بِالْمَلْوَدِ وَالْأَقْشِينَ فَجَهَقَ قَلْبَهَا خَوْفًا مِنْ تَلَكَ الْخَلْوَةِ وَقَامَ فِي ذَهْنِهِ هُوا جِنْ كَثِيرَةِ وَعَخَارِفِ شَقِّ مَا تَعْلَمَهُ مِنْ مَطَاعِمِ الْمُوَيَّدَانِ وَدَسَائِمِهِمْ وَقَدْ أَصْبَحَوْهُ بَعْدَ حَادِثَةِ الدِّينِ وَتَحْوِلَ الْكَهَانَةَ إِلَى مَرْتَقِ لَاهِمَّ لَمَّا الْأَجْمَعُ الْأَمْوَالَ بِإِيَّاهُ وَسَيِّدَةَ كَانَتْ وَيَسُولُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ يَا تَعُودُوهُ مِنْ غَسلِ الْبَيَّنَاتِ بِالصَّلَوَاتِ وَالْمَقَادِيدَ إِذَا تَفَادَمْ عَهْدَهَا وَتَوْلَاهَا أَهْلَ الْمَطَاعِمِ نَطَرُقَ إِلَيْهَا الْفَسَادُ وَاصْبَحَ شَرًّا عَلَى النَّاسِ مِنَ الْكُفَّارِ حَقِّ بَقْوَةِ مِنْ يَقُومُهَا وَشَقِيقَهَا وَلَمْ تَكُنْ جَهَانُ شَدِيدَةُ الْمُنْعَقِ بِإِذَا الْكَهَانَتْ لَمَا كَانَتْ تَكْشِفَهُ بِغَرَاسِهَا مِنْ نُوبَا لَاهِمَ وَخَنْبَا لَاهِمَ وَأَنْسَا كَانَتْ تَدِينُ بِالزَّرْدَشِيَّةِ مُنْهَبَ إِلَيْهَا عَلَى غَيْرِ تَفَهُّمِهِمْ أَوْ تَعْدِلُ لَاهِمَا وَلَدَتْ فِيهَا فَثَبَتَ عَلَيْهَا كَاشِتَ عَلَى سَائِرِ طَادِهَا وَأَخْلَاقِهَا — شَأنَ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ مِنْ الْعَامَةِ فَانْهَمَ يَدِيَتُونَ بِهَا بِالْفَوْنَةِ مِنْ صَفَرِهِمْ وَإِذَا كَبَرُوا وَتَفَقَّدُوا وَدَلَمُ الْعَامِ عَلَى مَظَلَّةِ الْنَّقْدِ فِيهِ اغْتَرَرُوهَا فِي جَانِبِ مَا غَرَسَ فِي قَلْوَبِهِمْ وَعَقْوَطَمْ مِنْ مَبَادِيهِ فَأَسْبَعَ الْدِينَ كَالْجِنِّ يَهْبِطُ لِهِ الْمَرْأَةُ وَيَصْرُهُ غَيْرَةُ وَجِيَّةٌ كَمَا يَنْصُرُ هُرْضَهُ وَيَذْبَحُ عَلَى حَيَاشِهِ وَلَوْلَمْ يَسْقُدْ صِيَانَتَهُ عَلَى أَنْهَا كَانَتْ تَتَظَرُّ إِلَى الْمُوَيَّدَانِ وَأَمْشَلُمْ لَفْظَ الْمُسْتَخْفِ بِعَا يَقُولُونَهُ وَرِزْعُونَهُ فَلَمْ تَكُنْ تَخْتَرُهُمْ لِاعْتِقَادِهَا عَبْرِهِمْ غَنِّ غَيْرَ مَا تَوَقَّعُ إِلَيْهِ تَفَوُّسُهُمْ مِنَ الْكَسْبِ الْمَالِيِّ وَلَمْ يَكُنْ اخْتَلَاءُ الْمُلْوَدِ إِلَيْهَا يَهْمِهَا لَوْلَمْ يَكُنْ الْأَقْشِينَ مَعَهُ وَهِيَ تَكْرَهُهُ غَفُوْا بِالْأَسْبَابِ ظَاهِرَهُ وَمُخَافَفَهُ لَاهِمَ مَلِكُ ذُو الْأَوْانِ وَجَنْدُهُ وَكَانَ إِلَيْهَا يَخْتَرُهُمْ وَيَمْوَلُ عَلَيْهِ عَلَى أَنْهَا وَهِيَ فِي تَلَكَ الْمُواجِسِ وَقَعَ نَظَرُهَا عَلَى بَسَاطِ فِي تَلَكَ الْفَرْنَةِ رَأَتِ فِي جَهَةِ مَا عَلَيْهِ مِنْ الرَّسُومِ الْزَّوْكَشَةِ سُورَةَ اسْدِ رَابِصِ عَيْنَاهُ شَرَارَكَانَ فَتَحْمَسَتْ وَتَذَكَرَتْ حَيْبَاهَا لَانَّ اسْمَهُ مِنْ اسْمَاءِ الْاَسَدِ وَقَلَما تَذَكَرَهُ ذَهَبَتْ مَخَاوَفُهَا وَهَانَ عَلَيْهَا كُلُّ شَيْءٍ تَخْذِرُهُ أَوْ تَخْشَاهُ إِذَا كَانَ حَيْبَاهَا يَقْرَبُهَا وَهِيَ غَارِقَةٌ فِي هَذِهِ الْمُواجِسِ سَمِعَتْ وَقَعَ أَقْدَامَ عَرْفَتْ أَنَّهَا يَخْطُواتْ خَيْرَ زَانَ التَّهْرِمَةَ فَجَهَقَ قَلْبَهَا تَوْقِيًّا لِخَبَرِ تَسْمِعَهُ فَلَمَّا أَقْبَلَتْ عَلَيْهَا حَيْبَاهَا وَقَالَتْ «أَنْ سَيِّدِي الْمَرْزَبَانَ

يدعوك اليه ٠٠٠ لكن تجدلي يا جهان مثل عهدي بك ٠٠٠  
فلا يهمت تحذيرها او جست خينة ولم نسألها عن سبب ذلك الخذير اعتقاداً على قدرتها  
لأن تحمل الخدمات . وأكترت ان تبدي لطفتها فشت مسرعة وقبل وصولها الغرفة تذكرت انها  
سرى فيها الموبد والأشرين فانقضت نفسها ولكنها خللت سائرة حتى وصلت باب الغرفة  
لرسم لها الحاجب فدخلت وعيتها مجهشان نحو سرير والدها . فرانه مستلقاً وعيناه  
لأشخاص نحو الباب وقد غثي بها الدمع وتكررت اهديها من كثرة البكاء . وحالاً وقع  
بصره عليها ابسم ابتسامة لا حياة فيها ولو لا يرق تبink العينين وما يجيئ فيها من الحنو  
واللية لفته بيضاً . فنالكت ودنت من السرير لافتت الى ما بين يديها كلها ثراء في خلوة ،  
اما هو فلا رأها احسَّ بنشاط جديد فبسط ذراعيه وفتح فاء ليغاثيها او يرحب بها فامتنع  
عليه النطق فاكتفت بحركة شفتيه وترامت على صدره ولو لثبات جأشها لاغني عليها لانها  
تفقفت في تلك الغلطة انها لا تثبت ان تصير بيضة وحيدة ومع ذلك فانها غابت عن تعقلها  
لانها امسكت بذراعي ذلك المختضر ونظرت في وجهه نظرة الاستعطاف كلها توسل اليه ان  
لا يتركها فسبقتها العبرات وبكت وهي تمسك اقسامها لثلاثة يسمع شريقيها واطرق تللا  
لتأثير دموعها

اما هو فلم يفتح ما خامر قلبه منحزن واخوف واراد تعزيتها فعماه النطق ولم يزد  
عن ان حرك شفتيه واخرج صوتاً يشبه الهينمة وحول نظره واشار يده نحو الاشرين  
والموبد . فالتفت فرأى الاشرين جالساً وفي يده لفافة من الورق . فلما رأها تنظر اليه بعد  
إشارة والدها أراها اللفافة وابتسم لها ابتسامة التعزية . وكان الموبد والآباء مهانين القتال يصلى  
ويوضع فالتفت اليها وهو يظهر الاسف والحزن على حال المرزبان . فلمحت جهان  
خلاصة ما تم في تلك الحلقة وهو ما كانت تقوفه وتختبر الواقع فيه . على ان اشغال  
خطارها بحال والدها شغلها عن التفكير بسواء . وأعادت النظر الى ذلك المريض وصاحت  
«إيُّ كيْف أنت ؟ إلك في خير . ٠٠٠»

فأراد ان يجيبها ويطمئنها والبشرجة تمنعه من الكلام فاحسنت ان استلاقها على  
صدره يضافقه بخلست بجانبه وقبضت على يده وذا في مكossa بعرق يارد فكادت تصيح  
دونول لانها تحققت ان والدها في آخر ساعات الدنيا وتجددت لكنها لم تستطلع امساك  
دموعها فاطرقت والدموع يتتساقط على خديها وقد زادها احتباس العواطف تورداً وزاد  
بنيها بريقاً . واما والدها فان سرعة تنفسه وخرير صدره ودنو اجله لم تقدره شيئاً من

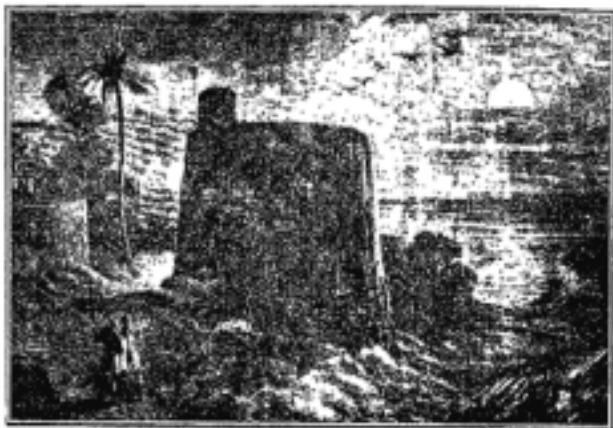
رشده ولا انته ايتها الطيبة وردد لو يطلق لسانه ليقول كفلا او كلام تلذتها وتنزهاها ولكنك غلب على امره مع ما ظهر من مجاودته في محاولة الكلام والضعف ينبعه . فلما تحقق عجزه عن تعزيتها اثار اليها ان غرغ وتظاهر انه يربد الرقاد فوقت وهي ترند وركبها تصمـاـكـان لـانـدرـي اـطـبعـ الدـهـاـ اـمـ تـقـ يـنـ بـدـيـهـ شـدـوعـ منـ رـؤـيـهـ  
 ثم راهه يزداد حشرجة وملائـاـ ويدبر راسه ويحـاتـ كـانـ يـخـاـولـ التـهـوـضـ ولاـ يـقـوىـ عليهـ واـخـيرـاـ وجـهـ نـظـرهـ الىـ جـهـانـ وـشـخـصـ يـصـرـهـ فـيـهاـ فـرـاتـ مـاءـهاـ جـفـ وـذـهـبـ مـنـهاـ بـصـصـ الـحـيـاةـ وـكـانـ هـمـ انـ يـسـطـ بـدـيـهـ خـوـهـاـ فـلـمـ تـرـقـمـ الـأـ قـاـيـلـاـ ثمـ شـقـ شـهـقـ اـجـفـلـ طـاـ الحـضـورـ وـفيـ آخـرـ اـقـاسـهـ وـارـخـيـ يـدـيـهـ وـقـدـ سـكـنـ صـدـرـهـ وـهـمـ جـسـمـ وـاظـلـمـ عـيـاهـ وـتـرـاـخـتـ اـبـيـهـ وـبـرـزـ اـقـهـ وـوـجـتـاهـ وـاصـفـرـتـ اـصـفـارـ الـمـوـتـ وـقـدـ تـبـشـ شـعـرـ لـيـهـ وـرـاسـهـ حـقـ اـصـبـ منـظـرـهـ مـرـيـاـ . فـلـمـ تـمـدـ جـهـانـ تـعـاذـرـ شـبـئـاـ فـصـاحـتـ «ـوـوـالـدـاـ»ـ وـحـاتـ شـعـرـهاـ وـلـطـمـتـ وـجـهـاـ وـنـسـامـ اـهـلـ التـصـرـ صـوـتـهاـ وـبلغـ اـخـيرـ الـقـرـمـانـةـ فـرـكـتـ واـخـذـتـ يـدـ جـهـانـ وـجـلـتـ تـخـفـتـ عـنـهاـ وـفيـ تـكـيـ وـتـنـدـ لـاـ يـزـهـاـ كـلامـ وـلـاـ يـخـفـ عـلـيـهاـ ماـ يـقـالـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـحـالـ مـنـ عـبـارـتـ الـتـرـيـةـ وـفـيـ لـاـ تـشـيـ غـلـيلـاـ

## الفصل التاسع عشر

ولما قي الامر اخذ اهل القصر في اعداد المأتم على جاري العادة عند المغوس فخلوا ابلية والبسوها ثوبًا ابيض ووضعواها على دكة في غرفة كبيرة افرغوها من الايثاث وجلس الاخماء يدبون والوابد يصلي ويدعوه وهم يومئون ويستغفرون . وبعد هذه اللحظة سامان وكان غائبًا عن البيت واخذ يتدبر والده ويعدد فضائله والناس يختلفون عنه . واما جمـانـ فـيـعـدـ انـ أـطـاعـتـ قـلـيـاـ سـاعـةـ الـوفـاةـ رـجـمـتـ الـىـ تـقـلـيـاـ فـغلـبـ عـلـيـهاـ السـكـوتـ وـاهـالـ الـنـكـرةـ . وـماـ الـذـيـ كـانـ تـنـكـرـ فـيـ سـاعـهـ ؟ـ اـنـهـ كـانـ تـنـكـرـ فـيـ مـصـدـرـ تعـزـيـتهاـ الـوـحـيدـ وـهـرـ ضـرـغـامـ اـذـ لـازـجـوـ نـزـرـةـ مـنـ غـيـرـ طـرـيقـ الـقـلـبـ . فـكـانـ وـفـيـ تـلـكـ الـحـالـ تـسـرـقـ الـحـظـ لـعـلـيـاـ تـجـدـ ضـرـغـامـ فـادـمـاـ قـتـعـزـيـ بـرـؤـيـهـ اـذـ لـمـ يـرـؤـذـنـ طـاـ بـجـدـيـهـ  
 وـاـذـاـ هيـ بـالـوـبـدـ يـشـرـ اليـهاـ باـخـرـوجـ الـىـ غـرـفـةـ اـخـرـيـ وـشـيـ فـيـعـتـهـ وـهـيـ مـطـاطـةـ

الإِرْسَ من الحزن وَبَعْدَهَا سَامَانْ فَلَا خَلَا الْوَيْدَ بَعْدَ قَالْ « لَا يَبْقِي لَكَ أَنْ يُبَالِنَا بِالْمُرْنَ عَلَى أَخْيَنَا الرَّاحِلَ فَانْ أُورْمَزْدَ مَعَهُ لَأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا تَقِيًّا مُحْسِنًا وَمُنْفَدِدًا التَّرِنَ عَلَى أَسْعَدِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَنَجَّعَلُ وَقُودَهَا التَّدَ وَالصَّنَدَلَ . وَلَا يَخْتَنِي عَلَيْكَ أَنْ رُوحَ وَالَّدَ كَامِ تَفَارِقُ هَذَا الْكَانَ بَعْدَ وَلَا تَفَارِقُهُ إِلَّا بَعْدِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَلَا تَهْرَنَا بِالْبَكَاءِ وَالنَّرْجَ . وَقَدْ أَوْصَى وَالَّدُ كَامِ بِتَفْرِيقِ الْمُسَنَّاتِ وَالْمُبَرَّاتِ وَهُوَ لَا رَيْبٌ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ التَّعْيِمِ . وَلَذِكْ فَانْ رُوحَهُ بَعْدَ أَنْ تَقْفَيْ ثَلَاثَ لَيَالٍ حَوْلَ الْجَاهَةِ تَصْعُدُ إِلَى الْأَمَانِ الْمَبَارِكَةِ ثَلَاثَيْ ضَمِيرَهُ بِشَكْلِ حُورِيَّةِ تَنَعِّسُ عَلَيْهِ أَعْلَاهُ الْمُحْسَنَةِ وَتَقْوُدُهُ إِلَى التَّوْرِ الْأَبْدِيِّ . وَمَعَ ذَلِكَ فَاتَّا سَنَوَالِي الصَّلَاةِ عَنْ نَسَهُ طَلْوَنِ الْسَّنَةِ فَلَا تَهْرَغَنَا . . . . وَلَكُنْ لَا يَدْلِي مِنْ أَبْلَاغِكَ وَمِيتَهُ عَنْ دَفَنهُ »

وَكَانَ جَهَانْ تَسْمِعُ أَوْهِي مَطَرَّقَةً تَلْقَى دَمَوعَهَا يَتَدَبَّلُهَا فَلَا قَالَ ذَلِكَ رَفَعَتْ بِصَرْهَا إِلَيْهِ وَفِي عَيْنِهَا مَلَاحِظَ الْاسْتِهْنَامِ فَقَالَ « قَدْ أَوْصَى أَنْ نَدْفَنَهُ فِي بَرْجِ السَّكُوتِ »



### برج السکوت

فَلَا قَالَ ذَلِكَ بَاتَتِ الْبَغْتَةَ عَلَى وَجْهِ النَّفَّاثَةِ وَأَخْبَرَهَا وَقَالَتْ « كَيْفَ ذَلِكَ ؟ وَافْتَأِ يَدْفَنَ فِي بَرْجِ السَّكُوتِ عَامَةَ النَّاسِ وَالْفَقَرَاءِ، وَمُثْلَ وَالَّدِي يَدْفَنَ فِي حِجَرَةِ خَاصَّةٍ »

فَقَالَ « نَعَمْ وَلَكَنِهِ أَوْصَى بِدَفْنِهِ هَذَاكَ وَاسْرَإِلِي السَّبِيلِ الَّذِي بَعْثَهُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا اقْدَرَ أَنْ أَبْرُجَ بِهِ »

فَأَكْتَفَتْ بِقُولَهِ وَسَكَتَتْ إِمَامَ سَامَانْ فَلَمْ يَسْكُتْ فَقَالَ « كَيْفَ نَدْفَنَ إِيمَانًا لِلْمَرْبَانِ فِي

برج الكوت وات تعلم انه مدفن الادباء توضع فيه الاجساد على اسجار تعرض اليها  
ونذهب مثاماً للنور والنكوص لا يقتى منها ولا العظام لولا انهم يشدونها الى الحجر بالحبل  
او السلاسل ثم تطرح تلك القبور في البئر العميق بوسط البرج فتحتطلع عظام العظام  
والجمرات و .. انتا تزيد حنظ آثار والدنا في حجرة خاصة ..

فاستغرب الموليد اعتراضه ولم يعره الثنائة واثنا قال له « هذه وصية النبي صلى الله عليه وسلم  
مولانا الاثنين وقد دوتها يوصيته التي سنتلي عليكم بعد بضعة أيام » قال ذلك وتحول  
الى قيم القصر فاوسمه بما يبغى اعداده للدفن مما يطول شرحة اما سامان فقد قُبِّل لاحقاً  
الموليد اعتراضه واصبح في شرق الاطلسي على الوصية التي اشار اليها  
قضى القوم بضعة أيام في المأتم وتواجهه من رسوم وتعازز وعمرقات واحسانات وصلوات  
وجهان شرقي رجوع ضرغام وهو تعزيتها الوحيدة فشقق بالاما ابطاؤه وزادها حزنها مع علها  
الله في شاغل قد يعيته عنها عدة اسابيع - ولكن الحب كثير القلق مريع الخوف، على امها  
انت من اخيها سامان ثريا وناظمتها لم تهدتها في قبلها .. فلم يعد يقاربها لحظة وكذا  
راها تختفي خلف عنها .. ولم يكن غافلاً عن تعليقها بضرغام وان لم يفتقها بشأنه من قبل  
فاكثر من ذكره في تلك الاثناء وبالغ في الثناء عليه مع انه كثيراً ما كان يحسن لها  
الثبيول بسواء ولا سيا بابك اخري فقد ذكره لها ورأى تنهها فلامها .. اما يومئذ فالخذ  
يجارها في هوئها ومع كونه اجهوداً لا يعرف الحب ولا يشعر بمحاذيب الحسين فقد  
سامده ذكراً ودهاؤه على معرفة تلك النقطة الفعينة فيها

واما جهان مع فراستها وسوء خلتها باخريها فلها كانت تلذ بمحبيه ويسراها انه يحب  
حبيبه وبهيب بمناقبه وبياناته وخصوصاً لان اخاهما القرب من تستثيره بأمره بعد موته  
ابيها وان كانت لا تنتهي رأيه لوحالها .. ولكنها استأنست به واخذت لتناسى ما كانت تهده  
من نقصانه او تحالفه من مطامعه - ذلك هو سلطان الحب فانه يحب ويضم وصاحبه مهما  
أوتي من الحلكة والتعتل اذا وقع في شراكه قد يدق حكماً في كل شيء وقد يمد من كبار  
أهل الدعا والسياسة او من كبار العلامة او الشعرا او الفللسة ويفيق داهية في كل أمر  
الاً من حيث حبيبه او ما يتعلق به فانه يكون كالطفل يقاد بخيط وقد يغلب عليه الهم  
في بعض الاحوال حتى يصدق المخجل وينتقد الخرافات اذا كان في ذلك التصديق وهذا  
الاعتقاد ما يسهل عليه اهتمامه او يعمّن له خاطرها - كاولاد الحنون مها يلغ من انكاره  
الهزات ونكتبه اغترافات اذا مرض ابنه ونلقيت فيه حيل الاطباء فادته رغبته في شفائه

الى تصديق وصفات الرجالين او تزعم المحبين . اذا وصفوا له تمويذة يرثمون ان  
عليها ينتق الغلام او شرب ما ثناها او غير ذلك يشفيه عمل بتذليلهم وتنامي عمله وحكمه

## الفصل العرون

### الوصية

وكان المورد والاشرين يترددان على فصر المزبان في اداء المأتم القيام بالواجبات  
وسامان في شوق شديد الى الاطلاع على وصية والده وبعد اقصاء المأتم جاء المورد وطلب  
الاخلاص بجهان واخiera فلما اختلوا اخرج من جيبه اسطوانة من فضة فتحها واستخرج منها



المورد وبيده الدرج الملفوف

درجاً ملفوفاً وهو يقول «هذه هي وصية والدك التي عهد بها الى مولانا الاشرين بحضورى  
والغفت الى جهان وهو يقول «والحق يقال ان والدك قد احسن الاخيار بالقاء مقابل

## الوصية الى صديقه الاثنين

فاصاختت جهان بسمها وسامان جامد لا يتحرك . ففتح المويد الدرج وقال « وقد اوصاني مولايا الاثنين ان ابلغكما الوصية ثم ادفعها اليكم فاصنعاها وتقعنها » واخذ يقول : « هنا ما عهد به المرزبان طهماز في فرغة وهو في آخر يوم من ایام الحياة الى الملك الاثنين جدر بن كاووس صاحب اشروسته وقاد جند المتصم بحضور المويد صاحب بيت كاران شاه ويمونة اورمزد المظيم . في اليوم العاشر من شهر خرداد ماه من السنة للاسكندر . فالمرزبان طهماز يهدى الى الاثنين حيدرون كاووس ملك اشروسته وقاد جند المتصم ان يكون وصيًّا على اهله من بعده يتصرف بما خلفه من مال وعقارات تصرف الوصي المطلق بما يعود على الورثة بالخير يكتفى . نعم هذه الوصية . ولم يختلف المرزبان طهماز من الورثة الشرعيين الا ولدين شاباً هو سامان وشابة هي جهان . وقد اوصى بما يلکه جميعه لابنته جهان وحدها فهي الورثة الفقير بما فيه والمقارنات واهلها وما معهم من ماشية ودواب وطاكل ، بما خلفه من جارية ورقيق واثاث ومصاغ وآية ونقد . يكون ذلك كله ملکها بشرط إشراف صديقنا الاثنين عليه وتدبره بما يلهمه اورمزد اليه من اسباب النفع لها . أما ولدنا سامان فانه محروم من هذا الميراث كله لا يصير اليه منه مال ولا عقار الا ما يكتفي لميشه على ما يقدر الوصي . واما سبب حرماني ايام فيؤلني ندوته بهذه الوصية ولكن حق لا يتحقق بجهولاً وبذنب معي الى القبر فقد قصصته على الوصي بحضور المويد ويفنى مكتوماً عندهما الى حين الحاجة . هذه وصيتي كتبت امامي وقد صدرتها وختمتها بتوقيعي . وشهد فيها المويد ومن اخله يعرف منها كان ملحوظاً خسین لعنة . وقد فعلت كل ذلك باختياري وأنا في سلامه القفل وأوصيت ايضًا ان ادفن بعد موتي في برج الكوت في ضاحية فرغة وترك جثتي طعاماً للكواسر . وأورمزد يتولى القيام بهذه الوصية ويعين صديقي الاثنين على العمل بها .

(التوقيع)

وكان المويد يقرأ والاثنان سامنان حتى ياخ الي حرمان سامان . من الارث تغير وجه الشاب وامتنع لونه ولكن تبدل وكتلم حتى فرغ المويد من تلاوة الوصية فقال له « كيف احرمني والدي من حقي وانا ابنه الوحيد ؟ هذا لا يكون ابداً . انا وارث امي ولقبه وأما المقارن في ولاخي جهان » .

قال المويد « قد قرأت عليكم الوصية ولا سبيل الى غير ما فيها وارأي في كل

حال ماشد الى الاشرين .. وقد فرغت من رسالتي فأذنا لي بالانصراف وسيأتي الاشرين  
فيتولى العمل بالوصية والدولة تساعده على تفديتها بالقوة .. فانصح لك يا ولدي سامان ان  
تعبر على ما تألك من امر والدك » قال ذلك وخرج سرعاً وخرج سامان لتشيعه الى  
سلام الايوان .. فلما ودعه ونزل الحديقة وقف سامان ينظر اليه وبحرق اسنانه ويقول في  
نفسه « هذا ما كنت اخافه من عبيثك يا موبذ التحس كم ارساني والدي بطلبك والا  
اما طلبه واحتلال في تاخر قدموك خوفاً من مثل هذه الوصية لاني كنت شاهراً بما في  
نفس والدي علي » .. نعم اما اعرف سبب غضبه وكنت اخذه لا يعلم به ولكن ذلك  
لا يحرمني من حقي في الميراث .. صدقتك يا موبذ ان الامر راجع الى الاشرين العين  
وهذا اعلم من شخص ولعنه سعي في الوصية ليستولي على التركان لنفسه ويغموننا منها  
جيماً .. آه لو كانت جهان تطاوعني لكان نكيد له كيداً عظيماً ولكنها شديدة التشك  
يا ياخونه شرف النساء والارجحية و .. لكتني ساكيد لكم جيماً ، وكان يابسي نفسه  
هذه المخواطر وهو ينظر الى الموبذ وقد خرج من الحديقة وركب فرسه وسار في سبيله  
فرج سامان الى اخته

اما جهان فقد شق عليها اولاً ان يكون الاشرين وصيماً عليها ولكنها عولت على استخدام  
نعتها في ذلك .. ثم شق عليها حرماني اخيها من حصته بالارث واشترت عليه قلعاً عاد  
من داع الموبذ ابتسمت له وهي تقول « طب تسا يا اخي اناك لا تلائي فيها وانا في قيد  
الحياة .. وهب ان والدي حرمتكم من الاستيلاء على الاموال والعقارات فانا اعوض عليك  
ذلك وانت اخي الوحيد فلا ابعنك الا راغباً »

وكان يسمع كلامها وهو مطرق وقد لوى عنقه تذلالاً ومسكته فلما فرقت من فولها  
رفع يدها والدمع في عينيه وقال « لم يسمئي حرماني من الارث بقدر ما ساء في سبيه  
ناري ذنب ارتكبته حق اعامل هذه المعاملة؟ »

قالت « لا اعلم السبب ولا يعلمه احد الا الاشرين والموبذ وربما عزفناه في فرصة  
لخرى لكن مطمئنا ان الاشرين لا يليث ان يسافر الى بغداد وينهي محن هنا ولذلك بين  
ابدينا نصرف به كائنا »

فاثني على جيماً وکلم ما في نفسه وشق عليه ان يطلع الاشرين والموبذ على سبب  
حرمانه فسكت وهو يلعن ريقه وينهك ذئبه ولا شعر فيها .. وقد وهو غارق في بخار الامواس  
والمواسيس وفكه بشغل بتدبير المكافد ونصب الجسائل وجاف ان تتبه اخذه لما في خاطرة

فشنلها بذك شر غام فائلاً «لقد أبطة علينا البطل شر غام» . ولا بد لغبب من سبب قبرى»  
 فاسأها ذكره ما كانت فيه وقالت «يظهر انه بعيد عن فرغانة ولو كان فيها او قريباً  
 منها لما فاتته خبر المصيبة التي اصابتنا ولا يلبث ان يعود»  
 فقال «لو كان هنا خلت المصيبة علينا .. التي استأنس بعلمه .. لقد مهوه شر غام»  
 وهو كالضرغام .. وكم فيه من خصال ومتائب تتدرب في سواه ..  
 فوق ذلك الاطراء في نفس جهان وفوح الماء من الطنان دفع علمها ان اخفاها  
 يقول ذلك بمحاملة ومسايرة فقد اشرح صدرها لمجاعر واخذت تغالط نفسها وتيرهن في  
 سرها ان سامان يجب ضرغاماً وانها كانت مخطئة في زعمها الاول : وافتقت بالحديث  
 ثم انتقلت منه الى سواه تزيها له عن الابتذال ولنفسها عن مقلنة الخفة

## الفصل الخامس والعشرون

وينتها في الحديث انت الفهرمة نبي ، سيدتها عجي ، ضرغام خلق فليها ونيت  
 حزنهما لكنها ما لبشت ان وقع بصرها عليه حق تذكرت الحجاب والدها به وما كانت تتوقعه  
 من الدعاية لو بقي حياً فبكت ولم تستطع مع ذلك غير الابتسام لطيفها فاثر منظرها فيه  
 ففيها واحد في تمزقها فادت الى حزتها فبكت . وتحول نحو سامان وعزاه فقال سامان  
 «ان لا ينالك نعية كبرى وهذا هو حال الدنيا »  
 وتحولت جهان الى الغرفة قيمها ضرغام وهو بلاس السر قد عنته الى الجلوس بجلسوا  
 وهي تقول «لقد كانت مصيحتنا مضاعفة لغيرها يا ضرغام»  
 قال «كنت في مكان بعيد اضطررت للذهاب اليه تعجلاً لفراغ من المهمة التي  
 جئت من اجلها لأنفرغ لك ولكن .....»  
 قالت «وماذا جرى؟»

قال «لم يغير شيء ولكنني تناولت امرًا من اطليقة يستحقني بالرجوع»  
 فاطرقت ثم قالت «أن سفرك يسوء في كثيراً ولكنني .....»  
 قطع كلامها فائلاً «ولكنني ساق في فرغانة لأن فيها قلبي وعالي وكل جوارحي»

وأبيه وهو يقول ذلك ان سامان حاضر يسمعه فاجمل ودخل فقالت له « لا تجيئ ان  
أني عالم بما يبنتنا واراء يحبك كثيراً وعجب يساشك ومتناشك .. . ومع ذلك ظلم يبق  
له مالع يبنتنا من التصريح ولا ينفي لنا ان نخاف بأيّ .. . اما بقاوك هنا فهو خير ما انتقام  
كان علم ولكنني ارى ان تابي طلب الخلية لانه اكرمك ورفع منزلتك وربما كان في حاجة  
الى حسامك او رأيك .. . » قالت ذلك وفي صوتها ملء الافتخار ثم تجذبت وقالت  
« ام يطلب الاشرين معك ايضًا؟ »

فأجابه منها حبها الواجب وقال « لم اسمع انه دماء ولكنني اظنه يطلبها قريباً لان  
الدعاية تتعلق بحرب والاشرين كبير القواد كما تعلمون .. . ولكن كيف اسافر وانت في  
هذا المزن وكيف يرتاح الي وانت .. . »  
قطع سامان كلامه قائلاً « لا يأس عليها لان ابالا عهد الى مولانا الاشرين  
بالوصاية علينا .. . » قال ذلك وشققتاه ترتجفان من الغضب والخذلان

ذلك الفت جهان اليه وقد شق عليها تصريحه على هذه الصورة وكان في عزها كثبان  
الواصياء عن ضراغم حق لا تشغلي باله بلا فائدة له او لما لاعتقادها انه لا ينفي ان  
بناله منها الا ما يسره ويكون من اسباب سعادته لا أن تحمله التقالما وتذكر عيشه  
پساغلها — ذلك شأن المرأة العاقلة في معاملة رجالها فانها تكتمه متاهيباً ولا تربه الا  
ما يسره الا في الاحوال التي لا غنى عنده فيها

اما ضراغم فاظهر الاستغراب لما سمعه من وصاية الاشرين ونظر الى جهان مستعنها  
قالت « ان الاشرين صديق والدي وله فيه ثقة كبرى واراد ان يكرمني ويرضاني بعد  
موته فاومني الاشرين لي بهدٍ كتبه له واشهد المويد عليه .. . وما في ذلك شيء غريب  
فاطرق واعمل فكرته خططر له ان وصاية الاشرين وهو معه في العراق خير من وصاية  
رجل من اهل فرغانة لا سبيل له اليه .. . وعاد الى التفكير في السفر واحب ان يسمع رأيه  
في سفرها هي فنظر اليها وعيناه تسبقانه الى الكلام وهي لا تخيد فنظرها عنه فقال « اذا  
كان الامر كذلك فالاشرين ربي بيقي هنا ايا ما بدبرها ما عهد اليه فيطعن بالـ على عليك  
وانا بعيد عنك »

فادركت غرفة من ذلك قالت « لا يطول بهائي هنا الا ربي تتفقى مدة الحداد  
ثم اسافر الى بغداد فاني لم اعد اطيق البقاء في هذا البلد بعد وفاة والدي فيه .. . ومع ما الای  
من مواسنة الفرغانيين ومحبهم احسب نفسي غالية بينهم وخصوصاً بعد سفرك .. . »

وكان سامان يسمع ما يدور بينها ولا يشعر بها لأن قلب الاجروه اصم لا نادمه  
فيه ولا سبيل للعب اليه ولكن رأى من مصلحة نفسه ان يسايرها في تحابها فلما سمع اخوه  
تقول « وخصوصاً بعد سفرك » قاطعاً قالاً « لأنها أشواق الى صديقتها والدلك فقد  
كانت تحبها وتأنس بها ... »

فالتقت جهان الى اخيها لفترة توبخ لطيف وقالت « اني لا احب غير المراجحة  
واستقلال الفكر كذلك تظنني اخشي التصرع يعني ضراغاماً وما في الحب عار ولكن آه من  
مسابقة الاجل ... لومد اورمزد ياجل والذي عاما آخر لكتفانا ... » ثم استأنفت  
حديثها الاول فقالت « ان ضراغاماً غایة مرادي واتصي مطلبي في هذه الحياة واظنك تعلم  
ذلك وان لم اخطلتك به من قبل ... لم بل ترى في ذلك يأساً »  
قال سامان « لا ارى يأساً بمحبك ضراغاماً ... انه اهل لمحبتك ولو لم تسبقيني الى  
جهة فريا سبقتك انا اليه ... ولكنني لا اطيه يرقى بهذا البدل ... »

وتعجبت جهان لمحازحة اخيها مع عملاها بما في قوله من الغيظ متذمتع الومية ولكنها  
تعرف فهو الكظم والمعاه والخذل فلما سمعت مجازحة نظرت اليه شذراً على غير غضب  
ثم وجهت كلامها الى ضراغاماً قائلة « ان سفرك يسوغه ولكن ضروري ولا يضفي الا القليل  
على الحق بك » فقطع سامان كلامها فـ« قالاً » « وانا اكون في خدمتها حتى اصل بها اليك ...  
او الى والدتك ... »

فانت هي كلامها فـ« قالاً » « ولا تظن شيئاً من خطام الدنيا يحول بيني وبينك وربما  
كتبت اليك قبل سفري وانما يهمني ان تكون مرتاح البال من قبل » قالت ذلك وهي  
تعلم بما يهددها من المتابعة ولكنها كثيرة التمويل على نفسها كبيرة الثقة بتدييرها  
اما هو فكان خالقاً ان تنهي من السفر وهو يبيل اليه مراعاة لصالحه فـ« قالاً »  
ندعوه اليه زعده فيه وتعلق خاطره بالبقاء عندهما فـ« سكت وهو لا يعلم بماذا يحب فادركت  
تردده فقالت « ان يبقاءك يعني من اكبر اسباب سعادتي وهو ما انسى فيه ولكن الواجب  
يدعوك الى التهاب والقائد الاسل اذا دعى لبني والذى يدعوك انت اهو الخليفة مالك  
زقاب الناس »

قال سامان « كن مطمئناً اني ارأفتها وأكون في خدمتها حتى تصل اليك سالمة  
وانت في خبر وفائية »  
ولم يكن ضراغام يحتاج في لأدية واجبهاته الى تحريرهن لأنها ولد هاماً باسلاً حازماً

ولكنه نوهم في باديء الرأي ان سفره يسيّر جهان لانها لا تستطيع من افته لبيب  
المزن ولا يريد ان تبقى حزينة وحدتها فلما رأى ترغيبها اياه بالسفر عزم عليه فقال « اذا  
كان هذا رأيك وارادتك فاني طوع امرك وغداً اسافر ان شاء الله »  
واحسن سامان بثقل وجودة هناك في تلك الساعة وتذكر اموراً كثيرة تدعوه  
الى السعي والتذير فهمض واعتذر انه سيمود فقالت له جهان « لا تطل غيابك كالعادة  
لقد تغيرت الاحوال الان واصبح وجودك في القصر ضرورياً »  
فاثار مطيناً وخرج مسرعاً وهو يتمتر باذياق قياده اما ضراغم فاما رأى نفسه في  
خلوة مع خبيثه شعر كانه في ملجم غير هذا العالم وسي السفر وال Herb والرتب والألقاب وعنى  
لو تحول تلك الساعة الى دهر او يمتد الى الابد لا يلتئم معها طعاماً ولا شراباً ولا  
زراً كانه تغير عن المادة ورأى تجاذب الارواح لا يشوبه شيء مما يفتقر اليه اليدن من  
باب البقاء او تجزء اليه الشهوات من بواعث الملل - و كان الحب في اسلمه تجاذب وبين  
الارواح لا يفسده او يضعفه غير الجسد يمشي واته وأيماله . ولذلك رأيت الحب لا يبرح  
فربما دام عمرياً ولم تسمع باشد حباً من بين عذرة واكثر قتل الحب منهم ملفن رغب  
فيبقاء الحب فليتزه عن مطالب الجسد . فإذا فعل ذلك وكان الحب يعنيه وبين جسميه مبادلة  
اته السعادة ساغرة واباً للآلام الذين اعجزهم تثيل النعيم انه عباره عن تلذذ الارواح  
بالحب العاهر المزه عن مقاسات الجسد - ولكن الناس يعدون هذا التعبير من قبيل  
البليال الشعري . فما ادرانا ان يكون ذلك البليال في الارض حقيقة في الدمام  
والاختلاف على كل حال في ان اجتماع الحسينين في خلوة بعد فراق طويل مثل اجتماع  
جهان وضراغم يمثل السعادة الحقيقية . ولعلم جهان كانت اشد شعوراً بذلك السعادة بعد  
ما ازال الحزن من قلبها على اثر موتهما والنفس المازنة اخرج الى النعيم وآثر شعوراً  
بهما من سواهما . فاخذنا يتجاذبان اطراف الحديث وما حدثهما الا الشتاكى . وقد اسما  
موقعهما وطال حديثهما ولو لم تدخل عليهما القبر ما ناهي خير زران ليقيا في غفلة عن الوجود  
واهلها . وقضى كل منهما على صاحبه ما لقيه او فكر فيه ومرجع الحديث الى ما يتوافقه  
من السعادة عند اجياءهما الاخير في العراق  
وكانت خير زران لا تترك جهان برفة طوفية وحدتها لثلا تستسلم للحزان وكانت  
نحسها هناك منفردة بعد خروج سامان فاتت تفتقدتها فلما دخلت ورأت ضراغم اعدها  
نفحات وترجمت قادتها جهان فرجعت وقد اذعلها ما رأته في ذيذك الحسين من ظواهر

اهم كثورة الوجгин وبريق العينين وشخوص كل منها الى رفيقه يصره وسمعه +  
وكان دخولها يقظهما من رقاد او غاما من عالم الارواح الى عالم الاجساد + فدخلت  
خيزران وجنت ضر غاما والنفقة الى جهان وسائلها عن حلمها وهل هي تحتاج الى شيء  
قالت « لا احتاج الى شيء » . . . . . كيف رأيت ضر غاما يا خيزران »  
فاجفنت التهرمانة لانها لم تكن تتوقع سماع هذا السؤال وهو حاضر ببدت البذلة في  
وجهها وقالت « تأسيني عن رجل وقع منك هذا الموقف وانت سيدة القادة واعلمهم  
باقدار الرجال . فلن اثنى ان تجدي رأياً وانما ارسل الى اورمزد ان ينصحكم ما تمنيان »  
قالت « لعله فاعل » ثم سالتها عن سامان فقالت « انه خرج الساعة من القصر مستجلاً »  
قالت « لا يابس ان يمود » ووقفت فوق ضر غاما وقد اتبه لنفسه وقال « اناذين  
بانصرافي » . . . . قالت « ينز علي التبول بذلك ولكن . . . . . وغضت بريتها وهي تبتسم  
وتتجدد ثم قالت « سر عمروسا وكن مطمئناً علي » فاني لا البت ان الحق بك فقد كرعت  
الإقامة في هذه البلاد » . . . .  
فودعها وخرج وكان ورдан في انتظاره مع بعض اهل القصر فاصدره باعداد ما يلزم  
لارجيل الى العراق

## الفصل الثاني والعشرون

وعادت جهان الى القاعة وقد احست كأن قلبها خلع من صدرها ولم تعش هنيهة حتى  
عادت اليها هواجسها وندمت على ترغيب ضر غاما في النشر واحتلت تفكير في ما هي فيه  
فوقعت على التزدي بالحزن والتعقل حتى تخلص من تلك الوصية او ترى سبيلاً آخر .  
قضت برهة في مثل ذلك وسامان لم يهد . وفي اليوم التالي قضت باكرأ وضفت شعرها  
ولبس نوباً اسود تزملت فوقه بعطرف من الحز الاسود وغطت راسها بنقاب اسود  
ووجهها من وراء ذلك السواد كالقرن لو ان في القرن مثل تلك المعاي او لو كان له  
مثل تلك العينين الساحرتين . وخرجت الى الحديقة تمشي بين اشجارها سلاهي بالتلقل  
من شجرة الى اخرى حتى وصلت الى مقعد قعدت عليه واستقرت في تأملها وادا

بالقبر مانة انت مسرعة وهي تقول « سيدتي » اينت هنا ؟  
قالت « ما وراءك ؟ »

قالت « جاء » جاء الاشرين يا سيدتي وهو يطلب مقابلتك »

لم استغرب جهان ذلك الخبر لأنها كانت تتظره بل هي فرحت بقدومه لاستطاع غرضه  
ونذر وسيلة للتجاة من وصايتها « قهضت وهي تقول « اين هو ؟ »

قالت « هو في الايوان ينتظر قدوتك »

فشت بشبة الوقار والجلال كأنها ملك تحف به الاعوان لاتبالي بما سمعه او قوله  
لاغيادها على قوة جناتها وعزة نفسها « حق انت التصر وصلدت الدرجات المؤدية الى  
الابوان وهي تنشاقل بمخاطبتهما القبر مانة في شؤون لا اهمية لها مبالغة بعدم المبالغة اطلت  
على باب الايوان فرأيت الاشرين جالساً يصدره « قلما رأها خفت » لاستقبالها ومني  
للاقتها وهو يومئذ في نحو السبعين من عمره وقد ثابت حليته ولكنك كان يخفيها حراساً  
على مظاهر الشباب « وكان طويلاً القامة كبار العينين مستطيل الوجه والعنق وقد تبعد  
جيشه ويرزت وجنتاه وعلى رأسه قاتسوة قصيرة حولها حامة من انحر الملوش وقد لبس  
بناء بي الألون تظور السراويل من تحته ترف على قدميه وفوق القباء جبة سوداء وقد  
يتعلق عنتها بقطعة من صورة علق بها سيفاً قبضته مرصعة ومشي للاقتها مشية معجب  
بنصبه طرف بمقامه يحسب الترجيب بجهان تلطفاً او سازلاً « قلما دنا منها أيامه وقال  
« مرحباً بعروض فراغة . كيف تجدين نفسك اليوم » ومد يده لمساقتها فشد يدها  
لتقبض عليها وتابعاً في الازراج عنها فاقشعر بدنها واحست بنفور دفء عليه قلبها ولكنها  
اجابه على سؤاله قائلة « اني في خير تفضل اجلس »

نشاقل في الجلوس ربما جلس في على كرمي وجلس هو على كرمي امامها وعيناه لا  
تغوا لان عن وجهها وتوسمت في عينيه معاذ زادتها تغوراً منه فاطرقت حياءً وترفعاً فحمل  
ذلك منها محل الحزن فقال لها « ان المصيبة التي اصابتك كبيرة يا عزيزتي لان موته  
والدك رحمة الله خسارة لا تعيش وانت تعelin ما كان يتنا من صلات المودة ويو كد الك  
ذلك الله قد وكل الي الاهتمام بشؤونك بعده ... ولم يتعل ذلك طبعاً الا لعله ينزلتك  
عندك ... الم تشعري بذلك منه في حياته ؟ ... الم يقل لك كم انا مهيب بعمقك وذكائك »  
فاستغربت دخوله في الحديث على هذه الصورة ولكنها سايرته فقالت « كثيراً ما سمعت  
والدي بذلك مودتك ورفعة مقامك ... والاشرين صاحب الشروق من مشهور ليس في فراغة

ولا اشرمنته من لا يعرف باسه ويسعى بآعماله «  
فأجبيه اطراوه وجرأه على التقدم خطوة أخرى نحو الغرض الذي طالما كثيّه فقال  
« لم أصلك هذا السؤال لاسمع اطراوك ومدحوك وإنما اردت مماع الجواب على سؤالي ..  
المتسجي من والدك عا لك من المتنزه عندي ؟ .. »

فلم ينتها ما يعنيه او ما يبغره ولكنها ظلت على تجاهلها فقالت « لا اذكر اني سمعت  
 شيئاً من ذلك .. ولا انتك احسنت الفلن بي الا لاتك تعدني من بعض اولادك كما تدعه  
والذي اخاك فاشكرك على هذا الاحساس .. واذا كنت حسن الاعتقاد بي اتقدم اليك  
يطلب ارجو ان تغيبني اليه .. .. »  
قال « وما هو »

قالت « رأيك تعتقد تعملي وذكاني وان كنت لا استحق هذا الاعتقاد فاذا كنت  
ترى في تعملاً فما معنى الوصاية علي ؟ .. »

فتحت وقال « ان الوصاية ياعزيزتي لاتسلك شيئاً من هذه الخلال .. .. »  
قالت « انك ملك وقائد والك من المهام والاعمال ما يشغلك عن الاهتمام ببني وانت  
متيم في العراق وانا في فرغانة قبل توافقني على القاء امثال الوصاية عنك ؟ .. »  
فاجاب مسرعاً بلا تردد « كلاماً .. كلاماً .. افي لا تستطيع ان اخالف وصيحة والدك  
ولومها يبركت من الشاغل على .. .. ولا ثقلة عندي بخدمتك وهي امنية طالما تنبهها .. كوني  
مطمئنة من هذا القبيل .. واما بعد بين العراق وفرغانة فخلافاته سهلة على » فاما ان تنقض الى  
العراق او انتقل انا الي فرغانة .. ولا بد من ان تكون معاً في كل حال .. ..  
تحققت غرضه ولكنها لم تتأن ان تفهم مراده فقالت « لا ارى باعضاً على هذا الارتباط  
بامولي اي »

قال وهو يستعطفها « لا تقولي مولي .. .. »

قالت « يا ابي او يا عمه كائنا .. ابي لا ارى داعياً لهذا الارتباط »  
فانطب حاجبيه وهو ي Prism وقرب كرسيه من كرسها كانه يداعبها وقال « ان قولك  
يا عمه يسوهني اكثيراً من قولك يا مولي .. .. ماذا لا تخاطبني كما اخاطبك » قال  
ذلك وخرج من جيده عقداً من الجلود يساوي مالاً كثيراً ومهبه بخوها والعقد بلا  
في كنه وهو يقول « مالي اناديك عن يزقي فختاديتي عمي ؟ .. »

لمؤات جهان وجهاً عنها وهي تنظر اليه شرزاً وتباعد كرسياً وتدارس بديها الى  
روا، ظهرها وقالت «لا يا سيدى .. لا حاجة لي بالجواهر فاني حزينة ولا ارى مع ذلك  
سررتاً لهذا الخطاب ..»  
فاظهر استغرابه تقوّرها وقال «اهكذا تعاملين رجالاً اقامه ابوك وصياعليك؟ هي  
أني من عامة الناس فاحترمي وصيصة والدك على الاقل»  
قالت بصوت هادئ «كله وقار وترفع» كان الاولى ان تبدأ انت باحترام  
ذلك الوصية ايها الملك والقائد ..»  
فقال بنفحة الفائز الظافر «انقلين ايها لم يوصي الا بما في تلك الصحيفة؟ .. آه  
أوصاني وصيصة شفافية لا بد لي من تفريدها ..»  
قالت والا زدراء بادي في شفتيها وعينيها «ان والدي لو كان حياً ما قبل بذلك ..»

فابتسم وابرق عيناه بريقاً ازتعجاً وقال بلحن المايم الوهان «هي اهل يقل شيئاً  
من ذلك الا يكفي ان أقوله انا ..» يظهر ان ملائكته من تعاقلك وذكائك في غير  
عمله .. ايجاطتك ملك اشرفته بعبارات التقرب والتودد وتحبيته بالخشونة والغور؟ ..

## الفصل الثالث والعشرون

### ليس الحب للشباب فقط

نظرت فيه نظرة الاستغراب والدهشة وقالت وفي كلها تهديد وقد أقطعت  
حاجيرها «قف عند هذا الحد من التلميح واحذر ان تنزع الى التصرّع ان ملوكك وان  
ضخم لا يساوي عندي شيئاً ..»

قال «يظهر انك لم تفهمي مرادي .. ألم تفهمي بعد؟ اني احبك يا جهان .. ثم  
اني احبك اني عاشق لك» قال ذلك وقد زادت عيناه بريقاً وبدا فيها الاحمرار  
فلما سمعت تصريحه ورأته منه ذلك «نهضت عن كرسياً وتقوّرت تقوّر الظني من  
الاسد او تقوّر الابي من الواقع وقالت «فقلت لك اقف عند حد التلميح .. فلم تصرّع ..  
اما وقد تغيرت على التصرّع فاعلم اني لا اسمح لك بقتل هذا الخطاب .. وهل يابق بك

وقد كلامك الشيب ان خطب عبة ثناه اصغر من بعض ابنائك ؟ «  
 تنهى الاخفين تهدا حاراً وقال وهو يتذلل ويتاطف « آم يا جهان .. اخرين  
 الحب عرماً على غير الشبان ؟ .. اني اري الكهولة أولى به وقدر عليه من الشبان ..  
 ان الناس خططون بما ينوهون لان الحب لا علاقة له بالسن  
 ثم اعتدل بمحله وأشار الى صدره وقال « ان في هذا القلب من لوعة الغرام  
 ما لا يتسع له صدور الشبان .. كنت شاباً وأنا اليوم كهل واقول لك بما تبدين اني  
 اشد كافراً واعرق في الحب من قبل .. بذلك على ذلك اني وانا الملك السيد والقائد  
 الباسل ازامي عند قدميك لاخطب مودتك والنفس رضاك متذللاً متساغراً ( وتراني  
 عند قدميهما ) فاذا اطمعتني علمت اني عاشق اسهلك في سبيل سعادتك وكنت الملكة  
 الاقنفة الكلدة في العراقيين وفارس وخراسان واثرسونة وفرغاتة .. وأن ايس  
 وظلت على خطاك » ..

قطعت كلامه وهي تنظر في وجهه نظر الاستخفاف وقالت « اهض يا حيدر ..  
 اهض يا ابن كالروس .. اهض يا ملك اثرسونة وارجع الى رشك ودع ما قول وآلة  
 اصفح عنك واغفي عما فرطت منك واكتفي جسارتكم .. اهض .. لا ينبغي ان تكون  
 هذه الفتاة اربط منك جائعاً وأكثر تحلاً »

فوقع كلامها وقوع سهم في قلبه فاهض وهو يعرق اسنانه وقال « لقد قللتني شبات  
 جنالك وجسارتكم .. انتصيبيني حاجزاً عن ارغامك ؟ .. ولكن قابلي لا يطاوعني على  
 اذنك فارجعي الى سوابك وفكري في ما عرضته عليك من اسباب السعادة ولا تسملي  
 عمل أهل الجهالة .. واعلمي انك وما تملسين في قبضة يدي فاذا اطمعتني كنت انا واما  
 املك في قبضة بذلك »

فما يجيئها ودبت الحمية في عروقها وحدتها نفسها ان تزيده توبيخاً ولكنها تماستك  
 لدمها اهلاً لقوى على مذواته وهو ملك عنده الجناد والاعون وبيده خط والدها  
 بالوصاية للطلقة عليها فلا ينصرها عليه حاكم ولا ينجيها منه سلطان .. الا اذا كانت في دار  
 الملك فربما استماتت عليه بالخليفة فتصفها .. فرات من باب الحكمة ان تستعين عليه  
 بالعقل والتذير فالمملوك ياقت عله من قوة الارادة وقالت بصوت خافت « سمعتك  
 تستمهلي ربها افكر في ما عرضته علي .. وانا امريك لتفكر في ما قاتته لك وترى بعد ذلك  
 ما يكون .. ولكنني كما قلت لك سأكتم ما بدا منك وابذر جهدي في نسيانه حق

يكون مكتوماً عن اياً لاني اشن بصدق والدي ووصيه ان قال عنه ما قد يقال عنك لو اطلع الناس على اقوالك ٠٠٠ هل قبلت بما ا قوله لك ؟ واذا أتيت الا العالشين فانا اولى بالطيش منك ولا تخسي في قناع ضعيفه \*

فاحسَ الافشين بمعظمه تلك الفتنة ولم يجد يقوى على التعرض في عينها كأنه يحسب زادكم بالايمان فتطاير منها الشرر \* ووقع كلامها على رأسه كالصاعقة وقال « ما انت فتاة ضعيفه ولا انا اقول ما ا قوله عن طيش لكنك تعتقدين كما يعتقد سائر الناس ان الحب لا يليق بهن الشبان وانا ازريك راي العين ان الكروں اشد هيداماً \* ان بين جنبي قلبي يضحي للكل والحياة في رضى عبوبه \* فهل يجعل الشبان ذلك ؟ وهم اغا عبوبون عن خفة وجهة لا يبتون في الحب ولا يرعنون ذمام الحبوب \* اما وقد قبلت استهالي فيها انا صابرتك حتى زرجي الى رشك \* وطبعاً اتنا لا زوال في ايام الحزن على صديقي والدك لا تقطع امرأ قبل انتهاء الايام المفروضة ونخن الان في اواثباً لكنني لم افالك عن ان ايشك ما في قابي وانا احتسب ذلك يسرك ويمزيك فارجو ان لا يخيب ظني بعد انتهاء مدة الحزون ولا سما بعد ان ترجعي الى رشك وتحتفظي صدق نبتي في ما ارجوه لك من الطيرفي ديناك ٠٠٠ لا باس يا عزيزي اي صابر فاعمل فكرك على مهل »

فاغضت عن تطويه في بيت جواره وتعليق امهه وقالت بصوت هادي « وجاش رابط » فاقعد قمود الوسي لاخاطبك مخاطبة الفتنة لوصيها الامين » فتعذر وقدرت وهو يعجب بشبات جاشها لانه قد وهو يرتد من شدة اثاره وهي لا يالي فقالت له « هل قت بحق الوصية هل ذبرت شؤون القصر واهله ؟ »

قال « قد قملت كل شيء فالزارعون عاملون في الحقوق والقيم يدير شؤون القصر واعلنني اني احر من على مالك منك » ومد يده والمقعد لا يزال فيها وقال « والمقعد لا يقبلني مني ؟ \* خذني اذا شئت »

فحولت وجهها وآمنت اباء الاشتراز وقالت « لا لا اريد قبول شيء يذكرني هذا الاجتماع ولو استطعت ان اجرد هذا القاعة من فرشها واثاثها لتعلمت حتى لا ارى شيئاً شهد هذا الموقف او سمع هذا الكلام ٠٠٠ والآن اسألك ان اشك لك عنایتك بشؤون التركية ذلك هو عهدي بالاشرين صديق والدي والامين على اهله ٠٠٠ واني سامان ؟ لماذا حرمتموه من اهله ؟ »

فاحسَ الافشين عند سماع اقوالها انه يتضايق في عيني نفسه وهي تعظم وتعلو حتى كاد

يتلائم اسأله ويفعل علىه .. وإنما غلبته على سلطنته وسلطانه بالثقة وادب النفس **الخواض العذين**  
وقال «أنك تأسأتني سؤال القاصر أولي أمره وإنما مامور بكثيان السبب كما تهادين فلو  
سألتني سؤال الحبيب طبعه لاطاعتكم على كل شيء»  
قالت «أعمل بالوصية ودع الحب والمحبين»

فذهب الشافعيين لمناقشتها ولم يزدد إلا يوماً بها ولكنها أحسن بحث من الرجوع إلى  
مداعبيها فشك ولبس بخبر من ختم الحديث «هضم واستاذتها بالانصراف وخرج وقد  
غلب على أمره وعلم أنه لن يحال رضاها وإنما اطاعها وقبل التأجيل فراراً من  
الظروف فشلاً

## الفصل الرابع والعشرون

### النهاجة

اما هي نظلت واقفة في مكانها وعينها تتبعان الأذنين حتى خرج من الغرفة .. وما  
تحققت خروجه من النصر رفعت بصورها إلى صورة مطرزة على ستارة بالحائط تتمثل  
وجه والدها وتندت تندتاً عصيّاً والتقت ضمها على الكرسي وقد احست بضعف في مفاصلها  
كانها خارجة من عمل شاق .. والتقت حولها قلماً تحقق أفرادها أعادت تندتها وتراجت  
نفسها قائلة «آه يا جهان .. آه يا هرروس فرقانة .. ما الذي دعاني في هذين اليومين ..  
مات والدي وسافر حبيبي .. والذاب لي في ذهابه .. ولكن .. لا يأس من ذهابه وذاك  
أولى من يقاومه فلا يعلم بما يشربه ذلك الشيخ الماجعل .. فتجنك الله من ملك صعلوك ونبا  
لك من قائد مغورو .. انطبع بجهان وهي ايعد عنك من الترياً .. مالي لا اقول له  
ان قلبي لضرغام ؟ .. لا .. لوقات له ذلك امرضت حبيبي للضر .. حبيبي ضرغام ..  
أين أنت ؟ .. ولا ذكرت اسمه .. وتذكرت بعده احست بالقياض نفسها ولم تر فرجاً الا  
بالبكاء فاطلقت الدموعها العنان وهي تخادر أن يتسع صوت بكائها أحد .. فلما استقرت في  
البكاء نسبت موقعها ولم تجد تخادر الشهق ولولا رباطة جأشها وقوّة ارادتها لاختفي عليها ..  
وهي في ذلك تباهي وقع خطوات مسرعة بباب الغرفة فالتفت وإذا بالقبرمانة دخلت مسرعة  
والبغة بادية في عينيها وقد فتحت ذراعيها كأنها تهم .. ان تضمْ جهان ينتها كأنها  
طفلها اذا بكي

اما جهان فلما رأت خفنة خيزران وحثوها على تلك الصورة فاخت شعائرها المقوت  
لابن المأوي تبسم ابتسام التجد والدمع يغشى عينيها . وـا وصلت خيزران اليها ترامت  
جهان بين ذراعيها وقد اخذها الحigel لا بد من ضعفها فابتدرتها خيزران فائلة « ما بالك  
نيكين يا سيدتي ؟ مـاذا اصـابـك ؟ »

قالـتـ وهي تـبـلـدـ وـتـسـحـ دـمـوعـهاـ بـنـدـيـلـاـ « اـسـتـغـرـيـنـ يـكـافـيـ ياـاـمـاهـ وـقـدـ قـدـتـ  
وـالـدـيـ بـالـاـمـسـ ؟ آـهـ انـ مـصـيـقـيـ بـقـدـدـ مـفـاعـلـةـ .. . . .

وـلـمـ تـكـنـ خـيزـرـانـ غـافـلـةـ عـاـدـارـ يـهـاـ وـبـيـنـ الـافـشـينـ وـاـنـ لـمـ تـسـعـمـ وـلـكـنـهاـ خـلـتـ شـبـيـاـ  
وـلـأـرـأـتـ وـجـهـ الـافـشـينـ عـنـ خـروـجـهـ مـعـتـقـلـاـ تـحـقـقـتـ ظـلـهـاـ قـالـتـ « صـدـقـتـ اـنـ وـفـاءـ سـيـديـ  
الـرـزـيـانـ تـدـعـوـ اـلـىـ الـبـكـاءـ وـالـموـيلـ وـخـصـومـاـ اـذـاـ خـلـتـ مـثـلـ هـذـاـ الـوـصـيـ .. . .  
يـرـبـهـاـ وـلـكـنـهاـ تـجـلـدـتـ وـضـمـتـ جـهـانـ وـقـبـلـهـاـ وـقـالـتـ « لـاـ بـأـسـ عـلـيـكـ يـاسـيـدـيـ لـاـخـافـ اـحـدـاـ »  
فـلـاـ مـيـمـعـتـ قـوـطاـ لـمـ يـشـقـ عـلـيـاـ اـطـلـاعـهـاـ عـلـىـ ذـاكـ السـرـ لـاـهـاـ مـسـتـوـدـعـ اـمـراـرـهاـ وـلـكـنـهاـ  
نـذـكـرـتـ قـوـةـ جـانـهاـ فـاـسـتـرـجـعـتـ رـشـدـهـاـ وـقـالـتـ « وـهـلـ تـعـلـمـ اـنـ اـخـافـ شـبـيـاـ ؟ وـلـكـنـيـ .. . .  
قـالـتـ « اـنـ اـعـلـمـ سـبـبـ بـكـائـكـ فـلـاـ تـهـشـيـ وـاعـلـيـ اـنـ اـضـحـيـ حـيـاتـيـ فـيـ خـدـمـتـكـ وـلـيـسـ  
اـلـفـطـ .. . . اـنـ اـهـلـ هـذـاـ الـقـصـرـ بـلـ اـهـلـ فـرـغـانـةـ جـيـعـاـ يـفـدـونـكـ بـاقـسـمـ »

فـلـمـلـتـ جـهـانـ مـنـ بـيـنـ ذـرـاعـيـ خـيزـرـانـ بـلـطـنـ وـاـشـرـتـ اليـهاـ لـمـ تـقـعـدـ اـلـىـ جـانـهاـ  
لـجـلـسـ وـيـ تـرـمـقـ جـهـانـ وـتـرـعـاعـاـهـ بـعـيـنـهاـ فـرـأـتـ سـجـنـتـاـنـقـيرـتـ مـنـ الـخـزـنـ وـالـتـنـوـطـ اـلـاـهـتـامـ  
وـالـبـلـدـ وـقـدـ اـطـرـقـتـ وـبـدـاـ الـذـكـاءـ وـاعـالـ الـفـكـرـةـ فـيـ عـيـنـهاـ وـجـيـبـهـاـ . . . فـلـمـلـتـ خـيزـرـانـ اـهـنـاـ مـسـتـقـولـ  
نـوـلـاـ مـفـيدـاـ فـبـالـفـتـ فـيـ الـاسـغاـءـ وـقـلـهـاـ يـخـفـقـ حـقـ كـادـ تـسـعـ دـقـانـهـ .. . . وـطـالـ سـكـوتـ  
جهـانـ وـخـيزـرـانـ مـصـعـيـةـ تـنـظـرـ اـلـىـ مـاـ يـبـدوـ فـيـ عـيـنـهاـ مـنـ عـلامـاتـ الـاـهـتـامـ وـاخـيرـاـ وـقـتـ جـهـانـ  
بـجـاهـ وـلـنـظـرـتـ اـلـىـ خـيزـرـانـ نـظـرـاـ حـادـاـ وـقـالـتـ وـهـيـ تـهـزـ رـأسـهـ « لـاـ مـقـامـ لـيـ فـيـ هـذـهـ الـدـيـارـ  
بعـدـ الـآنـ .. . . »

فـوـقـ قـوـطاـ مـنـ خـيزـرـانـ وـقـوـعـ الدـارـ عـلـيـ رـأسـهـ فـاـ مـاـلـكـ اـنـ وـقـتـ وـسـاحـتـ فـائلـةـ  
« مـاـذاـ تـقـولـينـ ؟ »

قـالـتـ « يـنـبـغـيـ اـنـ اـسـافـرـ مـنـ هـذـاـ الـقـصـرـ .. . . يـجـبـ اـنـ اـتـرـكـهـ حـالـاـ »

قـالـتـ « وـالـ اـيـنـ ؟ كـيـفـ تـرـكـيـنـهـ وـفـيـ كـلـ مـالـكـ وـقـدـ رـيـسـتـ فـيـهـ .. . . لـمـ  
تـرـكـيـنـهـ ؟ »

قـالـتـ « اـتـرـكـهـ لـلـطـاعـمـيـنـ فـيـهـ .. . . اـتـرـكـهـ لـلـافـشـيـنـ وـالـمـوـبـدـ .. . . »

قالت وقد اصفر وجهها وجلاً «كيف تركتك» وفيه ثروتك وانت صاحبة الامر والثي فـ « .. .

قالت واللزム باد في عيالها « لا تهمني الثروة ولا انا اعيش بالام والدهي .. . وما القائمة من الجدران والاشجار والاجمار .. . لم تست العادة بامثال هذه الحطام .. . فم اتركك واترك الدنيا معه .. . اني ارى السعادة قد غادرته منذ غاره والدي .. .

فادركت انها تثير الى ما يهددها من مطامع الاناثين وهي بعيدة عن غرغام فقالت « اذا كان ذلك الرجل قد اساء لك قابضيه ولا تهتمي بشأنه .. . انك ملكة في قصرك وهل نظيرك يجرأ على اخراجك منه؟

نظرت اليها شرراً والاسفاف حول شفتيها « انه لا يخرجني منه بل هو يربد ان ابي هنا .. . واما انا فلا .. .

قالت «كيف تفهمن يا سيدتي والى اين .. .

فاطرقت ثم قالت « اني ذاهبة نعم ذاهبة .. . لانحالة واما انت فامكفي هنا .. .

قطعت خيرزان كلامها وقالت وهي تشرق بدمعها « انا ابكي ؟ وماذا افعل هنا اذك شجعين قلي بيتو يبغشك .. . اني بين يديك حينما تذهبين .. . واما اردت ان اعلم الجهة التي تطلبينها .. .

قالت « اني ذاهبة الى العراق .. .

فلا سمعت قوله دهشت والنفت اليها قائلة « انت تقولين قولـاً يسهل لنظـله وصعب فعلـه .. . أتعلـين المسافة بيـنـا وبيـنـ العراق ؟

قالت « وان كنت لا اعلم ؟

قالت « انت حكيمة لا تعلمين عملاً الا بعد التبصر .. . اتعلـين ان بيـنـا وبيـنـ العراق بـضـعةـ اـشـهـرـ يـنـبغـيـ انـ تـقـطـعـ مـعـظـمـهاـ فيـ الـيـوـاديـ اـلـخـطـرـةـ الـقـيـلـةـ الـقـوـافـلـ اوـ اـجـاءـاتـ منـ الجـنـدـ السـلـحـ لـكـثـرـ الـلـصـوصـ وـقـاطـنـيـ الطـرقـ ؟

قالت « مـعـاـ يـكـنـ منـ الـاـسـ اـنـ اـنـ خـارـجـةـ الـمـرـاقـ

قالـتـ «ـ يـتصـريـ يـاسـيدـتـيـ اوـ يـاـولـدـيـ اوـ يـاحـيـيـ اوـ يـاشـقـيـ عـلـىـ شـبـاـيكـ انـ تـعرـضـيـ بـهـيـاـكـ هـذـاـ السـفـرـ المـغـوفـ بـالـخـطـارـ .. . انـ السـاـرـ اـلـىـ الـمـرـاقـ يـنـبغـيـ لهـ انـ يـقـطـعـ صـحـارـيـ قـاحـلةـ فـيـاـ الـلـصـوصـ مـنـ التـرـكـانـ وـغـيرـمـ وـكـثـيرـاـ مـاـ يـعـتـرضـونـ قـوـافـلـ الـقـيـارـةـ الـذـاهـبـةـ اـلـىـ خـرـاسـانـ اوـ قـارـسـ فـيـقـلـاـنـ اـسـحاـبـهاـ وـيـقـبـضـونـ اـمـوـالـمـاـ فـكـيفـ تـسـافـرـينـ اـنـتـ فـيـهاـ ؟

قالت «اسافر كما يسافر سائر الناس .. اني مسافرة وستدير طريقة السفر»  
 فلما ترجيلة في ارجاعها عن عزيمها بهذا السبيل قالت «اذا كنت تطلبين النهاب  
 الى العراق فراراً من الاخفين فالعراق مقرّه وهو صاحب الفنوز فيه»  
 قالت «ليكن معها شاء فانا لا اخافه هناك لأن يد الخليفة فوق يده .. وهناك خرمام  
 ايضاً ..» قالت ذلك وزراجعت حلقة ثم استأنفت الكلام قائلة «لا اعني ان استعين  
 بشرمام عليه ولكنني الى هذا الشج الجاهل في يد يسمع فيه صوت الحق ... وقد  
 يغلبني هناك بنفذه كا اخاف ان يتغلبني هنا بجهوده ولكنني لا اغلب هناك الا بعد ان  
 اربه كيف اعمال الرجال .. اني مسافرة لا ترجعني عن عزمي» وضجت بخواص الباب قبعتها  
 خيزران وقد اخذتها الدعنة من ذلك العزم النجاني ولم تهلك عن البكاء سرّاً  
 اما جهان فشلت مسرعة بخواصها لا تلتفت يميناً ولا شالاً وقد تثقلت بها الشجاعة  
 واللزام وثبات الجنان وخيزران تتبعها ولا تغسر ان تعترضها ومحاولات الدخول في اثرها  
 تباطأ في مشيتها . واذا جهان تناهيا من الداخل فاسرعت اليها فرأتها جالة على سريرها  
 والحرية تهلي في عينها رغم ما في جيئها من دلالات العزم الصادق فلما دخلت ابدرتها  
 جهان قائلة «الم يعد سامان بعد؟»

قالت «كلاً يا سيدتي .. لم اشاهده في هذا الصباح ..»

فهزت رأسها وحرقت استانها ثم قالت «يا امامه .. تعالى اجلسي الى جانبى ..»

بلغت خيزران وهي تهيب من رؤيتها فقالت جهان «اني مسافرة كما قالت لك  
 ولكن لا ينبغي ان يعلم احد يبيب سفري فعليك ان توصي المهر (قيم القصر) ان يتهدى  
 اموالنا ومقارتنا كالعادة على اثنا خارجون الى بلد قريب ..»

قالت «سأفعل ذلك يا مولاي .. وهل يكون سفرك قريباً؟»

قالت «في اقرب وقت .. قبل انقضاء مدة المداد وهي لا تزال طوية وساعين  
 الوقت .. اما ارجو ان تساعدني في اعداد ما ينبغي اخذه من الامتنان فانا على سفر  
 طويل .. فهمست ..»

فأشارت برأسها مطية وسكتت تنظر ما يأتي به الغد وان كانت لا تتحقق رجوع  
 جهان عن عزيمها لما خبرته من ثباتها وحرمتها ثم تركتها في الغرفة وحدها وخرجت  
 قضت جهان بقية ذلك اليوم وهي كالشائعة وغلب عليها التفكير في اخيها سامان  
 لاحتاجها الى صحبه في ذلك السفر الطويل وهي تعلم انه لا يقل عنها رغبة فيه واضجت

في اليوم التالي وسامان يقع بباب غرفتها ولما دخل ابدرته بالعتاب على غيابه فقال « لقا كان غيابي عنك يوماً واحداً قد انتهى فكيف اذا غبت عنك اشهرًا؟ »

قالت « الملك عازم على السفر؟ »

قال « وما الاقامة في بلد حرمتك من خبراته ماذا غريب بين اهل اما انت فانك ورثة القصر والمال فامكفي ودعيني اشرب في الارض » قال ذلك واظهر الكاتبة فلم ينفها قصده ولكنها رأت سفره بوانقها فقالت « وما قولك اذا سافرنا معًا؟ »

قال « وهل انت عازمة على السفر ايضاً؟ »

قالت « نعم »

قال « لا ارى باعثاً لسفرك الاً اذا كنت تريدين العراق وهذاك غرغام حبيبك »

قالت « اني عازمة الى العراق . فهل انت عازم الى هناك؟ »

قال « اسير برقتلك .. ولكن مثل هذا السفر لا يتأتى لها الاً بعد الاستعداد الكافي ولا بد لها من اصطحاب جند او فائلة لان الطريق وعر وفاويل »

قالت « دير ما تزأد اني مسافرة في التربيب العابيل »

فابرقت امرأة سامان وهو اغا بدأ بذلك المقدمة لسماع هذه النتيجة لفرض في نفسه هلاكاً سبي فيه ولو لا رغبة جهان في السفر التجاه من الاذرين لا تكشف لها غرض اخiera ولكنها تعاشرت وتتجاهلت رغبة في التجاه والانسان كثيراً ما يغطي غرضه على تعنته فعادت الى سامان بددبر امس السفر واخذت هي في الاستعداد مرتاً بواسطة خيزران

## الفصل الخامس والعشرون

بني المتعصم ساروا كاذكرا في مكان آخر ليقيم فيها رجاله الازراك وغيرهم وهي المدينة الثانية من مدن بني العباس على ٥٠ ميلاً من بغداد شمالي اهالي شاطئ « دجلة الشرقى » وقصها الى قطائع اقليمها لرجله وهم فرق تسب كل فرقة الى موطنها التي حلت منه فقد حل بعضهم من سمرقند وهم الازراك والبعض الآخر من فرغانة وهم الترغايون والبعض من اشرونونة ومن غيرها وجعل على كل جماعة قائداً . واشهر قواده الاففين

وامنه من ملوك اشروسنة وهو قائد الاشروسنية واثناس وكان في الاصل مملوكاً لبعض قواد للمتصم فابتاعه ورقاه وابتاعه كان مملوكاً لقائد آخر وكذلك سينا وغيره ولما استقر رأيه على بناء سامر<sup>١</sup> احضر المهندسين والقعة والبنائين وأصحاب المهن من التجارين والحدادين واصبح محل السوق وسائل انشب والجندوع من البصرة وما والاها من بغداد وسائل السواد ومن الطاكية وسائل سواحل الشام واستحضر الرخام من الازدقية وغيرها

وابني قصره في اواسط المدينة وبجانبه المسجد الجامع واختلط الاسواق حول المسجد وجعل كل خبارة متفرزة في سوق على نحو ما فعل المتصور في بناء بغداد وأفرد قواده قطاعات ابدها عن قصره وعن منازل الناس وأهل الاسواق فقام اثنان في عبة يعرف سامر<sup>٢</sup> في الشياط على بضعة اميال من قصره ساماها الكرخ على اسم كرخ بغداد واقام الاقيان في طرقها الجنوبي في مكان يسمى العبرة على نحو ذلك بعد من قصره واثنا فارغنة قطاعات اقرب اليه من سواهم وكذلك الازراك والخراسانية والفارسية واصب قواده ان يبنوا المساجد والأسواق في قطاعاتهم لرجاتهم وجعل سامر<sup>٣</sup> شوارع موازية لجري دجلة تقطعها دروب وازقة اكبرها الشارع الاعظم ينتهي من العبرة شمالاً على موازاة دجلة الى الكرخ وتنتهي قطاعات الناس بينة ويسرة على هذا الشارع وتتصل اليه بدروب موازية تتفق الى دجلة وفي هذا الشارع كان ديوان اخراج وقصر للمتصم والمسجد الجامع وسوق الرقيق وين الشارع الاعظم شارع آخر يمر بشارع اي احد على موازاته وشوارع اخر لا يدخل لذكرها

وين على دجلة جسراً يوصل الشاطئ الشرقي بالغربي واقام في هذا الجانب المبارات وغرس البساتين وحفر الآبار واستقدم من كل بلاد اصحاب الاعمال الالازمة للعمارة كمهندسي النساء وصناعة القراطيس استقدمهم من مصر وصناعة الزجاج والخزف من البصرة وائل اهل كل مهنة وصناعة مع اصحابهم وعيالهم وجعل الابنية قصوراً حوطها البساتين وينها الميادين ولما تسامع الناس بناء هذه المدينة قاطروا اليها للبيع والشراء وزاد فيها الوانق والتوكيل وغيرها من خلق المتصم كثيراً من الابنية الفخيمة

وكان في جهة أبانية الفرات اغنة بقرب قصر المتصم يت متوسط الحجم قائم في خدفة حوطها سور له باب معلق على دجلة عده نخلان ولم يكن اهل سامر<sup>٤</sup> يعرفون شيئاً عن

أهل ذلك القصر اذ قلما كانوا يرون فيه احداً غير الخدم الذين يخرجون الى السوق في حوائجه على ان القواد كانوا يعرفون انه منزل الناقد ضر غام وكأنوا يمجبون برغبته عن زخارف الحياة خلافاً لسائر القواد او الامراء الذين كانوا يستكثرون من الحاشية والملوالي والمالية . وكان اكثراهم يظلونه وحيداً فيه وربما زاره بعضهم في اثناء اقامته في سامرٌ اما بعد سفره الاخير فاتهم اقطعوا عنه اذ لم يرق في البيت احد الا امرأة كثينة البصر هي والدته ومعها جارية عجوز تخدمها اسهامها مساعدة

## الفصل السادس والعشرون

### آفتاب

وكانت والدة ضر غام تسمى آفتاب كفت بصرها وهي في عنوان الشاب قبل ذهابها الى فرغانة ولم يكن اهل ذلك البلد أكثر معرفة عن سابق حياتها من اهل سامرٌ حتى المرزبان وأهل قصره مع طول اقامتها بينهم وقد علمت مما قدم لها كانت تكتم اصela حق عن ابها ضر غام فكان اذا سألاها عن ايه زعمت انه كان من جند المسلمين وقتل في بعض الواقع واتها ندرت ليس السواد عليه كل حياتها ولم يصدق ضر غام قوله لما آنه من تسترها واختصارها في ذكره فاجل عليها مرة واستحقاقها ان تخبره عن الحقيقة فوعدهما اتها ستطلعه عليها في وقت آخر وكان كلام ذكرها يوعدها استشهاده الى فرصة أخرى . وقفى شابه في فرغانة وهو يطلب اخراج الى العراق للخدمة في الجندية او لاملاطنة عمل برزق به كما كان امثاله من اهل الشساط والذكاء يسلون وهي لا تطاوله الا في الايام الاخيرة فاذنت له بخدمته المعتصم فجاء معها وأقام في سامرٌ فظهرت مواهبه وارتقت في الجندية حتى صار رئيس الحرس وهو في كل فرصة يسألها عن ايه فتوح الجواب

ولما استأذنها في النهاب الى فرغانة في مهنته الاخيرة اذنت له وألحت عليه ان يسرع في الرجوع وبقيت في ذلك القصر ليس معها غير جاريتها مساعدة وكانت تتفقى نهارها قاعدة في البيت لا تخرج الى البستان الا نادراً والجارية يتذلل جدها في تسليتها وقد قضت في خدمتها اعواماً عديدة لم ترها شاحكة قط فلم تكن اقل استغراباً لحالها من الآخرين على

لها كانت تختربها وتحبها جيًّا شديدًا لما نُزِّلَتْ من لطفيها وطيب فنصرها مع سكوتها لاتها  
ـ تكون شكل الماء «ما لا يد» منه  
ـ وكانت آياتها مع كوكبها وابتلاها بالمعنى جليلة اطلقة خفيفة الروح تدل ملائج  
ـ وجهها على ما كانت عليه في شبابها من الجمال المفرط . وكانت رشيقته القوام مهيبة البدن .  
ـ ومع ما مر بها من الفيقات لا يزال جمالها محفوظاً وكانت جاريتها مساعدة متعلقة الى  
ـ تليتها بما في امكانتها وكان يسوها ميلها الى السكت فتبذل جهدها في جمع الاخبار بما  
ـ تسمى من الخدم فتنقصه عليها فتللاحتظ منها اصوات لم يسمع اخبار الخلية المعتمد ولا يسا  
ـ بعدن صار ابنها رئيساً للحرس وخصوصاً بعد سفره فكانت مع رغبتها في مسامع احوالها فـ  
ـ تسمع منها جواباً غير قوله وهي تنهى «مَنْ يَمْوَدْ ضَرَغَامَ لَقَدْ طَالَ غَيَابَهُ»  
ـ حتى اذا جاء البشير بقدومه كان اول من علم بذلك مساعدة اخبارها به رسول خاص  
ـ اقصد ضراغام قبل وصوله لجلده ان والدته تلهف لرجوعه . فدخلت مساعدة علي ميدتها  
ـ ببرهانه ولو تيسر لآياتها ان ترى وجهها لترأته فيه دلائل البشر . ولكنها حرمته من نعمه  
ـ النظر للذائب او مرض واما فقضت عليها بذلك المصيبة مظلماً ذلك العصر وفقت تلك المظالم  
ـ اياها ان تكون سبب عراها وتخفي حقيقة حالمها عن كل انسان — فلما دخلت مساعدة شعرت  
ـ آياتها بسرعة حركتها وحدتها قلبها بغير تحمله اليها فبدت في وجهها ملائج الاهتمام  
ـ وحركت عينيها المللتين حركة متفردة كأنها تنظر في وجه القادم عليها لستنتبه لها  
ـ فسر . ولم تقبل خادمتها ان تشبع بالكلام فابتدرتها قاله «ما وراك يا مساعدة .. هل  
ـ الـ ضراغام ؟»

فصاحت «نعم يا ميديتي انه ابي .. من اباك بذلك ؟» .

قالت «ابا في قلبي .. اذ ليس له شغل سواه .. اين هو ؟» .

قالت «انه على مقرية هنا» .

ـ فما زلت آياتها عن النهوض فجأة وبدت في عيالها علامات البشر وتلتفت من  
ـ ياض عينها دمعتان تدحرجتا على خديها فلتافت بها بطرف ثاقبها الاسود وصاحت وهي  
ـ بتسلمه «ابي ضراغام ! .. الحمد لله .. من يصل الينا ؟» .

ـ قالت «يصل في هذا المساء ان شاء الله ..» .

ـ فقالت «احددى العشاء» . ومشت نحو غرفتها مثية البصر لا تمطر بشيء ولا يوقتها  
ـ شيء على عادة العيال التيهاء فانهم يستعيضون عن اتصارهم بارتفاع سائر حواسهم وبشه

اذهانهم . فدخلت غرفتها غسلت وجهها وبدلت ثيابها وتشففت بعض اللام حق لا تستطيل الانتظار

وكان من فرط نباهتها ورقة شعورها انها وهي جالسة في ايوان القصر ساكنة تعرف مكان كل واحد من خدمها في الغرف او الحديقة . وبعد ان فرقت من اصلاح شأنها جاست في الايوان ومسعودة في المطبخ تصاح الطعام وهي تفكك في قドوم مولاتها وقليلها مسرور لعلها ان ذلك يفرح مولاتها واذا هي تسممها تناولت « مسعودة . . . مسعودة »

فهو لاتجارية مسرعة وهي تقول « نعم يا مولاتي ماذا تأمرين ؟ »

قالت « ان غرثاما اقى . . . مري الخدم بالخروج لاستقباله »

فاستغربت مسعودة قوطا لانها لم تكن ترى شيئاً يدل على ذلك . فخرجت الى الحديقة فلم تجد احداً فعادت وهي تقول « لم يأت بعد ولكنه آت فريماً »

قالت « اني اضع وقع حواري جواده . . . مري الخدم كما قلت لك »

وفد تعودت منها مسعودة كثيراً من ادة البااعة والشعور البعيد فعادت الى البستان وامررت الخدم وهي لا ترى احداً قادماً ولكنها لم تبلغ باب البستان حق رأى النبار وسمعت وقع حواري الخليل وتحفقت قول سيدتها ولم تففر هنئها حق رأى غرثاماً قادماً على جواده وهو لا يزال بلباس السنتر وليس وراءه الا مولام وردان على جواه آخر .

فرجعت لبشر سيدتها فرأتها قد مبتقتها الى باب الدار وعينها شاعختان نحو الجهة التي تسمع الصوت منها وها تحيولان بين الاختنان كأنهما تريان شيئاً — وانما حركها عراك البصيرة النقاده ولفنة الاولدة المثافتة . ولم تقلها ان تقول شيئاً فسبقتها الى الكلام قائلة « ألم اقل لك انه جاء . . . اني اشعر بحواري جواده لشيء في مفاصله وكأنني احسى بحرارة اقسامه . . . حرسه الله وابقاء » قالت ذلك وكأنها تتعلق بعينيها و حاجبيها وبذرها وبكل جارحة من جوارحها فاثر منظرها في مسعودة وخفق قلب الجارية شفقة عليها وودت لو انها تعيرها عينيها التي بهما ابها وتنوح بمنظرها

## الفصل السابع والعشرون

المقدمة

اما ضرغام فاعتم ان وصل الى باب البستان وترجل فاستلم الخدم جواده وتحول هو الى الدار لتقبيل يدي والدته وكانت لازفال واقفة وعيناها وكل جوارحها مخيبة شهوة وهي زراعي اقترابه كأنها تراه رأي العين . فلما صعد درجات الدار واصبح بين يديها ضمته الى صدرها وقبلها فاكب على يديها يقبلها ومشت الى الايوان وهي ترحب به وتذكر تقبيله وتنشقه وتحنون كثيفه وذراعيه وصدره وعنته يديها وتجس وجهه باصابعها لفتها على لحيته وشاربيه وعينيه كأنها تفترس فيه باناملها ٠٠٠ حق اذا دخل الايوان جلست على وسادة واجلسته بجانبها وهي تفهمه وتشمه كأنها تخاف ان يختطفه احد من بين يديها وتخيل بصرها فيه والدموع يتلقظ منها وهو لا يعتربها بشيء « مما تعلم له علمه انه يسرها » ولما فرحت من التقبيل والشم اخذت تسأله عن صغير قطأها وشرح لها شوفة اليها ولما لم تبرح من خاطره في اثناء ذلك السفر الطويل . ثم تذكرةت الله يحتاج الى الراحة فأمرت مساعدة ان تهيي المائدة فاستأنثها ضرغام في تبديل ثيابه قبل الطعام فاذنت له وبعد التبدل قاموا الى المائدة فقرعوا من الطعام نحو العشاء وقد اثير البيت بالشروع وهي اول ليلة أثير بها منذ سافر ضرغام لان اثواب في غني عن الصود و لم يكن يزورها احد فلم تكن نثار الشروع في غياب ضرغام الا نادوا

وبعد الفراغ من العشاء خرجت مساعدة الى غرفتها لخلو آخر قاتب يابها لعلها تزيد معاوته في شأن خاص فانكأ ضرغام على وسادة ووالدته قاعدة بجانبها وهي فاضة بيدها على يده كأنها تهناض عن المشاهدة باللامسة واخذت تسأله عن سفرو وهو يقص عليها ما شاهده في طريقه من الغرائب والاخطر حتى وصل الى سامر<sup>١</sup> في ذلك المساء فقالت « وهل افت في فرغانة طويلاً »

فلما سمع ذكر فرغانة تذكرة اشياء كثيرة فاجابها « نعم افت فيها بضعة ايام ٠٠٠ » وسكت وهو يتردد في هل يخبرها بموت المرزنان فادركت والدته تردداته من غنة صوته فقالت « قعن علي ما رأيته هناك ٠٠٠ ماذا جرى ؟ » قال « ماذا اقعن عليك ان القوم يذكرون جورتك وينقدون بك كثيراً »

قالت « وكيف المزبان واهله »

قال « انهم في خير الا المزبان فانه مريض مرضًا ثقيلاً عجز الطب والاطباء عن علاجه ... »

قالت « اغاثة مات ... اليك كذلك ؟ »

قال « اذا لم يكن مات فانه يموت قريباً لطول مرضه ... والحق بقال الله رجل حب و لوعتين مقدار احترامه لك »

قالت « اراك انتطف في ابلاغي خبر موته ... رحمة الله . كيف فارقت اهلها ؟ »  
فلم يستغرب ضرغام شعورها بذلك الخبر لما تعوده من امثاله فيها واحب الاستطراف  
الى التحدث عن جهان فقال « ان اهلها في خير لانه خلف لهم مالاً كثيراً »

قالت « وقد آل هذا الميراث الى جهان على ما اظن »

فاستغرب نبيتها سامان فقال « وهل نسيت سامان أخاهما ؟ »

فادركت أنها فرطت بسرها كانت تكتمه وبيان الارتباط في وجهها فاطرقت وعينها  
ترقسان في وجهها من الحيرة ثم قالت « لا م انس سامان ولكنني كنت أحسب والده  
بحمره من الميراث »

فزاد استغرابه وهو يعلم أنها لا تلقى الكلام جزاً فقال « احسبك تقولين ذلك  
عن ظن ولا بد من سبب تكتئيتك »

قالت « ربنا كان ذلك ... وذهب اتي اكتم سبباً فلو جاز لي ان اقوله لك انتهت  
دعنا الان من سامان واخبرني عن جهان عروس فرغاته كيف هي اتي احبها واحب  
بذكرها ولطفها »

فلما سمع اطراها جهان شغل بها عن رغبتها في استغلال خبر سامان وطاب له  
التحدث عن حبيبته فقال « ان جهان اهل لاعجابك وهي موضوع اعجب الفرغانيين  
عن بكرة ايم ... اني لم ار مثلها بين النساء ولا مثل جمالها وتمثيلها ... وكم تمنيت ان يهن  
الله عليك بالبصر لتشاهديها »

فلا سمعت اعجبها بها توسمت فيه ميلاً شديداً اليها فقالت « اراك كثیر الاطراء  
لسجاياها ولا الومك على ذلك اذنم بمحني من مشتيبات المبصرين في هذه الدنيا الا رؤيتك  
ورؤيتها » وتنهدت ثم قالت « ولكن ذلك هو تصيبي من ديناي واحد الله انه اثار بصيرتي  
ومن علي يفتألك ... واما فاتني ان اراك يعيق فلم تتفق رؤيتك بقلبي ... اما جهان فلم أحبه

كذا مثل حبي لها وهي ايضاً مرسومة في قلبي .. » قالت ذلك ومدت يدها الى صدر ضراغم وهي تظهر انها تحاول شمه فاحسست بخفقان قلبها فتحققت حبه لجهان وهو لا يفقه مرادها ثم قالت « أني احب جهان يا ضراغم فهل أنت تحبها ؟ » قالت ذلك وكفها لازال على قلبها

قال « نعم يا أماء .. أني احبها ولا اخذلك ترين بأساً من ذلك لاتك وضعتها مي في قلبك كاتقولين »

قالت « لا ااري بأساً .. ولكنني لا اعلم اذا كانت هي تحبك ايضاً لانها بنت الرزبان وقد كنا اضيقاً في قصر ابيها .. » فربما حسبت نفسها ارفع منك مقاماً على عادة اهل البسار .. ولا لوم عليها اذا فعلت ذلك لانها لا تعرف اياك .. » ولم تكدر تقول ذلك حتى تصاعد الدم الى وجهها وتشاغلت يلع ريهما كلها ندمت على ما فرط منها

اما هو فاجابها « كونني معلمثة يا أماء ان جهان تحبني جداً شديداً لانها ليست من اهل الكبرى .. وسرني ان اخبرك باننا قد تعاقدنا على الزواج وهي لا تعرفنبي .. » والآن اذا قد جرت الحديث الى ذلك الا ترين انه آن لك ان تخبرني بوعودك ؟ .. فعلت انه يستتجزها وعدها باطلاقه على حقيقة ايمه فقالت « لم أتأت الوقت يا ولد امه .. سأتأتي قريباً .. عذ بي الى حدث جهان .. فلن خبر تعاقدك كيساني وطالما كنت اتفنى ذلك وانا احبه بعیداً .. فهل حدث ذلك العهد على يد والدتها ؟ »

قال « اعترف لك اتنا تعاقدنا سراً قبل خروجي معك الى سامراً ولم اخبرك بذلك لاني لم اكن احب نصي اهلاً لها وانا يومئذ لاشان لي ثلا وفقي الله الى المنصب الذي تله عدد امير المؤمنين احتلت في الذهاب الى فرغاتة لاخبرها به واتم امر الزواج على يد والدتها فنجحت وقد صدق غلبي بشيلها وكانت اكتب الكتاب فقلل المرتضى على ابيها وتوفي قاتل ذلك الى فرصة أخرى »

قالت « وهل نسي اذا تزوجتها ان تقيم مهها في فرغاتة أم تأتي بها الى هنا ؟ » قال « ان ذلك راجع الى راييك وهي لا تختلف لنا رايها .. و كنت عازماً على المكوث هناك حتى تنتهي مدة الحداد واكتب كتابي واتهي بها الى هنا فجاءني امر الخليفة بسرعة الرجوع فرجعت ولقيتها قبل سفري وهي سرحتي على الاسراع في طاعة الخليفة ووعدت ان تعمل عاشراء بعد ذلك »

فأبرقت اسرة اثتاب واابتسمت وقالت « احمد الله على هذا التوفيق واطلب اليه ان

يتم فعله بما في خاطري فانت جيئن اسعد الناس » .  
فعلم أنها تشير إلى خبر والده فقال « أني اسعد الناس بوجودك .. ولكن ..... » .  
خافت أن يسألن سواعده عن والده فقطعت كلامه فائلة « وعلت السبب الذي  
استجراك الخلقة من أجلي؟ » .

قال « كلاً .. ولم يزيد انفazi في مهنة عسكرية . هل تعرفين شيئاً عن ذلك؟ » .  
قالت « لم اسمع غيراً في غيابك لأنني لم أكن أكلم أحداً غير مساعدة » .  
قال « هل إثراء بعث في طلب الاشرين أيضاً؟ » .  
قالت « لا أدرى .. أين هو الاشرين؟ ليس في سامراً » .  
قال « كلاً أفي لقيته في فرغانة .. » .  
فأعترقت وحكت جيئنها كلتها تذكر في أمر خطر لها ثم قالت « إن الاشرين صديق  
المرزبان كثيراً .. هل شهد موته؟ » .

قال نعم « شهده وقد عينه المرزبان وصيّاً على اهله بعده » .  
فابتسمت ايتسام مطلع على امور سابقته تويد ما عيشه « لحظ ضرظام ايتسامها قال  
« ما بالك بتضمين هل تعرفين شيئاً عن هذا الامر من سواي؟ » .  
قالت « كلاً ولكنني تذكري اشياء كنت اسمعها من صديقي والمدة جوان رحمة الله  
فقد كانت تسره الي كل ما بهما وانا أيضاً كنت ارتاح لسارتها، فكان كثيراً ما تشكو  
الي ثقة زوجها بالاشرين وهي لا تثق به، لما تعلمه من جشعه وطمعه ولكنها لم تكن  
تجسر على اهتزاض المرزبان في احمله » .

فلا سمع ذكر الجشع والطمع شغل خاطره لان الرجل أصبح وصيّاً على تركه كبيرة ربها  
تلعب بأموالها ولكن سبق الى خاطره حسنظن الناس لانه كان سليم القلب طيب  
السريرة فما كبر ان يرتكب ذلك القائد العظيم طعماً بمال اقيم وصيّاً عليه فقال « هل  
تلقني الاشرين بعد موته الى مال الترك؟ » .

قالت « لا أدرى .. ولكنني ذكرت لك ما كانت تسره الي تلك المكينة وهي ايضاً  
ابرت الي ما عليه عن سامان وسب حرمائه من الارث .. » .  
فاثنتي عرضاً لشيء لحظة من سامان فقال لها « لاشك ان سامان نفسه كان حالاً  
بعزم والده ولذلك كان يبذل جهده في منع الوصية فكان يبعث به والده لاستقدام المورث  
فيعود ولا يأتي بهرو يتحجّل الا عذر لعدم مجيئه » .

قالت « واحبّرًا هل كتب الوصيّة على يد المويد؟ »  
 قال « نعم وانا انفدت ورдан في استقدامه »  
 فبرز رأسها وقالت « الفم بحر من مويد .. وهذا ايفاً كانت تلك المسكينة تستقبل  
 روجه وتغفر من روبيته فإذا زارهم في عيد او شهوره هربت من الايوان حقي لا تلتقي به ..  
 وقد اذكّرتني وردان اين هو؟ »

قال « هو في هذا المنزل وعلمه قام الان لانه تعب في هذا السفر والحق يقال انه هام  
 غيره كثيـر الاعياد عليه بمعنـيـتي .. وانا الان لا ادعوه خادـماً بل هو اولـيـن يـدـهـيـ

مدـيقـاـ لـانـهـ اـرقـ كـثـيرـاـ مـنـ طـلـقـةـ الـخـدـمـ ولـلـهـ شـائـيـ يـكـشـهـ »

ظـالـاتـ « اـحـتـنـطـ يـدـ قدـ يـكـونـ شـهـاـ خـانـهـ الـدـعـرـ والـدـعـرـ بـالـنـاسـ قـلـبـ » ثمـ اـتـيـتـ اـنـهـ  
 اـنـ آـنـ الرـقـادـ وـخـصـوـصـاـ لـفـرـغـامـ عـلـىـ اـثـرـ مـشـاـقـ الـاسـنـافـ فـقـالـتـ « اـذـهـبـ يـاـ حـيـيـيـ إـلـىـ فـرـاشـكـ  
 وـذـكـرـ خـرـجـ بـحـرـاسـةـ اللهـ إـلـىـ الـمـعـصـمـ وـارـجـواـتـ ثـلـاثـهـ وـانتـ فـيـ خـيـرـ وـعـافـيـةـ » فـقـالـتـ ذـاكـ  
 وـهـنـتـ وـأـمـرـتـ مـسـعـودـةـ باـعـدـادـ ماـ يـلـزمـ لـرـقـادـ وـضـمـتـ ضـرـغـامـاـ قـبـلـ ذـهـابـهـ إـلـىـ الـفـراـشـ  
 وـرـجـعـتـ فـيـ إـلـىـ فـرـاشـهاـ

بـاـتـ ضـرـغـامـ تـلـكـ الـلـيـلـةـ وـالـخـواـطـرـ تـوارـدـ عـلـيـهـ فـتـذـكـرـ جـهـاـنـ وـكـيـفـ تـرـكـهاـ وـيـتـهـمـاـ  
 سـاقـةـ بـعـيـدةـ وـاحـسـ » اـنـهـ اـخـطـأـ بـتـرـكـهاـ وـلـامـ نـفـسـ لـانـهـ لمـ يـأـتـ بـيـاهـمـهـ اوـبـقـيـ حقـ يـهـ  
 اـنـرـاهـ وـهـوـ لـاـ يـعـلـمـ بـالـذـيـ طـرـأـ عـلـيـهـ بـعـدـ سـفـرـهـ مـنـ حـيـثـ الـاـفـشـيـنـ .. وـلـوـعـمـ لـطـارـيـهـ  
 عـلـىـ اـجـمـعـةـ الـاـنـقـامـ .. وـكـانـ يـعـتـرـضـ هـذـهـ الـمـوـاجـسـ تـكـبـرـهـ بـالـمـعـصـمـ وـالـسـبـبـ الـذـيـ بـعـثـ الـبـرـ  
 مـنـ اـجلـهـ

## الفصل الثامن والعشرون

### المعصم والأسد

وـفـيـ الصـيـاحـ التـالـيـ هـنـضـ فـقـبـلـ يـدـ وـالـدـتـهـ وـلـيـسـ بـعـدـ القـطـورـ ثـيـابـهـ الرـشـيـةـ الـيـقـابـلـ  
 بـاـخـلـيـقـةـ وـاهـمـهـ الـقـلـنـسـوـ وـحـوـلـهـ الـعـامـةـ وـالـسـوـادـ وـهـوـ الـطـبـةـ السـوـادـ الـخـاصـةـ بـالـعـاصـيـنـ  
 وـعـقـبـهـ الـثـيـابـ وـالـسـرـاوـيـلـ .. وـلـقـدـ السـيـفـ وـرـكـبـ الـجـوـادـ وـرـكـبـ وـرـدانـ فـيـ اـثـرـ وـسـارـاـ  
 الـشـانـ قـصـرـ الـطـلـيـقـةـ

وكان قصر المتعصم في الجانب الشرقي من صامراً<sup>١</sup> ويقال له الجبوسق وهو مؤلف من عدة ابنيه يغدوها سور واحد وقد قلد في بنائه طرز الاكامرة في المداين فجعل بابه اخارجي مثلث النافر القنطرة الوسطى كبيرة لدور الفرسان والتي كل من جانبيها قنطرة ضفرى يبرع تحتها الملاعة . ويستطرق الداخل الى حدبة كبيرة فيها عدة ابنيه اكبرها البناه الذي يقيم فيه المتعصم . وسائل الابنية الخاشية وفي جانبيها بناء للإضافات وأخر السباع لأن المتعصم كان مولعاً بالبنائهما وكثيراً ما يركب لاقتناصها

وصل فرغام الى ذلك القصر في ضحى ذلك اليوم فلما اقبل على الباب وقف له الحرس وجوهه فدخل على جواهه وتراجل وردان وقاد فرسه في اثره . اما فرغام فلم يترجل حتى دنا من قصر اظليفة فتناول وردان فرسه واسق الفرسين الى الاسطبل فرحب الحاجب بفرغام فسأله عن المتعصم فقال « انه خرج بالامس للقتضى ولم يعد بعد » قال « وهل تقطنه يعود الساعة ؟ » قال « لا يلبث ان يأتي »

فادخله الحاجب الى قاعة يستريح بها ووقف بين يديه واخذ يرحب به ويأسأه عن محدثه وسفره فعلم انه عاد سالماً وسأله عن الاحوال الجارية لعله يستطلع سبب استثناءه فلم ير موجباً لذلك تغير في امره . وعكث وهو يشاغل بشهادة ما حديث في ذلك القصر من الرياش الجديد . ثم رأى ان يتخرج للعدية يتبرج بما فيها من الاشجار والزيتون فرافقه الحاجب الى بعض اطرافها او اذا باهل القصر في هرج وضوضاء وقد صالح صاحبهم ان اظليفة عائد فتقول القوم نحو الممر الملوّدي الى القصر واخذت حلائم الموك تتقاطر بين فرسان ومشاة ثم اقبل اظليفة على جواهه وعليه بلبس الصيد فوق الدرع التي يلبسها اذا خرج للصيد خوفاً من وثوب السباع او غيرها من الفواري

وكان المتعصم ربع القامة طويلاً العيبة ايضً اصحاب مشرباً حمرة ثالج الشجاعة في وجهه وتحليل القوة العضلية في بدنها وبلغ من قوته انه كان يحمل الف رطل ويحيى بها خطوات<sup>(١)</sup> وادا اعتمد باصبعه السبابة والوسطى على ساعد انسان دفعه وكان بلوي الممود الحديد حق يصدر طوقاً ويشد على الديبار باصبعه فيبحو كتابه<sup>(٢)</sup> وكان غضوباً شديداً النسمة متصرف المهمة الى ركوب الخيل واللعب بالمواجلة فلما وصل الى باب القصر تراجل وحيياً الوقوف واقترب من القواد والفرسان فوق يصبه على فرغام فرش له وحيجاً فاسرع فرغام اليه واكب على يده يقبلها ففتحه وقال « انت هنا يا فرغام ؟ »

(١) تاريخ بغداد ١٠٩ ج ٢ (٢) سير الملوك ١٦٢

قال «جئت يا مولاي طوعاً لامرك»

قال «وددت ان تكون هنا البارحة لتدهب بي في هذا الصيد»

قال «وانا اشت匪ي ذلك يا امير المؤمنين .. لازات ظالفاً غافلاً»

وبعد ان حوال الخلية وجهه نحو القصر تراجع كأنه تذكر شيئاً وشار الي الوهوف فالصرفوا واستيق ضراغاماً ثم قال له «الساعة ادلك على شيء يسرك فقد اصطدمت اسدآ هائلآ .. ولا ارى اسدآ الا تذكرتك لانك تمنى بعض ايمانك» ثم اشار الى الحارب فوقف بين يديه فقال له «قل لاصحاب الصيد ان يأتوا بالاسد الى تلك المصطبة» ومشى الخلية الى مصطبة في بعض جوانب الحديقة وهو يراهي ضراغاماً وبخاطبه واختم ساعة الانتظار واخذ يسأله عن سفره فقال «ارجو ان تكون قد وقفت في هذه الرحلة الى ما يسرنا»

قال «قد صدحت باسم مولاي فرافتنا توفيقه فابعدنا الجلواري ...»

قطع كلامه قائلاً «انت ابغضهن؟»

قال «كلا يا مولاي .. لا اندر ان اكون تاجرآ ولكنني ساعدت الجماعة في ايجاع ما يلزم وهم يكونون هنا قريباً وانا تحملت في الغبي طوعاً لامر امير المؤمنين» فليا قال ذلك بدا الاهتمام في وجه المتعصم واطرق ثم قال «ستكلم بذلك بعد قليل» والتفت نحو باب الحديقة بارقة اسرته وشار الى ضراغام فالتفت فإذا جماعة يحملون قفصاً من قصبان الحديد على اعمدة .. وفي القفص اسد هائج يكاد الشر يتطاير من عينيه .. فلم ينالك ضراغام عن اقطاب حاجية هيبة وكان شيئاً جاش في خاطره اذ ثقلت له الشجاعة في وجه ذلك المليون المفترس

اما المتعصم فكان لا يزال واقفاً فلما اقتربوا بالقفص منه اسرهم بوضعه على الارض فوضعوه والاسد يزور زهيراً هائلاً تصلعك له المسامع فقال المتعصم «اهي اور من شدة الالم الذي رميته بليل اصاب ليه واحشى ان يموت منه واحد ان يبق حياً لا ينتفع بشر هذا الصيد كما رأيته» قال ذلك ومشى نحو القفص وضرر ظالم الى جانبه والوراء تأدباً حتى اصبحا على بضعة اذرع من الاسد وكان يهد الحديقة بليل ليس منه من الاسلحة سواه لان صاحب لباسه تناول اسلحته شاعة وسولة .. واستيق التبل يده يتشاغل به فلما دنا من القفص اخذ يداعب الاسد ويشير اليه بالليل كاهه يهزم بضرر بيده والاسد يزور ويتململ والدم يقطعل من لبته وقد جد بضمته على صدره وفقيبه واحتر

عناء ونماستا فتوفهم المتهمن انه يعوّت فرمي التبل عليه لمداعبته فأصاب عينيه ف kep  
الأسد غضباً وألماً ووتب يطلب الخليفة فلطم وأسه قضايان الحديد فارتد وقد أشتد غضبه  
كالجحون والمتهمن وضرغام ينظران اليه ويظهران الاستهزاء بحر كاته وقلباها يخفقان لأن  
الأسد رهبة ولو كان في حال الاحتضار

وهم في ذلك وضرغام يترفس في الأسد وقد شاركه بعصايه لانه تصور نفسه في مثل  
حالة وإذا به قد ضرب جانب الفصين برأسه ضربة حلت منه قضيبين واافتلت فذعر الناس  
ولم يرق أحد منهم الا هرب وهم يدوسون بعضهم بعضاً الا ضرغام والخليفة . ولم تكن الا  
لحظة حق تبين للناس ان الاسد لا يطلب غير الخليفة وقد دوّب عليه كل جل البصر وقضى بمخارقه  
على جانبه وتحق فـا كالملغارة وهم ان يلتقى رأسه بفم المتهمن واحد يبحث بعينيه ويده  
الساية عن اداة او سلاح واخذته الدعثة فذهبت قوته او نسها فاصبح لا يجد شيئاً  
يدفع به عن نفسه ولا يرى وسيلة لتجاهله من براثن الأسد وقد تفرق الناس من وين  
يديه خوفاً ودهشة الا خر فاما وكان اقربهم اليه فاقفل على الاسد وقبض على فمه  
الاسفل بيد وعلى الاعلى باليد الاخرى وهو يقول « ليك يا مولاي ٠٠ انك سالم  
باذن الله » وما عم ان سمع الخليفة تزريق شدقى الاسد . فتخل الاسد عن فريسته  
ونحوه الى ضرغام فرمى به ضرغام بعيداً واستل خنزيره وأسرع اليه قبل ان يتجمع  
للوئوب وقد عل جنبه وطعنه طعنة في لبته وأخرى في خاصرته وأخرى تحت ابطه  
وقد استفرس وغلبت عليه القوة الفضبية حتى أصبح منظراً اعظم هيبة من الاسد  
فوقف شارياه واحرز عناء وتفعلب حاجيه وكاد يهش ذلك الوحش باستهانه  
وححدث جود في الحضور لحظة ثم رأوا الاسد مضرجاً بدمه وضرغام فوقه والخليفة  
واقف وعيشه شائتان نحو ضرغام فتقاطروا وعلا صياحهم بهشون الخليفة وينظرون الى  
ضرغام لنظر الاعجاب . ولم يهلك المتهمن ان لفظ اليه وايتسم له والاسفار غال  
على سجنته من اثر البفته ولدي موقفه فقال « ضرغام بورك فيك من اسد انك واهه  
ضرغام حقيقة »

فلم يسمع اصحاب الخليفة رجع الى رشدته فوقف والخنزير في يده يقططر دماً ثم  
رمى الخنزير بين يديه وقال « الي عبد امير المؤمنين ولم أقل شيئاً الا يبركته وانا  
اعلم انه اولى مني بالاستقام من هذا الوحش ولو ترك نفسه لم يعجزه قوه ولكنني غلبت  
علي وجدياني فلم استطع صبراً على ما رأيته من جرأته فقمت بقتله عن مولاي وهي

جمارة اعترض عنها»

فاغب المتصمِّمُ بِاسْلَوْهِ فِي الاعْتَدَارِ وَازْدَادَ اشْتَاءَاهُ وَرَأَى أَنْ يَوْجِلَ مَا يَقِي عَنْهُ  
مِنَ الْكَلَامِ طَلْوةً وَأَرَادَ السَّبِيرَ فَاحْسَنَ بِالْمِلْمَلِ فِي فَخْدَهُ مِنْ أَنْ تَخْلُبَ الْأَسْدَ وَلَكِنَّهُ تَجْلَدَ  
وَمِنْهُ وأَمْسَ القَوْمُ بِالْاِنْصَارَافِ وَتَحْوِلُ مَعَ ضَرَغَامِ إِلَى قَصْرِهِ وَاسْمَ الْحَاجِبِ إِنْ يَنْعِنْ  
إِبَاً كَانَ مِنَ الدُّخُولِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَيْهِ الْمُطَبِّبُ فَاسْمَ يَاهْضَارِهِ وَلِمَ تَعْضُ لَطْفَةَ حَقِّ  
إِنَّ الْمُطَبِّبَ فَخْلَا بِالْخَلِيفَةِ وَكَشْفَ عَنْ فَخْدَهُ قَلْمَبِيْجَدَ أَنْرَاً يَسْتَحْقُ الْاِهْتِيَامَ لَأَنَّ الْمُرْعَ  
سَاتَ مَوْاقِعَ الْخَالِبِ فَهَنَأَ بِالسَّلَامَةِ وَأَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُتُّ فِي الْفَرَاشِ بَقِيَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَخَرَجَ

## الفصل التاسع والعشرون

### الخلوة

وَتَسَامَعَ أَهْلُ الْجَوْسِقِ يَا اسَابِ الْخَلِيفَةِ فَتَقَاطَرَ الْوَزَرَاءُ وَالْقَوْادُ لِسُؤَالِ عَنْهُ فَأَبَاهُمْ  
الْحَاجِبُ يَا اوسَاءَ بِهِ فَرَجُمُوا إِلَيْهِ ضَرَغَاماً فَانْتَهَى دُعَاءُ إِلَيْهِ فَمَدْعَهُ فَدَخَلَ بِسْدَانَ غَلَ  
بِدِيهِ وَاصْلَحَ مِنْ شَأْنِهِ فَتَحْفَزَ المَتَصَمِّمَ لِأَوْقُوفِهِ لِإِظْهَارِ أَلْعَابِهِ فَأَكَبَ عَلَيْهِ يَدَهُ يَقْبَلُهَا  
وَيَسْتَهِرُ عَنْ جَسَارَتِهِ فَأَمَرَ لِهِ بِالْجَلْبُوسِ إِلَى جَانِبِهِ فَجَلَسَ جَانِيَّاً مَتَادِيَّاً فَقَالَ لِهِ الْمَتَصَمِّمُ  
«أَنْ جَيَّنَيِّيَ الآنَ مِنْ يَدِكِ يَا ضَرَغَامِ»

فَاظْرَقَ ضَرَغَامَ إِسْتَحْيَا وَقَالَ «الْفَوْيَامُولَايِيَيِي لَمْ أَقْلِ شَيْئاً يَسْتَحْقُ هَذَا الْأَطْرَاءِ  
لَأَنَّ الْأَسْدَ اتَّمَ مِنْ نِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي أَسَابَهُ فِي لَيْتَهُ مِنْ قَبْلِ وَمَا وَنْوَهَ هَذَا  
إِلَّا مِنْ بِعَاهَدَةِ الْاِحْتَضَارِ وَهُبَّ أَنِي فَمَلَ شَيْئاً فَلَمَّا عَيَّدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَفْدَيَهُ بِدِيمِيِّ  
قَالَ «بُورُوكَ فِيكِ . . أَنِي طَلَّا إِنْجِيَتِي بِيَسْلَكَ وَإِخْلَاصَكَ وَإِنْ مَحَاطَ بِالْمَدَاحِينِ  
وَالْمَلَفِينَ لَا إِنْقَ الْأَقْلَيَلَيِنَ مِنْهُمْ وَانْ كَنْتَ اَظْهَرَ وَنُوقَيْ بِهِمْ جَيِّماً . . وَانْ قَالَدَنَكَ  
بِنَدْرِي بِلَاطَ الْخَلْفَاءِ فِي مِثْلِ هَذَا الْجَلِيلِ الْفَاسِدِ . . وَمَمَّا كَنْ اَجْهَلَ إِخْلَاصَكَ مِنْ قَبْلِ  
وَذَلِكَ جَلِيلَكَ رَئِيسَ حَرْمِيَيِي فَانْتَ جَدِيرُ بِهِذَا النَّصْبِ وَلَا يَلِيقُ إِلَيْكَ» ثُمَّ بَلَعَ رِيقَهِ  
وَالْقَنَتَ نَحْوَ الْبَابِ ثُمَّ نَحْوَ النَّافِذَةِ كَمَا يَجْسُسُ الْكَانِ لِيَتَحْقِقُ خَلُومَهُنَّ الرَّقَابِ وَاطْرَقَ  
هَبَّةً وَسَكَتَ وَضَرَغَامَ مَطْرَقَ وَهُوَ يَنْتَظِرُ إِلَيْهِ خَلَةً ثُمَّ رَفَعَ الْمَتَصَمِّمَ رَاسَهُ وَقَالَ «أَتَلَمَّ  
مَلَذاً اسْرَعْتَ فِي اسْتَقْدَامِكَ مِنْ فَرَغَانَةِ؟»

قال «كلاً يا مولاي»

قال «هل تعلم أنك بين يدي المتهم؟» \*

قال «نعم يا سيد اعلم ذلك»

قال «وتعلم ان دولتنا قامت بالمحافظة على الاسرار؟» \*

قال «نعم اعلم ذلك وستأكِّد مولاي اني احفظ لسره من صدره»

قال «اعلم اني وقت ياك واعتقدت فيك الاخلاص وصدق الخدمة منذ رأيتك  
للمرة الاولى وقد شعرت بشيء حييك الي \*\*\*»

تحفظ ضرغام للهوض احتراماً لذلك التصریع وهو يقول «ذلك منه لا استحقها  
ومن این بلدي مثلثي ان ينال هذه الحظوظة عند امير المؤمنين واي فضل لي اذا اخلصت  
الخدمة خليفة الرسول اليه ذلك فرضاً على كل مسلم؟»

فقال وهو يقعده بيده «عليـ ان ذلك فرض على المسلمين ولكن المخلصين قليلون ولو  
لا ذلك بما اضطررت الى اخراج من بغداد واثنا عشرة المدينة ولا كان منه داع لقيده  
هذه الاجداد من اقصى تركستان وفرقاته لاستعين بهم على قومي وعشيري وعلـ اولـ ذلك  
الفرض الذين اطمعهم اخي المؤمنون رحمـه اللهـ بالـدولـةـ \*\*\*ـ اـنيـ محـاطـ بالـاعدـاءـ منـ كلـ  
ناحـيةـ \*\*\*ـ لاـ يـكـفيـيـ الـاعـادـهـ الـابـاعـدـ فـيـ اـذـريـجانـ وـطـبـرـيـانـ فـانـ الـاعـادـهـ يـقـيمـونـ فـيـ  
مـدـيـانـ وـفيـ قـصـريـ \*\*\*ـ انـ هـوـلـاـ،ـ الاـزـراكـ الـذـيـ جـعـلـتـ بـطـانـيـ وـعـهـدـ بـيـهـ جـمـاـيـ  
وـنـصـرـهـ هـذـهـ الدـوـلـةـ \*\*\*ـ حتىـ هـوـلـاـ لـاـ يـصـرـوـنـيـ الـأـ طـلـعـاـ بـالـمـالـ \*\*\*ـ اـنـ اـعـلـ ذـالـكـ وـاـنـ  
صـاـبـرـ لـهـ اـسـارـيـهـ وـاخـادـهـمـ وـانـقـ الـامـوـالـ فـيـهـ وـمـ يـظـلـوـنـ اـنـهـ يـخـدـعـونـيـ \*\*\*ـ وـسـكـ  
وـقـدـ بـدـ الـاهـمـاـمـ فـيـ عـيـنـيـ فـاـبـرـقـاـ بـرـيقـاـ يومـ النـاظـرـ اليـهـماـ انـ الدـعـمـ يـنـشـاعـرـ فـتـهـبـ ضـرـغـامـ  
مـنـ ذـالـكـ وـاـلـرـقـ يـنـظـرـ مـاـ يـدـوـنـ مـنـ الـخـلـيـفةـ

ثم رفع الخليفة بصره اليه وقال «ضرغام .. هل شاهدت الاشرين في فرغاته؟»

قال «نعم يا مولاي»

قال «وما الذي ذهب به الى هناك؟»

قال «لم يغيرني بسبب ذهابه ولكنني اثنان ذهب يتعهد بذلك واهله في عيد التوروز  
.. واظنه قادماً قريباً»

قال «انه قادم طبعاً لانه لا يجد رزقاً اوسع من هذا ولكن .. \*\*\*

فقال «هل امير المؤمنين في رب من اخلاصه؟»

قال «أني في ريب من ذلك وان كنت لا أجد سبباً صريحاً لارتيابي على أنني اغالط  
تشي واظهر الثقة به لأننا في حرب لا غنى لنا فيها عن الآشين ورجاله واثني ان أكون  
خدعاناً بظني والذى ابغى منه الآن ان تكون موضع ثقفي ولا تفارق قصري . . . . .  
فاجابه على النور «أني عبد أمير المؤمنين وطوع اشارته»

قال «وانت منذ الآن صاحبى ومع ان اسكن اليق الاسماء يسائلك فقد اخترت  
لك اسم «الصاحب» قالت من هذا اليوم تسمى الصاحب لانك لا تزال صاحبى افهمت  
باصحاب»

فعلى ضر فام رأسه شكرأً وامتناناً وقال «لقد تكاثرت عليّ نعم أمير المؤمنين ولا  
اراني اهلاً لها ولكنه اراد ان يرفع سنته و . . . . .  
قطع الخليفة كلامه قائلاً «كيف لا تكون اهلاً لذلك وانت اتفدت جياني من بين  
بران الاسد؟»

فراد ضر فام استحياء وخجلأً وقلبه يرقص طرأً لعلمه ان ترقى في عين الخليفة  
وتقرب اليه يسرٌ حبيبة جهان ويشعر انه صار اهلاً لها — والحبون اهلاً يطلبون  
على ارضه لاحبائهم — ولكنه نظر الى الخليفة مفضياً وقال «لم اعد استطيع الشكر على  
نعم مولاي فاعذرني»  
فقال اذا كنت تعدد هذه السفاسف فما فكيف اذا علمت بما اعددته لك من التعم  
الحقيقة؟

فظل ضر فام ساكتاً واستأنف الخليفة الكلام قائلاً «قد علت انك لم تتزوج بعد  
انما تتزوج موهيم والدتك على حدة . . . . فاردت ان تقيها في قصر اخصره لكجا يجوار هذا  
القصر وقد انك ان تتزوج . . . . اليك كذلك؟»  
فاطرق ضغام باحترام وقال «الامر ملولي»

قال «وقد اعددت لك جارية تركية من اجمل النساء عرفت فيها الذكاء والجمال . . .  
رأيتها منذ عام وبعض العام وما زلت متذراًيتها وانا اصغر ان تكون زوجة لك»  
فلا يسمع ضر فام قوله استطع يده لان قلبه ليس له . . . . وقد احب جهان ولا يريد ان  
يحب سواها ولكنه لم يستطع مقاومة اخلاقية ولا استطاع التأمين على قوله فظل ساكتاً وقد  
حار في امره

فراى المثصم حسروته فلم يخطر له أنه يريد طلبه فقال «ماذا لا تخيب؟ ام يعجبك

اقترافي ٩

قال «كيف لا فان جوار امير المؤمنين غاية مرادي» وسكت عن امر الزواج فلذلك اخليقية سكت حياء فقال «والزواج .. العلاك مختلف عن مائر الناس وليس في جندي واحد لا يبتغي الزواج ولذلك فانا ابعث في ابیان الجواري لهم من تركستان لهذه الغاية كما تعلم لاني لا احب اختلاطهم باوئلک السوفة يبغداد وغيرها ثلاثة يغلب عليهم الخشى ام العلاك تفضل ان تخبار لنفسك جارية من الجواري الواقية ابتعثموعن في هذه السفرة . ولكنني واثق انك لا تجد في تركستان كلها فتاة اجمل من التي اخترتها لك . وب يكنى ان اختياري وقع عليها وانا اعلم ان قوادى يتذمرون فيها لفطرت جمالها وذكائها ولكنني قد اختممتلك بها دونهم »

فلم يجد ضر غام سيبلا للجواب ولا استحسن التصریح بما في خاطره واجل القطع بذلك لقصة اخرى فقال « ان الزواج لا عجبة فيه الا ان وعدهما في حرب او تناهب طرب ومق فرغنا من ذلك فاني طوع اشارة امير المؤمنين » فاكتفى المعتض بما سمعه واعيه منه تأهله للحرب واراد طلاقه فقال « وهب انا في حرب فلست تاركك تفارق قصري .. وسترى .. وانما اقدم اليك ان تستقبل بولذلك الى هنا كما قلت لك وابيرها ان اسمك من اليوم « الصاحب » وساوسني بطريق وقوادي وسائر رجال دولتي بذلك » ثم ترhz من مكانه بشكل فهم منه ضر غام انه ياذن بالصراحت فتحفظ لاهوش وهو يقول « ايذن امير المؤمنين بانصراني لآخر والذى يعا أمر ٩ »

قال «الصرف اذا ثبت وانا موعد الى القبر ما نه ان تهي ، لكم المزبل اليوم » فشي ضر غام ووجهه نحو المعتض حتى صار بالباب وخرج . فصاح اخليقية بال حاجب فدخل وامرها بما تقدم اما ضر غام فيبعث الى وردان بناء بالفرنس فركبا وسارا يশمسان البيت وضر ظام غارق في بخار المواجهين تتقاذفه الافكار وقد سره اصحاب اخليقية به ودعوهه اياه ليقيم بقربه ولكن ساهه امر الزواج على انه لم يعاقب عليه كبير اهمية اذ لا دخل له بالسياسة فيسهل التخلص منه

# الفصل السادس

## رأي آفتاب

فلا وصل الى مازله سبقة وردان فيشر والدنه بقدومه فعرفت وردان من صوته وقللت  
بالسؤال عن حاله ثم وصل خر GAM فلقته والدنه وبنته وكانت قد اعدت له الطعام مجلس  
على المسائدة وفكوه مشغول بما سمعه من الخليفة فشعرت آذنات بالغيرة الذي طرأ عليه في  
ذلك اللبيبة من سكوته فقالت «هل لقيت امير المؤمنين»

قال «نعم يا امام لقيته»

قالت «كيف هو وهل اخبرك بسبب استقامتك السريع؟»  
فأبطن في الجواب لانه خاف اذا قال لما كل شيء ان يكون قد خالف الوعد واباح  
بالسرم قال «قد اخبرني .. ولكن حدث امر غريب»

قالت «وما هو؟»

فقص عليها خبر الاسد وما كان من دفاعه عن الخليفة فاتسح صدرها وبيان ذلك في  
عجايب اخبارها ان الخليفة غير ائمه وتهى عن ان ينادي خر GAM واما ينادي «الصاحب»  
وزكر لها السبب فزاد مزورها بذلك القربى ثم قال «وقد دعاني للإقامة بجواره»  
وكانت تقطع لقمة من الرغيف لتناولها فلما سمعت قوله ظهر الارتباك باناملها وشخت  
بعينيها البيضاوين اليه وقالت «دعاك للإقامة بجواره؟ لماذا؟»

قال «لا كون ملازما له .. وذلك اكراام عظيم»

قالت وقد توقفت عن ازدراد ما في فيها من الطعام «هل يريد ان اكون انك  
معك ايضا؟»

قال «نعم وقد ذكرك على المخصوص وقال تكن انت والدنه هنا»  
فتغير لونها وتشغلت باللغة وبيان لقها من تسرعها فيه وقالت «اذهب انت وحدك ..  
ولا حاجة لي الى الاقامة بقصر الخليفة»

قال «وماذا يا امام .. اذا كنت لا تريدين النهاب معي فانا ايضا لا اذهب»

قالت «اذهب ان القربى من الخليفة شرف يتمناه القواد واما انا فاماك هناء على انت  
يزداد الي» حينها بعد آخر لالسك واقتيلك

فتعجب شرquam من استكانها واباها وقال « بل تذهبين معي فتقيم هناك كما تقim هنا وقد وعدت الخليفة بذلك ولا سبيل الى التغيير » فوجبت حيتاً ثم قالت « نظر في ذلك بعدئذ » قال « ليس لنا وقت للتفكير فانما منتقلون في الغد . سري مسعودة بالاستعداد وسأومي وردان ان يساعدنا . ولا ريب انك ستتأنسين بن في فصر الخليفة من النساء فتقضين ساعات النهار بالسلية والاحاديث او سماع الغنا ، وذلك افضل من بقائك منفردة هنا . وزد على ذلك اني في حاجة الى وجودك هناك لامر يهمي انا » فتصاعد الدم الى وجنتها وتغيرت صحتها ودارت عيناه دورة تكاد تطلق بما اعترض فكرها من الارتياك وقالت « اما الاستشارة فلا ابغية من سواك فانت تعزبى الوحيدة لا اطلب سواها .. بل انا اشتربط عليك اذ كان لابد من اقامتك هناك ان تطلق لي الحرية بالبقاء في المنزل لا اخرج الى احد . وقد ذكرت انك تحتاج الى ما هي حاجتك وهل اقدر على شيء ، وانا كقيقة البصر كما ترى ؟ » قال « انت ضوئي وان كنت ضريرة وسأوصلك في اقاصي من سعاده قد اعدها الخليفة لي »

قالت « القاذك من سعاده ؟ ماذا تعنى ؟ »

قال « اعني ان الخليفة لترط اهتمامه بسعادي قد خطب لي جاريه تركية قال لها أجمل نساء هذه المدينة وانه احتفظ بها من اجل وفواده يتزازعون عليها » قالت « وماذا قلت له ؟ »

قال « اجلت الجواب لاني استقيمت من الرغفه »

قالت « هل انت عازم على رغفتها ؟ »

قال « وكيف اذا .. هل اقبل بها ؟ »

فسكتت وتذكرت انه عالق القلب بجهان فقالت « وكيف ترفض امر الخليفة ؟ »

قال « وجهان ؟ اليست هي هروبي ؟ »

قالت « لذلك انت تحب ان تكون معك .. ت يريد ان احتال لاقاذك من هذه الخطبة .. ان ذلك هين »

فانشرح صدره وقال « اذاً خداً نتقل جميعاً .. قولي لمساعدة ان تستعد للارتفاع .. واحدري من الان وصادر ان تصادفي شرquam فان امي « الصاحب » كا قلت لك واذا

رعيتني بغير هذا الامر يستاء الخليفة »  
 قال « لك على ذلك » وكانوا قد فرغوا من الطعام فامرت آذناب مسعودة  
 بالاستعداد وهو امر وردان يساعدتها  
 وفي اليوم التالي انتقل الجميع الى قصر الخليفة واقاموا في منزل يحيى وهو ليس معهم  
 من الخدم المخصوصين الا وردان ومسعودة . اما حبائراتهم فيقضيهما خدمة الخليفة .

## الفصل الخامس والثلاثون

احمد بن ابي دواد

تفى الصاحب في جوار الخليفة اياهاً وهو يتوقع ان يسمع خبراً عن جهان او اي ائمه  
 يأتىقدورها وقد ازداد رغبة في سرعة جيبيتها الخالص من الجارية التي دبرها له الخليفة . ولم يكن  
 يرتاب في ان الخليفة اذا رأى جهان زهد في سائر نساء الارض فلا يلومه حينظر اذا الى  
 الزوج بسوها . وطال غيابها حتى استبطأها وشغل خاطره لتأخرها وانقطاع اخبارها  
 وشقق صدره عن كنهان ذلك القلق فاستدعى وردان اليه ذات يوم فلما حضر قال له « ما  
 ترتك باهل فرغانة »

ففهم وردان قصدته وقال « اتعني مولاني جهان ؟ »  
 قال « طبعاً اعنيها هي وقد كنت على موعد من قدوتها الى هنا بعد انقضاء مدة الحزن  
 قفت عدة اسابيع ولم تأت ولا سمعنا عنها خبراً فرأيك ؟ »

قال « اتريد ان اذهب للتحقق منها ؟ »  
 فاستغرب الصاحب قنائمه في سبيل خدمته واجسم له وقال « بورك فيك ياوردان .  
 لا اكلفك هذه المشقة ولكنني استشيرك في الامر »

فاطرق وردان واعمل فكرته ثم قال « الرأى عددي ان تصير مدة اخرى لاتكون طويلاً  
 لصيحي يصل مولانا الاشرين فانه هائد من فرغانة كما تعلم »

قال « ومتى يكون هذا ؟ »  
 قال « جاءت البشائر بقرب وصوله فإذا جاء سأله او سألا بعض رجاله لانهم فادهون  
 من هناك حدثياً »

فاصنخن غر GAM قوله « بعض رجاله » فقال « ارى ان تولى انت امر البحث في هنا  
الثأن من بعض رجال الاشين »

قال « فهم مرادي . وهذا ما خطري ولم اجر ان اعازبك »  
فحشك الصاحب ( او غر GAM ) واظهر الاستئناس برأي وردان وقال « لانكم رأي  
ترى فيه مصلحة لي واعلم اني اعدك منذ الان رفيقا لي لا خادما لاني اراك ارق من ذلك  
كثيراً »

فاطرق وردان احتراماً وقال « اني لا أزال خدمك اتفاق في خدمتك . انا ذن لي ان  
اذهب للاقاء حلقة الاشين قبل وصوطاً »

قال « انفع ما يدالك »

فودعه وخرج

وبك غر GAM ساعة في قصره ثم جاءه رسول من المعتض بدعوه اليه فليس ساده  
وزهب الى التصر فقيل له ان المعتض في خلوة مع قاضي القضاة احمد بن ابي دواد فيدار  
اخاصة واله امره يادخاله عليه حال وصوله  
وكان غر GAM يعرف مذلة ابن ابي دواد عند الخلية وانه لا يختلي به الا لامر ذي  
حال فاستاذن ودخل فرأى الخلية جالساً على مريره في صدر القاعة واحمد بن ابي دواد على  
كرسي بين يديه

وكان احمد هذا معروفاً بالمرؤة والمصببة ومع انه عربي الاصل ينسب الى بني اباد  
والمعتض قد ابعد سائر العرب من مجلسه وقطع اعطائهم وحط من اقدامهم واتخذه  
الانراك يبطئه فقد كان شديد الثقة به لا ينفي امراً الا يشورته ولا يشاور وزراءه  
وامض ابن ابي دواد من قرية في قنسرين واتخبر ابوه الى الثام واخرجته معه وهو غلام ثنا  
في طلب العلو ولا سيا الفقه والكلام حتى فاق معاصريه وكان معزلياً فصيحاً قوي الحجة  
ونال عند المعتض حظوة ودالة لم يسبقه اليها احد حتى صار ينشئ الكلام في حضرته وكانت  
المادة عند اخلفاء ان لا يدأم احد بالكلام حتى يخاطبوه ومن أمثلة دالله هذه ان المعتض  
غافب مرة على خالدين بن يد الشيباني واشخصه من ولايته لعجزه عنه في مال طلب منه واسباب  
غير ذلك . فجلس المعتض لعقوبه وكان قد طرح نفسه على القاضي احمد فتكلم فيه فلم يجده  
المعتض فلما جلس لعقوبه حضر القاضي احمد فجلس دون مجلسه الاعتيادي فقال له المعتض يا ابا  
عبد الله جلست في غير مجلسك . فقال ما يبني لي ان اجلس الا دون مجلسي هذا . فقال له

وكتب قال لأن الناس يزعمون أنه ليس موضعه موضع من يشقق في رجل. فيشقق . قال فارجع إلى مجلسك . قال مشفعاً أو غير مشفع قال بل مشفعاً فارجع إلى مجلسه . ثم قال إن الناس لا يعلمون رضا أمير المؤمنين عنه أن لم يشقق عليه فأمر بالقطع عليه فقال يا أمير المؤمنين قد استحق هو وأصحابه رزق ستة أشهر لا بد أن يقفوا بها وإن أمرت لهم بها في هذا الوقت قالت مقام الصلاة فقال قد أمرت بها . فخرج خالد وعليه الخلل والمثال بين يديه وإن الناس في الطرق ينظرون الإيقاع به فصاح به رجل الحمد لله على خلاصك يا سيد العرب فقال له أشك سيد العرب والله أرحم بـ ابن أبي دواد <sup>(١)</sup>

هذا مثل من عدة أمثلة تدل على تفوز ابن أبي دواد ولم يكن ذلك خاتماً على ضراغم فلا دخل على المعتض والقاضي أحد عنده علم أنه دعي لامر ذي يال . فلما أقبل على الخليفة جاء بتحية الخلافة قائلاً « السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » فرش له المعتض وناداه إليه وامرء بالجلوس على كرمي كرمي بجانب أحمد وهو يقول « مرحبًا بالصاحب » والنفت إلى الناضي وقال « أغلظك تستغرب تسميه هذا القائد بغير اسمه قاعلي التي عملت بمحمن وأياك فيه فقد طالما ثبتت على شهامتها وخلالصه وقد رأيت منه فوق ما وصفت حتى عرض بنفسه للموت من أجله . إنه اتفادي من براثن الأسد بسالته قربده وسمته الصاحب وهو الآن يقيم في بعض قصورى . . . . .

وكان ابن أبي دواد في نحو السنتين من عمره قد وخط الشيب عليه وعارضيه فازداد جلاً ووقاراً وهو يلبس زي القضاة بال العامة الطويلة والطيلان الرقيق فلما سمع أطراً المعتض وترحبيه بضرغام هش له وحياة والنفت إلى المعتض فقال « ألا يرى أمير المؤمنين إن حسن خلقه في محله ؟ . ألم من يوم رأيت الصاحب لأول مرة نزل من قسي متلاً رفيعاً وتوقفت له مستقبلاً بعيداً أعاذه الله على خدمة أمير المؤمنين » فقال المعتض « وبناءً على ذلك فأرجي أن لا تخفي عنه ما يدور بيتي »

— ← مصطفى —

## الفصل الثاني والثلاثون

### القواعد والآثار

وكان ضراغم قد جلس متّدّياً ينتظر ما يأمر به الخليفة فقال الخليفة « اعلم يا صاحب الني كنتُ والقاضي تداول في ما يلتفنا من أخبار ذلك الجمومي في أرمينيا » فعلم ضراغم أنه يعنى بذلك الطرف القائم على الدولة في أرديبل وكان عالماً بقياده وبوفاته جرث بيته وبين جند المسلمين ولم يظفروا منه بطاليل حتى استغلال أمره فقال « فعلتُ حدثاً جديداً » خذوا الرجل حدثاً جديداً »

قال القاضي « لا يخفى عليك أن يابك الحزم تقدّم على أمير المؤمنين بأرمينيا فرماه بالافشين ورجاله مرة وبينا ورجاله مرة أخرى والمسافة بيننا وبين أرمينيا بعيدة فنکات الحرب سجلاً ولا يزال الرجل معتصماً هناك وأمير المؤمنين . . . » قال ذلك ونظر إلى المعتصم فقطع المعتصم كلامه قائلاً « قلت لك يا صاحب الف لا أثق بالافشين هذا ولا أعلم كيف استغلي عنه وقد شاهدته أنت في بلاده وبين أهلها وعشائرها فكيف رأيتك هناك ؟ »

قال « إن لهذا الرجل سطوة عظيمة في تلك البقاع انهم يدعونه ملكاً كبيراً وبسمونه ملك الملوك وبضمهم يخاطبه بالله الألة كانوا يتعلّمون ذلك قبل اسلامه أما الآن فهو يستكشف من ذلك وقدرأيت يا أمير المؤمنين من تقدّم كلامه عندم شيئاً عظيماً حتى يجتمع لنهانه الوف الالوف من الرجال . وإذا رأى أمير المؤمنين ان يخرجه من خدمته فإنه فاعل ما يشاء وإذا شاء ان يرمي بي في مكانه بذلك دمي وروحي في مصلحته . لا ازعم انني اقدر على ما يقدر عليه ذلك الرجل ولكنني اعترف باني طوع اراده امير المؤمنين والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء »

قال القاضي وهو يوجه خطابه إلى المعتصم « ان الصاحب يعبر عن اخلاصه وتفانيه في خدمة الدولة ولكن له لوسيل عن عافية هذا التبديل لما جهل الخطير الذي يتربّ عليه . لا ارى ان يعلم الافشين او احد من رجاله بما يفلح خواطرنا من هذا القبيل وإذا اذت امير المؤمنين قلت رأياً اعل فيه فعماً »

قال « فل ما يدالك » والتفت إلى ضراغم وقال « ان القاضي احمد بنوب لبني

عن الوزراء والشידرین فعندنا ان الوزراء ونخاصة غير واحد كأنتم ولكنني لا أنتي باحد  
مهم وثوقي به . . . قل لهاها القافي «

قال « ان الاشرين ملك في بلده وعنه الجند والاعوان وقد رضي بخدمة امير  
المؤمنين طعمًا بالمال . . . ويتحدث بعض الناس انه لا يخدم السطرين الا ذلك ولو ترك  
لغيته لانضم الى بايك وحاربها . وهو اذا صح اسلامه فلا يزال حديثا فيه فاذجا فينة  
اتقلب علينا اذا اتهدى مع بايك اخشى اخدادها لاسباب لا تخفي على امير المؤمنين . . . والذي  
اراه ان ظهر له الثقة باخلاصه وشتريه بالمال هو ورجاله وتضرب بهم ذلك الجبوسي المترد  
في اربينيا فاذا غابوه كفوتوا شرة اذا اتفصح لامير المؤمنين بعد ذلك خيانة الاشرين هان  
عليها الاقتصاص منه اذ يكون منفردًا . اذا كان مخلصا نال ما يستحقه من الرزق والتعم»  
فاحس ضراغم عند سماع قول القافي ان الرجل يتكلم عن تفضل ودهاء ولو ترك  
هونشه لم يصل الى هذا الحكم لانه من اهل الشجاعة وليس من اهل الرأي ويندر اجتماع  
الشجاعة والرأي في واحد . قال اظليفة « ارى قافي الفضة يبالغ يخوبنا من هذا  
الفارسي او الاشروسي وقد فاته من في جدنا من التواد العظام وكل منهم يداعم عن دولتنا  
برجاله وعدته »

قال « صدق امير المؤمنين عنده اثنان التركي وايانخ وبغا وسجا وغيرهم  
ولكن هؤلاء شاؤوا من العامة ليس لاحد منهم ما للاثرين من الفبية في نفس الجند  
قد سمعنا الان ما لهذا الرجل من السلطة في قومه وهم الوف الالوف فاذا اغضبناه لا يقوم  
هؤلاء مقاومه . ولو لا تمدد بايك هذا لم نكن لتفتن بأمن الاشرين ولا سوء . وانت  
يا امير المؤمنين شجاع باسل وقد ايدك الله بالخلافة فلا ترى الركون الى الحيلة او الصبر على  
النکاره ولكننا نعلم من الحديث المأثور انه قال على الله عليه وسلم اكرب خدعة وادا  
وثقت بي فهذا رايب والا فانا وسائر رجال الدولة رهن ما تزيد بذل دماءنا وارواحنا  
في طاعنك »

فالتفت المتعصم الى ضراغم كأنه يستفهمه رأيه فقال ضراغم « اني لا ارى ردًا على  
قول قافي الفضة ولم اكن لافطن بما فطن هو له من حسن السياسة وقد سمع امير المؤمنين  
جواني قال في رجل سيف اصلع بالامر فاذا رميته في اذريجان او تركستان او ازنبيلار كبت  
اليها ودي على كثني ولكن الصواب في ما قاله القافي والرأي طبعا يرجع الى امير المؤمنين »  
قال المتعصم « قد اتقديتكا الان للنظر في هذا الامر لبيبين الاول ان طلاقع

الاثنين جاءت تبشر بقرب وصوله والثالث قد جاءنا جاسوس من اوريينا ان بايك الملعون قد استقبل امره ورها تحرك خونا فلا ينبغي ان نكث هنا في انتظاره .  
 قال القاضي « لا اخذه يمس على الفدوم واغا هو يقنع ان تتركه في مكانه وفي كل حال فالذى اراه ان ختنل بقدوم الاثنين وبالغ في اكرامه حتى فرغ من حاجتنا اليه »  
 فقال المعتض « قد عودتني ان لا اخالف لك رأياً وها هي مرسل اليه من بلاده  
 بالمدايا والخف »

## الفصل الثالث والثلاثون

### المسجد الكبير

وم في ذلك معموا صوت الاذان لصلاة العصر تخفف الخليفة للقيام وصنف فجاء الحاجب فامرء ان ينغير صاحب وضوئه بقرب الصلاة وانه سيهلي العصر في المسجد الكبير .  
 فلم يبق لضرغام والتاضي بد<sup>2</sup> من التعب الى الصلاة معه في ذلك المسجد وهو مسجد سامياً بناء المعتض وبالغ في اقتانه على شكل لم يسبق له مثيل في الاسلام فجعل جدرانه برايا وخصوصاً الغراب حق اذا وقف الخليفة الصلاة رأى من يدخل المسجد من خلفه وبين له منارة عظيمة على شكل لوبي مكشوف يصعد اليها على درج لوبي في ظاهرها يشبه منارة جامع ابن طولون في مصر<sup>(١)</sup> او لعل ابن طولون بناما على مثال تلك . وكان المعتض يصل غالباً في ذلك المسجد لانه على مقربة من قصره . فلما تخفف للهوض استاذن احمد وضرغام في الانحراف وذهب كل منها الى منزله توسي ويتم المسجد دخل الخليفة اولاً والناس وقف للتهrik بروبيه وفيهم القواد والوزراء حق اذا دخل المقصورة الخاصة بعد دخول رجال الخاصة في اثره وفيهم القاضي احمد وعبد الملك الزيات وزيره وقواد الاتراك الذين ذكرناهم . واما ضرغام فدخل حق وقف في جملة الحاشية وكانت الرايا في الجدران على شكل غريب يرى الناس صورهم فيها كان امامهم مسجد آخر فيه اقسام يصلون ووقف ضرغام في جملة الواقفين للقيام بفرض الصلاة

(١) سير الملوك ١٦٢ و ٣ E. Herzfeld, Samarra, Tafel

وينما ضراغم واقف يهلي وعيناه على المرايا في الغرب يرى الناس يدخلون من الباب  
وراءه من يعرفهم ولا يعترفهم ونم بصره على رجل لم يكدر يثبتته حق اجهل ولم يهالك ان  
الفت الى الوراء ليتحقق ظنه قاذوا هو مصيبة في خيبله . وكانت قد رأى بالمرأة صورة  
سامان اخي جهان وناهيك بيرآه من مدحش الشرغام وهو في ذلك الفلق على جهان . فخلف  
في التقهقر رويداً رويداً حتى دنا من الباب ورآه سامان ينهرق فبيده الى صحن المسجد  
نخرج شراغم في اثره وهو يتعرس فيه ويکاد ينكروه لما رأى في حاله من التغير عما عليه .  
لقد فارقة في فرغانة وعليه لباس اهل الوجاهة من الاقفة الثانية بالترتيب والطاقة مما  
يتوصل عن قبعة صورته بعض الشيء فرأه تلك الساعة في حالة يرثى لها من القمع  
ورثابة الثوب وقد ربط زندة وعصب رأسه ووقف ذليلًا كثيئاً فاثر منظره فيه تأثير  
الاشفاق والخوف ثلاثة يكون قد اصاب جهان سوء فصاح به « سامان ؟ ام أنا طلطان ؟ »  
قال « نعم انا سامان يا سيدى »

فقال « ما بالك ماذا جرى لك ؟ اين جهان »

قال « اذا اذنت لي بخلوة قصمت عليك كل شيء فقد تعبت من البحث عنك في  
سامان وانا اسأل فلم يهدني اليك احد فابتلت المسجد ليلي اراك فاعرفك فتوقفت الى ذلك »  
فشار اليه ان يمشي في اثره في صحن الجامع وهو يقول « يظهر انك سألت عنى  
ابني القديم ( شراغم ) وانا اليوم لا اعرفني احد بهذا الاسم وانا انا ابني الصاحب .. فل  
اين جهان ماذا جرى لكم مالي اراك رث السرجال على هذه الحال » وكانت قد انتبه من الصحن  
الى بناء مربع يشكل الكعبة كان المتصمم قد بناء هنا ليجع الناس اليه بدل حجتهم الى كعبة  
مكة واخذنى مني وعزمات <sup>(١)</sup> حق لا يتيق له حاجة الى العرب ولا الى بلادهم فلما افلح بذلك .  
وطلبه باقياً فرأى الصاحب ان يدخل اليه المخواة بسامان اذ لم يتيق له صبر حتى يصل  
إلى المنزل فدخل الكعبة وأشار اليه ان يجلس على دكة هناك وهو يقول « اخبرني حالاً  
اين جهان وماذا جرى لكم »

فليس وهو يتنهى ويسكتن وقال « احمل اليك خيراً لا يسرك »

فاضطراب شراغم وقال « فل حالاً هل اصاب جهان سوء ؟ »

قال « لم يصها سوء ولكن .. » وبلغ ريقه

قال « ولكن ماذا اين هي ؟ قال «

(١) المنسى ١٢٢

قال « لا ادري ابن في ياسيدى . . . قد خطتها مني التصوّس » قال ذلك وناظر بالبكاء فصال شرquam صحة الاسد وحمل عينيه وقد قات شعر شاريه واصبح منظره عيناً وقال « اختطفوها ! من يخسر على ذلك ؟ »

قال « لا اعلم يا سيدى من هم اوئل الائام الذين اختطفوها ولكنني استاذك بالتمهيل على حق اقصى عليك الطبر كا وقع » فصبر شرquam نفسه وقال « قل ولكن اختصر ! »

قال « فارقنا يا مولاي وظللنا في فرغانة بعد سفرك بضعة ايام ذقنا فيها الامر » قال ذلك وارسل بصره الى صحن الحاج وخلف صوته كانه ي Hazard ان يسمعه احد فلا تتحقق خلو المكان من السامعين قال « ان مصيغتنا انت من اقرب الناس اليها . انت من الرجل الذي اوصاه والدي بنا . فالا فشرين لم يكتفي انه حرماني من ارث والدي حتى مد يده الى اخي . . . . . »

فاقتصر بدن شرquam من ذلك التعبير مع اعتقاده انه يعني تعديه على حصتها من الارث كأنه على حصتها ولم يخطر له شيء وراء ذلك فلما سمع قوله قال « اظنه طمع بشيء من حصتها في الارث »

تشاغل مهدا يهلك ذئنه الاجرود وتُنبع وظال ساكتا فارتاد شرquam في امره فقال « اليك كافلت لك ؟ »

قال « لوانه اكتفى بالارث لكن خيراً ولكن طمع فيها في نسبها . . . ويسوه في ان اغريك بهذا الطبر ولكن هو الواقع ويجب علي ان اصدقك . . . ان الاشرين على كوهوكه طلب الاقتران بالختي ولا بد انه عالم بانها مخالفة للبطل الصاحب وانها يستحيل ان تقبل بسواء »

قال شرquam وهو يرتعد من الناثر « وبعد ذلك . . . ماذا فعل ؟ »

قال « لم يفضل شيئاً لانا ندار كنا الامر بالقرار قررت انا ووجهان في قافية بما خف حمله من الماء والملح ولم يخبر احداً من اهل القصر الا القبرمانة خيزران اخذناها معنا وركبنا باس مع ما يكفي نطلب سارماً قبل ان يعلم الاشرين بما قطعنا البراري والقرار وقامبا علينا شديدة من الحر والبرد والتعب حتى دخلنا خراسان ودوننا من همدان . وقد فارقنا القائلة وحسبنا اقتسا معرنا بامان . فاعتبرنا قوم على خيولهم فقلتهم من قطاع الطرق قد افتقا عن انسنا دفاماً حتى جهد طلاقاً حتى تمطلت يدي وبحر رامي وكانت اود ان اقتل وتبقي

جهان سالمة أكراها لك ولكن ..

فصاح به « ولكن مازاً هل اصاها سوا .. اليست هي حية »

قال « هي حية ياسيدني ولكنهم خططوها وذهبوا بها وبغير مانتها وأآخر كلمة سمعتها منها قوله « سلم على ضراغم واخباره هنا جرى »

فتعاظم غضب ضراغم حتى دمه واحمرت عيناه وقال « ومن هم اوئل الكوصون ؟ ألم تعرف أحداً منهم ؟

قال « كلاً لأنهم كانوا ملائكة ولم ينوهوا بكلة ولا استعاظم صوتاً كانوا لهم فعلوا ذلك عنوة خوفاً من نكشاف أمرهم »

## الفصل الرابع والثلاثون

همدان

فاطرق ضراغم مدة كان فيها كالشائع يحسب نفسه في حلم او كأنه انتقل الى عالم آخر حتى اقتنبه جلبة الناس في الشاء خروجهم من المسجد ونذكر ان الخليفة معهم خاف ان يراه مختبئاً فيشك في امره فخرج واخبط برجال الدولة وأشار الى سامان ان ينتظره فظل واقفاً في مكانه . وبعد قليل انترج الوقوف وشقوا طريقاً ل الخليفة ووقفوا لأخيصة والاحترام لزيرهم المعمتم وهو يتغرس في وجودهم حق وقع بصريه على ضراغم فاشار اليه ان يتبعه فاستعاد بالله وخفى ان يكون من تلك الدعوة ما يحول دون البحث عن جهان . وتنزق الناس عن الخليفة رويداً رويداً حتى وصل الى القصر ولم يبق معه غير ضراغم فدخل واشار اليه ان يتحقق فعمل حق وصلوا الى غرفة خصوصية قحول الخليفة شهوة وقال « رأيتك خرجت من المسجد قبل الفراج من الصلاة »

تفجّل ضراغم من هذا الاستفهام وقد فاتته ان الخليفة يرى الخارجين والداخلين بواسطة المرايا كما رأى هو سامان ولكن رؤية سامان تجاهه انتهت نفسه وموافقه . فليا ساله الخليفة عن سبب خروجه لم يرد بدعا من الاعتداد ف قال « خرجت لشاهدة دجل لم اكن انتظر زلاته ومهما في امره وكان ينبغي ان اقيم الصلاة حتى اخرج في اثر امير المؤمنين فاعتذر لولائي واعد توبيخه هذا التفاصي الكبيراً الى صنيعته »

قال «أني كثير الاتهام بـ تـؤـنـتك لـأنـك صـاحـي فـارـجـو أـن لاـيـكـونـ عـلـيـكـ باـسـ ماـ رـأـيـهـ أوـ سـمعـهـ»

فرأى ضراغم الفرصة مناسبة للاستئذان في النجاح إلى همدان فقال «لا يأس على» مادمت في ظل مولاي أمير المؤمنين ولكن قوماً من أهلي كانوا فادمين من فرغانة إلى العراق فاصيبهم ما اخر وصوطم فيثروا يستعيثون بي على ذلك فهل يأخذ مولاي يذهب الي بضعة أيام؟ فاطرق المختم ثم قال «سر ولا تجعل الغياب وإذا رأيت ان تستعين بجند او بريد اقول» فانهني ضراغم شاكراً واستاذن بالانصراف ورجع إلى المسجد حيث ترك سامان وقد سرّه اهتمام المتعصم بأمره ولكنه ظل مُضطرب اغاظر لما <sup>لما</sup> عن جهان وعن الانفس وكلها ثقيل على السمع وعلى القلب ولم يكن الآفرين قد وصل إلى سامرا فرأى ضراغم المبادرة إلى همدان فامر بإعداد افراس البريد ينتقل بها هو وسامان وذهب لوداع والدته وقال لها انه ذاهب في مهمة وقتية يعود منها بعد بضعة أيام فقبلته وودعه فركب في ذلك المساء وفيله يكاد يبقة إلى همدان من شدة القلق وكل ما وصل إلى مخطة من محطات البريد لاجل تبديل الركاب يسأل الناس هل <sup>يمموا</sup> ياصحوص يتمون في بعض الاماكن هناك وكان يواصل السير نهاراً وليلًا لا ينام الا قليلاً حتى دفعوا من همدان وبجانبها جبل وعر وطريق البريد يمباب ذلك الجبل وفيه محطة خليل البريد فلما وصل إلى هناك سأله سامان «ألا لذكر المكان الذي جرت فيه الواقعمة؟»

قال «ورا، هذا الجبل على ما اظن»

وكان وصوطم إلى ذلك الجبل فهو الفروب وقد اعد له اصحاب البريد منزلًا بيت فيه ويتناول ما يحتاج إليه من اسباب الراحة ولكنهم لم يستطع صبراً إلى الليل - وكان في تلك المخطة غير واحد من السعاة والكونجيات واصحاب الاخبار التي واتنا هنكل صدفة وكل منهم ساير في طريق عمل صاحب تلك المخطة ان الصاحب من خاصة الخلقة وقد جاءه الباحث عن شيء، هام واتياً الآخرین بذلك فاصبحوا يتوقفون اعده فسأل صاحب تلك المخطة قائلاً «الملك هنا من زعن طوبى»

قال «من بضعة اسابيع ونحن اصحاب البريد ننتقل دائمًا فهل يزيد مولاي خدمة قومها»

قال «اشكرك ولكنني احب ان اعلم اذا كنت سمحت بالخصوص او قطاع طريق يختصون في بعض هذه الودية او الجبال او يزرون من هذه الامكنة»

قال «فلا نسمع بشيء» من ذلك ولكنني سمعت بالاس انس جماعة من قطاع الطريق  
معتصمون وراء هذا الجبل ولم يصل خبرهم الى الحكومة بعد على ما اظن  
فلا سمع غرغام قوله لم يهلك عن المبادرة الى الامر فقال «ارسل عي رجلًا يهدى  
الى اوثنك الاصوص» ومشى  
فأعجب الرجل بشجاعته وبمبادرةه الى النهاية وحده فقال «الا ترى يا ميدي  
ان ترسل احداً للبحث عنهم وشكك انت هنا؟»  
قال «كلا يكفي ان ترسل عي رجلًا يدلنا على الطريق» ومشى وسيقه الى جانب و قد  
التف ببعاته والكافية حول رأسه وتبعد سامان ورجل من خفر تلك الحطة سار امامهم  
في شعب وعرة وقد غابت الشمس واخذ الليل يشکاف وغرغام مطرق لا  
ينفذ ولا يتكأ حق انفع الى منعطف في ذلك الجبل فوقف الدليل وأشار يده الى  
نور ضعيف على اكمة امامهم وقال «هذا مقر القوم يا ميدي واخاف ان يستخفونا ويلاحقونا  
بنا اذى»

قال «لا تخاف امك انت هنا مع سامان دينا اعود اليكما»

## الفصل الخامس والثلاثون

### المتعصم والعرب

فاظهر سامان انه يفضل النهاية في خدمته ولكنها ابقاء هناك ومشى وحده وهو يتعذر  
بالخطى ويسعى لرفع ثعالبه قرقة كان غضبه اعراه عن اخطر الذي يهدده بالمسير وحده على  
ذلك الصورة ولكنها كان شديد الاعقاد بقوتها كثیر الاعياد على بساطه حق اذا  
صار على سهم من اللزل رأى اشيائنا تراوح بينه وبين المصباح وسمع هريرا الكلاب  
فلم يبال وراء القوم فادما وحده فلم ينظر لهم انه عدو لم يتم ان العدو لا يحسن على القدوم  
منفردًا فتصدر واحد منهم وصاح «من هذا؟»

قال غرغام «قادم» يبحث عن ضائع .. ابن هو كبيركم»

قال «قف عندك حق ناتيك والا عرضت نفسك الخطير»

فوقف سلطة رأى في اثنائهما القوم في حركة ونهائس ثم تقدم واحد منهم ويدله

ليس وقد نائم بكونية والتلف بعبادة لغيره شر غلام فيه ظلم يعترفه ولكن تجدر منه فجعل يده على قبضة ميفه وهو ينظر للوثوب او الدفاع ولم يكدر صاحب النبس يصل الى شر غلام حتى قال له « اهلا بضرغام ... اهلا بالصاحب »  
فلا يمتهن ينادي به باسمه خنق قلبه واستأنس به واشتبه بصوته ولكن لم يعترف فقال « من أنت ... »

وكان قد وصل اليه فازح الشام وادنى النبس من وبيه وقال « ألم تعرفي ؟ »  
فتجلس شر غلام فيه وما يعترفه صاح « حماد ؟ ما الذي أتي بك الى هنا ؟ »  
قال « أتي بي الى هنا خلّم صاحبك ... تفضل » قال ذلك وصفر صفيرًا ابطل نباح الكلاب وفرق الرجال الذين كانوا مجتمعين ومشي وهو قايس يده على يد شر غلام برشده الى الطريق وشر غلام يعجب لما يراه لانه يعرف حماداً من وجوه رجال الدولة في سامراً وقد رأه فيها منذ اسابيع وكان شديد الثقة بصدقته فتبعه مطهثها حق وصلا الى بناء قديم بخارته خجنة وقد تهدم بعض جدراته ولو قرنس النadam في ما يبقى من اقاضيه على ضوء النبس لرأى عليها نقوشاً وصوراً من آثار الفرس القديمة ولكن شر غلام لم يتبه الى شيء من ذلك . واذا اصحابه قد اوصله الى غرفة ليس فيها شيء من الااثاث او الرياش ولكن شاهد في ارضها اكياساً من المحبوب وصناديق فيها الآنية والمانع كأنها الخذت من اصحابها التجار في تلك الساعة . فما شار حماد الى شر غلام فجلس على صندوق وجلس هو على صندوق آخر وقال « افلتك تعجب لما رأي . فلا تجيء »

قال « كيف لا اجيء وقد يلتقي عن هذا المكان انه مسكن اللصوص وواراك فيه كواحد من اهله »

قال « بل انا زعيم اصحابه ... ولم اكن لا كافشك بذلك وادخلك هذا المكان لولا ثقني بك واتعلم مغبة ظلم صاحبك »  
قال « افلتك تعفي امير المؤمنين »

قال « بل اعني امير الاتراك والقراغنة اذا احرجتني قلت انه امير الكافرين مثل أخيه المأمون »

فتشغل شر غلام بهذا الامر الغريب عن التعرض الذي جاء من اجله فقال « اتي لا ارى مسوغاً لهذه التهمة ولو لاما علمه من حسي لك ما سببت على ما اسمته منك ولكنني اذكر صداقتك واحب ان تصريح لي بما يكتئ شميرك عساي ان اذهب ما في نفسك من

القل فترجع الى رضى الخليفة وتحن في حاجة الى رأيك وسيفك واعداؤنا كثيرون فلا  
يُبغي ان تفرق »

فاعتذر حاد في مجلسه وبيان الاهمام في وجهه وقال « أَنَا الْمَكْ عَلَى دِقَاعِكَ عَنِ  
الْمَتَّسِمِ لَأَنَّهُ سَدِيقُ الْأَرَاكِ وَالْقَرَافَةِ وَقَدْ هَادَى أَهْلَهُ وَعَشِيرَتَهُ مِنْ أَجْلِهِ » وَأَنَّهُ  
مَسْجِبُهُ وَمِنْ أَقْرَبِ الْمُقْرِبِينَ إِلَيْهِ « لَا أَفُولُ أَنَّكَ لَأَسْتَحْقُ ذَلِكَ بِلَ أَنَّهُ أَهْلُ لَا كَثِيرَ  
نَّ وَلَكِنْ لَوْ كُنْتَ فِي مَكَانِنَا غَنِمَ الْأَرَبُ لَمْ تَقْبِلْ يَمِيْأَتِهِ هَذَا الرَّجُلُ مِنَ الظَّالِمِنَ غَوْنَا »  
وَلَمْ يَكُفِهِ أَنَّهُ صَادَرَنَا فِي دِيَنَا وَجَلَدَ الْأَمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَبْلَ الرَّجُلِ التَّقِيِّ الْإِارْحَقِ غَابَ  
رِشْدَهُ وَسَالَ دَمُهُ وَقُطِّعَ جَلْدُهُ ثُمَّ قُبِدَ وَخَبِيْهُ<sup>(١)</sup> وَانْطَهَدَ كُلُّ مَنْ لَمْ يَقْلِ بِخَلْقِ  
الْفَرَآنِ - لَمْ يَكُفِهِ ذَلِكَ حَتَّى قُطِّعَ الْمَطَاءُ عَنِ الْأَرَبِ كَافَةً وَمِنْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ رَوَاتِهِمْ  
وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ أَحَدٌ قَبْلَهُ - لَا ذَكْرَكَ يَا كَانَ الْأَرَبُ مِنَ الزَّوَالِ وَمُؤْدِدُ فِي عَهْدِ الرَّاشِدِينَ  
وَالْأَمْوَابِنِ يَوْمَ كَانَ الْفَرَآنُ وَالْأَرَبُ وَسَائِرُ الْأَعْاجِمِ يَعْدُونَ مِنَ الْعَبِيدِ أَوِ الْمَوَالِيِّ لَا يَسْكُفُونَ  
مِنْ أَنْ يَكُونَ الْأَرَبُ أَسِيَادُهُمْ بِلَ كَانُوا يَتَسْرُفُونَ بِالْأَنْتِهَا إِلَيْهِمْ وَوَمَا أَنَّهُ مَرَكِ يَا كَانَ  
لَمْ مِنَ الْتَّقْدِيمِ فِي صَدِرِ الدُّوَلَةِ الْبَاسِيَةِ مَعَ أَنَّهَا قَامَتْ بِسَبِيلِ الْفَرَآنِ - حَتَّى الْمُأْمُونُ الَّذِي  
حَارَبَ الْأَرَبَ وَحَارَبَهُ فَلَمْ يَتَقْلِبْ عَلَيْهِمْ لَمْ يَنْقُصْ شَيْئًا مِنْ اعْطِيَاهُمْ كَمَا فَعَلَ الْمَتَّسِمُ هَذَا  
مِنْ أَنَّ الْمُأْمُونَ كَانَ مَعْزِلًا مُمْهَلًا مُمْهَلًا يَقُولُ بِخَلْقِ الْفَرَآنِ وَيَضْعِلُهُ الْأَنْتِهَا الْفَالَّلِينَ يَقْدِمُهُ - لَمْ يَهُ  
أَنَّ الْأَرَبَ مَادَةُ الْإِسْلَامِ وَأَصْلُ هَذِهِ الدُّوَلَةِ وَرُوحُ هَذِهِ الْأَمَمِ - أَمَا سَاحِبُكَ فَقَدْ قُطِّعَ  
الْمَطَاءُ عَنْ كُلِّ عَرَبٍ<sup>(٢)</sup> - الْمَطَاءُ الَّذِي يَسْتَأْشِي مِنَ السَّلَدُونَ وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَنْ فَقْرَ  
أَوْ جَدْبٍ فَإِنَّهُ يَنْفَقُ الْأَمْوَالَ الْمَطَاطِيَةَ فِي أَصْطَانِ الْأَرَاكِ وَالْأَشْرُوبَيَةِ وَالْقَرَافَةِ وَقَدْ يَنْفَقُ  
لَمْ سَاءِرًا وَاحْسَرَ لَمْ النَّسَاءَ وَالْجَيْوَارِيَ وَأَسَالَ النَّعَارَ فِي خَزَانِهِمْ - لَوْكَنْ أَنْ عَرِيَّا  
لَا صِرْبَتْ عَلَى ذَلِكَ »

فلم ير ضررًا حججة يدفع بها قول حاد لعلمه الله يقول الصدق ولكن غيرته على  
المتصمم وأخلاصه في خدمته حلاه على اتساع الاعذار فقال « لَا أَنْكِرُ عَلَيْكَ مَا ذَكَرْتَهُ  
مِنْ مَوَاضِعِ الْقَدْرِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنْتَ حَلَتْ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى سُوْفَ الْقَدْرِ فَهُوَ قُطِّعَ  
الْمَطَاءُ عَنِ بَعْضِ الْأَرَبِ بَعْدَ أَنْ تَحْقِيقَ عَدَوَّتِهِمْ لِلْدُوَلَةِ وَمِنْهُمْ مِنْ حَازِبَهِ وَجَرْدِ الْجَيْشِ  
عَلَيْهِ أَمَا الَّذِينَ يَخْلُصُونَ فِي خَدْمَتِهِ فَيَلْغَى فِي تَقْرِيرِهِمْ وَالْأَنْعَامُ عَلَيْهِمْ - هَذَا الْقَاضِي أَحْمَدُ بْنُ  
إِبْرَاهِيمَ لَا أَزِيدُكَ عَلَيْهِ بِمَرْزَتِهِ عَنْدِ الْخَلِيفَةِ وَهُوَ عَرَبٌ - وَأَنَّهُ أَلْمَ تَكَنْ مَقْرَبًا وَلَا

(١) أَنَّ الْأَبْدَرَ ١٨١ ج ٦ (٢) تَارِيخُ الْمَدِنِ الْإِسْلَامِيِّ ١٢٩ ج ١

منصب رفيع « فهز احد رأسه وقال « اراك حسن الدفأع عن مدينتك الطيبة وقد اتيت بالقاضي احد شاهداً وهو عربي من بين اول قدرتهم الذين والمار والفقير « اما أنا فقد كان لي منصب ويش المنصب لوعي » جماعي سادن الكعبة التي انثأها في سامرا ليحوال المسلمين عن كعبة مكة ويدعهم بما يفي للعرب من مصادر الرزق حتى يميت عرب الحجاز انفسهم لأنهم يرثون من الحجاج كما تعلم فان الكعبة في سامرا يغنى المسلمين عن الحجاز »

فقطبع ضراغم كلامه قائلاً « ولكنك ليس هو اول من فعل ذلك من الخلفاء او الامراء فقد حاول ذلك الحجاج والمتصور ولم يفلحنا<sup>(١)</sup> » ف قال « وهذا لم يفلح ايضاً لأن يس الله في مكة فلا يقدر ان يجعله في سامراً »

## الفصل السادس والثلاثون

فرأى ضراغم ان الحديث قد طال في ما لا يهمه بقدر ما يهمه الامر الذي جاء من اجله فاراد ان يختصر الكلام فقال « ومع ذلك لا اجد في ما ذكرته مسوغاً يحيى لك ارتكان الصوصية »

قال « لا تقل لصوصية « انا لا ترتكب شيئاً من ذلك على الاطلاق « فضاحك ضراغم وحز رأسه استخفافاً بدفع حداد فابتدره هنا قائلاً « لاضحك يا صديقي البطل « انا لا اسرق وما نحن اسوس وانا نحن نستولي على حقوقنا بابدنا « فاستغرب قوله ونظر اليه وتطاول بمنتهي تحفه كأنه يستفهمه فقال حداد « ان هذه الاموال التي تجدها ملقاة هنا انت هي حق اولئك الفقراء وابناء السبيل بامر الله تعالى في كتابه وهي عشرة الاموال او اخواتي « فتفهم انه كان الخلفاء في صدر الاسلام يأخذونها من اصحاب الاموال والتجار ويفرقوها في الفقراء والمساكين وابناء السبيل - يأخذونها زكاة ويفرقوها صدقة او عطاء وقد قطع المتصمم هذه الاعطيات فهل يوت

(١) تاريخ الندى الاسلامي ٦٥ ج ٤

السامون جواعاً لأهمهم عرب » . فنحن إنما استولى على حقوق القراء بالقوة لأن الإمام  
أراد ضياعها » .

فتبجح ضرغام لقوته تلك الحججة ولكنها أراد قطع الجدال فقال « ما لنا وذاك فقد  
علمت أنك كت في سامرًا من عهد قریب ولم يقطع الخبيرة عطاءك فما الذي حل لك  
على الظروج » .

فوقف حماد وتهدى وتفبرت سجنته من التضليل ونظر إلى ضرغام وقال  
« إن ما حلني على هذا الظروج وأثار في هذه الضئائل أمر أصابه متي مقتلاً » . أصاب  
قابي فاذهب رشدي فانا نائم على ذلك الرجل الظالم ما دمت حياً » . قل ذلك وقد تصبب  
الفرق من جيشه فازداد ضرغام رغبة في كشف خبره وتوصى من عبارته أنه يشكوا من  
سيب فارق فقال « وما ذاك يا أخي » . قل باختصار قابي ابنيك لامر يهمني كثيراً  
نسلفتني يا مورك » .

قال « مهم يكن من أمرك فلست بالآمر امري » . احيث جارية بعض العقاديين  
واجتنبي فلما اقدمت على الاقتران بها تصدى لي رجل من خاصة المعتصم اسمه المارث  
السرقندى اظنك تعرفه وطلبا لنفسه والخدعها مني عهوة فشكوت امري الى الخليفة على يد  
القاضى احمد الذى ذكرته فاجابي - ابحث عن جارية اخرى وان هذه لا تكون لك -  
مع على انها تحبني جائعاً شديدة » . ثم تهدى وقال « آه يا ياقوتة » .  
فقال حماد « كان اسمها ياقوتة » .

قال « نعم هذا هو اسمها : فهو الذي اغفيت عن كل البيشات التي ذكرتها قبل اندر  
ان اغفي عن هذه ؟ . أني والله فاق على اظليفة ودولته وما خرجت لاكون لهاً وإنما  
خرجت لانتقام من هذه الدولة يا في احكامي . وادعوا لها كثيرون » .

فتأثر ضرغام من حكاية ياقوتة أكثر من ما تتصعن لانه واقع في مثلها - والانسان  
الذى يشارك الناس في المصائب التي اصيب بيتها او يخشى ان يصاب بها . فالعازب لا يشر  
مع الآباء اذا اصيروا يابنهما كما يشعر الوالدون . ولا يشارك الحب في شعوره الا الذى  
جرب الموى . فقال حماد « هوَن عليك وللمي . تافعك في شيء من شكوكك وقد آن لي ان  
اسألك عن الامر الذى جئت في هذا اليل من اجله فارعني سمعك واعمل انى اول من  
شاركتك في احساسك لاني وائع مثل وقتك » .

قال « تفضل » .

قال « لي خطيبة كانت في فرذانة وانا في سامرًا فركبت الى » مع اخيها وجاريها فلما وصلوا الى هذان هجم عليهم الموسوس وادى انما القناة وجاريها وجاء الي اخوها بالخبر فامرعت البحث عن المقايلين فابناني صاحب البريد عن هذا المكان فأتيت فما قولك؟ قال « اما عن هنا فلا مختلف نسأ وند اخبرتك بما فعله وانا على يقين انه ليس في هذا الجوار لصوص او فاطعو طرق »

قال « ولكن اخا القناة شهد الواقع وهو الذي بثها من المعركة وانجري في نهر رأسه هزة الانكار وقال « فمن هنا منذ عدة اسابيع ولم نسمع بمحدث شيء من ذلك وافق الراوي كاذب؟ »

فانتبه غراغم لما يعلم من سوء نية سامان من يوم عرفة فقال « ان الراوي وافق في مدخل هذه الشعب استقدمه اليك لتسأله »

فشارح حاد الى بعض رجاله ان يتادي الرجل الواقف هناك فذهب وعاد وهو يقول انه لم يوجد احداً . فذهب غراغم بنفسه فلم يجد سامان وسأل الدليل عنه فقال انه مفي الى حيث لا يعلم . فبيث في البحث عنه فلم يقف له على اثر فترجح له ان في الامر مرمي خامضاً وان الرجل قد يكون كاذباً في ما رواه حق عن الاشرين فقلت ثقته بما رواه عن هذا ولم يبرأ بيده من الرجوع الى سامرًا فاستالف الكلام مع صدقته وتصح له ان يرجح معه فلم يرض وقال « لا ارى في رجوعي فالثانية ولو انتصر ظلم صاحبك على خسارة المال لاصحنته ولكنك طمنني في قلبي وانت اكثرا الناس شعوراً معي فلا تلني »

فذكر غراغم مصيبيه وتصور نعمته على حافظ جبيشه فعذرها وقال « صدقت اني معك كما ذكرت ولو علمت ان الخليفة الذي صادر في بخطيبتي لعمت عليه مثل نعمتك واشد منها فاقفل ما بدا لك وعلى كل حال ارجو ان تذكري واشك في مثلك ذلك ٠٠٠ » واطرق فليلاً ثم قال « و اذا حدث ما يبعث على مذايتك او الجبي » اليك قيل اجدك هنا »

فاجاب « لا اعلم ابن يكون مقربي بعد الليلة وما قيامي هنا الا الى اجل وانت اذا وفدت الى امير سرك واردت ان اراك فابن تكون » قال « في سامرًا »

شكر له فودعه غراغم ورجع وهو يفك في ما سمعه وصورة جهان لا تذهب من عينيه لانه في المكان الذي قيل له انها اختفت فيه والليل مظلم مثل خلام الليلة التي خطفت فيها شخص حالم وهو يعيشون عليها وتؤمن انه يسمها تستغيث به وتحاديه باسمه

فأذعره بذلة وحرب اسنانه - ففى تلك المواجه مدة وهو يتلمس ذلك الطريق الوعر على غير هدى والدليل يسير بين يديه حق ادرك محطة البريد فركب وعاد الى سامر<sup>ا</sup> وطريق اليت فى الرجوع اليه اقصر منها في الخروج منه ولكن ضرغاماً استطال الطريق واشتبطاً وصوله لشدة رغبته في ملاقاة ورдан لعله يستثيره في الامر وقد تعود ذكاءه وصدق فرماته

## الفصل السابع والثلاثون

### النجد

الشرف على سامر<sup>ا</sup> فهو القروب والشمس تمايله وقد ضعف نورها وتبدلت اشعتها واحمر لونها وتذكر شكلها وتعاظم جرمها فظورت كأنها كمة من نار سابحة في شبّاب من ذمٍ ونظر الى ابنته سامر<sup>ا</sup> واعظمها قصر الظليلة والمجدل الاعلام ونمارته تاطح السحاب . ويخترق المدينة من الشمال الى الجنوب نهر دجلة المبارك وعلى هفافة اشجار التخييل والثقة وقف الجند يحملون مهامهم في عالمهم . فشغله منظر الطبيعة عما في نفسه فاحتى بارتياحه ذهيبة والبريدي على يجلته الى جانبه ولم يدهشه ذلك المنظر لانه تعوده والنفس يختلف نأوها من مناظر الطبيعة باختلاف حالمها . وأكثر الناس مشاركة للطبيعة في احوالها العيون

واحسن<sup>ا</sup> ضرغام يibil الى الانفراد هناك فasher الى البريدي ان يسبقه<sup>ا</sup> الى سامر<sup>ا</sup> فاطاع وبقى ضرغام وحده يراقب الشمس ساعة القروب وهي تزاهى تعينه من نوراه جذوع النخل عن بعد وتنقلب بالوانها الفرزية وان غلب عليها لون الارجوان سعي اذا ادرك حاتتها الانق استطال تلك الحالة الى شبه خرطوم نزل وراء الانق وعيطت هي في ازره الموهبة وقد اخذت الاظلال تستطيل وتتشعر حق توارت الشمس وخلقت مكابها انقاً اخذ اهراه في الاكثراه شيئاً قليلاً من المسوى الى الارجواني فالبنفسجي فالازرق على اختلاف الوانه وتفاوت افتئامها الى السود فاصحالت الاظلال الى ظلام . فاحسن<sup>ا</sup> ضرغام بالقبض عليه الى المسير فوخز الفرس وخرأ خطيناً فشيئاً بطيئاً حتى تحمل مثارس المدينة من طرفها الاسفل وتراءى له<sup>ا</sup> دجلة في مكان لا يشاء التخييل فيحتم على ان يسير على ضفافه الى الجوسق

وكان الجلو هادئاً والسكن سائدًا فلما دنا من دجلة عاد إلى تحفته فاستغرق في هواجهه والفرس يسير على ضفة النهر من نقاء نفسه . وقد هب الريح عليناً وسكنت الطبيعة فلا يسمع في ذلك المساء إلا حفيظ الورق ووقع حواري الفرس . ولم يكن شراغم يسمع شيئاً لاشتغافه يانكاري . وإذا بحيلة فاجأه من وراءه وسمع صوتاً وقع وقع السهم في قلبه اتر كوفي .. . صوت امرأة تستثني قائلة « خافوا من الله .. . اتر كوفي .. . يناس .. . اتر كوفي .. . » ثم اختنق الصوت . فارتعنت فرائص شراغم لأن الصوت كثير الشبه بصوت جهان ونذكر ما أصابها من الصوص وتصور إنها استيقاثت بقتل هذا الكلام ولم يجدتها أحد فضم على شجدة هذه المستحبطة لعل الله يوفق جهان إلى مفجد ينقذها . وما تقول ربيعاً يدير رأس جوده إلى جهة الصوت فترجل وتتحول مسرعاً على قدميه وهو يستل حسامه ويقول « ليكرليك .. . اتر كوها إها اللثام »

قال ذلك وهو لا يرى أحداً لشدة الظلام ثخاف أن يكون قد خدعه « هواجهه » وإن ما سمعه هائف يبتلى له حال جهان . لكنه ما عتم أن سمع الصوت يقترب منه ورأى شبح امرأة تندو من ضفة النهر وهي باسطعة بديها تخوه وتصبح « باهـ اشـ بيـ .. . اشـ عـ علىـ حـ اـيـ .. . » ورأى رجالين يحييان في أثرها وقد شر احدهما السيف وهو يقول « الى اين تهـ بـ يـ يـ خـ اـ خـ ةـ .. . اـيـ قـ اـ تـ لـ لـ حـ مـ عـ الـ ةـ »

فصاح شراغم « عنها يارجل لا تعرض بنفسك للقتل »

فلم يبال الرجل بما سمعه وظل مسرعاً حتى كاد يدرك المرأة وكانت قد وصلت إلى شراغم وترامت على قدميه .. . فلما رأه شراغم لا يزال هاجماً والسيف بيده تناوله بضربيه أطارت رأسه فوق يقطف بدمه وبهم على رفيقو وهو ان يضر به فرأه أغزل فامسك عن ضربه وصاح فيه « من انت .. . »

فقال « مالك ولنا ليس هذا السؤال من شأنك . دع الجارية وأمض لسيلك وسترى عافية امرك »

قال « قلت حيث انت والا قتلتكم .. . او قلت لي من انت وما خبر هذه الفتاة »

قال « اتها جارية هربت من بيت مولاهها فبعثنا للبحث عنها فادركتناها هنا وابت الرجوع فهددها رفيقي تخويناً ما ولو لاك لرجحت صاغرة ولكنها استقرست وسيبت قتل رفيقي وسوف تعلم مصيرك »

فلا سمعت الجارية قوله وكانت قاعدة على العشب من التعب نهضت وصاحت

«كذبتم اپها الفادرون ليس الامر كذلك »

فلا سمع كلامها ازداد شيبة بصوت جهان واحتلخ قلبه في صدره واستبعد ان تكون في نفسها اذ لو كانت هي لعرفت صوته فقال الرجل « قل الحقيقة ولا تخونني باحد ولا المقتلك برفقتك »

قال « لا تفترر يا سمعت » . ان هذه الجاربة هاربة من بيت الخليفة فمن يمس على حمايتها »

قال « انا اجسر دعها وسر بطر ينك »

فصاح الرجل « من انت حتى تخسر على ذلك ؟ »

فقول خرقاء عنده واسك الفتاة يدها ومشي وهو يقول « قل الخليفة او لسواء من يدعى السيادة على هذه الفتاة انها في حماية الصاحب »

فلا سمع الرجل اسمه تراجع وبهت كأنك اخريسته بالکبر بائسة ثم قال « اعدوني بأموالي على جاري اذ لم اكن اعلم ان مولانا الصاحب يخاطبني » قال ذلك وتعول راجعا

## الفصل الثامن والثلاثون

ياقوتة

اما ضراغم فترك يد الفتاة ومشي الى فرسه وكان لا يزال واقفا في مكانه فقاده بالجامدة وسار وهو يقول الجاربة « امشي يا بني لا تخافي ولكن اخبريني عن حقيقة امرك فقد صلت الان من الخطير »

فقالت وصوتها مختلف « اشك الله لانه ارسلك لاقاذى ولولاك لذهبت ضحية القلم » فاطربه صوتها واحب ان يفترس في وجهها وقلقه على جهان يوشه لها قد تكون في بعيتها ولكن الظلام كان يحول دون ذلك فقال لها « قولي ما هو خبرك »

قالت « كنت جارية لم يمض الناس واعتنقني ميدي لوجه الله فطلبني شاب عرضي وعرفته وتخابثنا وتواعدنا على كتابة الكتاب ثم رأتهي رجل من بطانة امير المؤمنين يقال له الحارث السرقandi . فلقربك الي وخطبني لنفسه فآمنت عليه ذلك »

فلا سمع ضراغم ام الحارث اتبه لما سمعه من حماد فقال « وما ام خطيبك »

قالت « حماد »

قال « هات اذا ياقوتة »  
 قلما سمعته يناديها باسمها غلت عليها الدهشة حتى قالم اسأها وقالت « كيف  
 عرفت ذلك يا مولاي .. هل تعرف حاداً .. اين هو ؟ »

قال « عرف ، ولكن لا سيل اليه الان .. ساقس عليك خبره .. اني حديثك »  
 فلم تعد تعرف لشدة فرحها كيف تتكلم فقالت « قلما أويت على الحارث ما اراد  
 وسط القاضي احمد لدى امير المؤمنين فطلب الخليفة ان يراني فلما مرت بين يديه لظرالي  
 طويلاً اودع اذن القاضي كلاماً وامرني ان ابقى عند الحارث بلا زواج حتى ييدي رأيه  
 في » + فاخذني الحارث الى منزله وجلسني واخذني بمحاول اقناعي ان اقتنى به بارة بالحلى  
 وتطوراً بالهديد حتى جاءني منذ بضعة اسابيع وهو يهزأ بي ويقول ان خطيبتي فر من  
 ساساً فلم اصدقه وعزت على القرار الى حاد فلم اتع肯 الا ليلة فركبت دجلة عند  
 القروب عن ان اسرع الى منزل حاد وهو على مقربة من قصر الخليفة قادر كفي هذان  
 الرجال وها من اعون الحارث واراد ارجاعي ولما رفضت الرجوع هدداني فصحت  
 الصبيحة التي سمعتها وجئت لاغاثي .. جزاكم الله عني خيراً »

فلا فرغت من حديثها انه اغدقها اكراماً لصديقه ولكنها نذكر ان حاداً  
 برح هذان في الليلة التي فارقة ذيها ولا يعرف مقره فضل ساكتاً وهو يذكر في ذلك  
 وصورة جهان امام عيتبي وهو يقول في نفسه « هل يتاح ليهان من ينقذها يائزى كا  
 اقنت انا هذه الفتاة » ظلل مدة وهو يذكر في ذلك وياقوته ماشيته الى جانبها وقلابها  
 يتحقق سروراً وقلقاً تتوقع ان تسمع من الصاحب ما يعلمه على حبيبها فلما استبعطنه  
 قالت « وعدتني يا مولاي ان تخبرني عن حاد .. والله خرج من ساساً »

قال « نعم خرج منها كما قال لك الحارث »

قالت « اين هو ؟ »

قال « لا ادري .. وقد لقيته منذ بضعة ايام في مكان خارج العراق واخبرني انه  
 مسافر الى حيث لا يعلم وقد قص على غصبه من الحارث والخليفة ، من اجلك .. كوني  
 على ثقة انه شديد الحافظة على ودك »

نزلت خدها يكتها وقالت « ويلاه ابن اذهب وأين ايت وكيف اعرف ، قرئ ..  
 فقال « لا ا Bias عاليك امك تتمكنين في متزلي مع والدتي حق يا اني الله بالفوج فاني على  
 موعد من حاد ان يكتب اليه » عند الحاجة لانه صديقي »

قالت «جزاك الله خيراً يا سيدى ولكن ..»

قال «لأنك يا أخية إنما تكون مع والدتي في خير وأمان لا يمسك أحد بسوء»  
ان والدتي وحيدة في البيت ولا رب لها تختنق أبنة طاوستانس باك كثيراً  
وأنتبهت ياقوتة في تلك اللحظة أنها على مقربة من الجرس فوققت وقالت «اراني  
بجوان قصر الخليفة»

قال «أني أقيم في قصر داخل هذا الجرس»

فزاجمت وقالت «أكون إذا في خطر اذا عرف الخليفة باسرى»

قال «كوفي مطمئنة» انك في مأمن عندي «وكانا قد وصلالي باب الجرس فلما  
رأى المراس شر غلاماً وسعوا له وقدم أحدهم فأخذ الفرس إلى الاستبل وسار ضراغم مع  
ياقوتة حتى مازله فلما رأه الخدم أسرع بعضهم إلى والدته فبشروها وأذروا الشموع  
فذخل والدتها في أثره حتى توسط الدار وأول شيء فعله انه تفرس في الفتاة على نور  
الشمع وحالما وقع بصره عليها خفق قلبه وبدت الفتاة في وجهه لشدة المشابهة بينها وبين  
جيانت قال في نفسه « سبحان الخالق ما هذه الصدفة؟» وأحس بارياح إلى الفتاة  
وأعجبه ما قرأ في عيافها من المية والجلال رغم ما كان يشاهده من الاختزارات «وينكى  
لارياحه إليها ومشابهتها حبيبة بالوجه والصوت» وزاده استثنائياً بها ما قاتاه في سيل  
اهذاها - والمرأة من فطرته يحب الذين يشقى في سيل راحتهم ولذلك كان الرجل  
أكثر المطافأً بين أولاده على اشدتهم حاجة اليه «وكانت تب الولد في سيل  
ابنه ازداد تعلقاً به» ولو لم يكن قلب ضرفاً مشتملاً بجهان لشاق يiacوتة اذا لم تكن  
لصديقه حماد

## الفصل التاسع والثلاثون

### آيات

اما آيات فكانت قد تهيأت لاستقبال ابها فلما سمعت وقع خطوه اسرعت اليه  
وضسته وقبلته ونشقت ريحه «ثم شعرت بحركة في الدار فقالت من هو رفيقك؟»  
قال «بنى هي رفيقة لك»

فظلت لاول وهلة انه بجاهها يحيانا فتوجهت يصرها نحو المطركة التي كانت تسمعها  
كأنها تستقبل الفيفية وصاحت « هل هي جهان »  
فوقع قوطا وقعاً شديداً على قلب ضرغام فتح جراحه فنهد وقال « كلام يا أماء  
ولكنها عزيزة علي لأنها خطيبة بعض أصدقائي »  
ودنت الفتاة من آذنها وهمت بتقبيل يدها فضمهما ورجحت بها وقالت « ما اسمك  
يا حبيبي »

قالت « أسمى ياقوتة ياسيدني »

فلا سمعت صوتها دعشت ويان الاستغراب حول مسمها وفي اخلاق عينها  
البيضاوين وقالت « سبحان الله كوني اعرف هذا الصوت ٠٠٠ »  
فقط ضرغام كلامها قالاً « اطلت تنين صوت جهان فانه كثير الشبه بـ و قد  
لطخت ذلك منه سمعتها تتكلم لمرة الاولى »  
فسكت آذناب ولم تحييها واخذت الفتاة يدها واجسست الى جانبها وجمعت تضها  
وترحب بها والفتت الى ضرغام وقالت « كيف لقيت هذه الياقوتة ٠٠ وابن كانت ؟ »  
قال « أتفقل لي وانا عائد من المهمة التي اخبرتك عنها التي مررت باسفل المدينة فسمعت  
هذه الفتاة تستيقظ من رجلين كانوا يحاولان اخذها الى رجل يريد ان يتزوجها رغم  
ارادتها فاختنمتها منها وجئت بها »

قالت « ومن هو ذلك الرجل »

قال « يقال له الحارث السمرقندى من اعوان امير المؤمنين »

قالت « ولماذا لم تقبل به فاته ذوجاه ومل »

قال « لأنها احببت رجلاً آخر اسمه حماد العربي • الا تعرفيه ؟ »

قالت « اظنني سمعت صوته مرة وتد جاءه ممل » اين هو الان ؟

قال « هو غائب وسيبقى ياقوتة هنا حتى يعود • هل يسرك ذلك ؟ »

قالت « يسرني كثيراً لأنها تكون تسايتي اذا خرجت انت في مهمة • والحق يقال  
اني شعرت من هذه اللحظة كاني اعندها من اعوام • اهلاً وسهلاً بك يا حبيبي »  
وأمرت مسمودة فأخذتها لتبدل ثيابها وتصلح من شأْنها ثم وضعوا المائدة لاعشاء  
فقال ضرغام لوالدته وهم على المائدة « لم يات وردان ؟ »

قالت « جاء منذ بضعة ايام وسائلى هناك قام اقدر ان اخره عن مكانك »

قال « هل أخبرك عن بجيِّ الأفشنين »

قالت « أخبرني انه جاء وعسكر خارج سامراً على أن ينتقل بعد بضعة أيام اليها واقتله وردان عاد اليه أو لعله يريد التهاب اليه غداً أو بعد غد »

قال « حسناً » ولم يطيلوا السهر اليأساً للراحة . فباتوا تلك الليلة واصبح شرفاً في اليوم التالي وقد عادت اليه هواجهه واصبح شديد الملل لللاقة وردان ليس له عادة من اصحاب الاثنين عن جهان . وفي اميل ذلك اليوم جاءه رسول اظليفة يطلب حضوره قليس سواده وقلنسوته وذهب اليه في دار العادة فاستأذن ودخل فوجده عنده القاضي احمد فضل ووقف فاستدناه اليه وامرء بالجلوس فجلس فقال وهو يعيش في وجهه « متى عدت من السفر »

قال « اتيت مساء البارحة يا مولاي وكنت عازماً على المرثول بين يدي امير المؤمنين ولم يأتني رسوله »

قال « من تقيت في طريقك ؟ »

فأنتبه انه يشير الى يافونته لعله ان اثارث لابد من ان يشكوه فقال « تقيت فتاة بين يدي رجالين يعذباهما »

قال « هل انقذتها ؟ فقد تعودت النجدة بارتك الله عليك »

فعلم ان اظليفة يشير الى فعله عليه في اقتاده من محالب الاسد فجعل لاطرائه وتجاهله وقال « لم اقتلك يا امير المؤمنين عن اقتادها ثم علمت انها تشتهي الى بعض رجال الدولة فحملت تبعة عمي طمعاً بحمل امير المؤمنين وهو ذائب استقرعه »

فضحوك المتعصم وقال « قد اصطدت صيداً حلالاً انت اول الناس باحراره .. كيف رأيت هذه الفتاة .. هل هي جميلة ؟ »

قال « لا بأمس بها يا مولاي »

قال « قد وجب عليك اقرارك »

فلم يفهم شرفاً فقصده فابتدره القاضي احمد قاثلاً « اذكر ان امير المؤمنين خطب لك جارية »

قال « نعم »

قال « هذه هي الفتاة بعمرها »

فاستغرب شرفاً مذلة الاتفاق الفرب وغیر في الجواب فقال القاضي « ان امير المؤمنين

رأى هذه الفتنة ليلة الاولى منذ اسابيع وقد جاءها الماشرت بخطبها لنفسه وكان رجل آخر يدعى انها له وكانت حاضرًا فقال لي امير المؤمنين انها تصاحح للصاحب وامر الماشرت ان يحفظ بها حق يطليها . وفي هذا الصباح جاء الماشرت يشكوك لانك اخطفت ياقونة منه فلما جاءه « اتها للصاحب ولا سبيل لك اليها » سخر مثوا ولذلك قال مولانا انك اصعدت صيداً حلاً ووجب افرارك عليك »

فلم يسع ضرغاماً غير الدعاء للتعصم على الفتنة وقال « ان امير المؤمنين يصرف بعيده ومواليه كما يشاء »

قال المتعصم « انك احرزت اجمل انساء سامي بارك الله لك فيها »

ثم صفق فجأه الحاجب فشار اليه اشارة فيها وخرج ثم عاد ومعه غلام يحمل طبقاً عليه عقد من الجلود يثلا لا كاشم فشار الخليفة الى الغلام ان يقدمه الى الصاحب فقدمه فغير ضرغام من لمان ذلك العقد ووقف احتراماً بايدره المتعصم قائلًا « هذا عقد نلبسه ياقونة وتغلى به »

فانحنى ضرغام احتراماً وامتناعاً وقال « قد غرفني امير المؤمنين بالغمامه »

قال « انك اهل لا كثيرون بذلك »

فتتناول ضرغام العقد وله بنديله وكرر الدعاء . ثم استدأن بالانصراف وخرج

## الفصل الرابعون

عاد ضرغام الى منزله وانظواه نقاده ولم يزده اسر الزواج وياقونة فلماً هذه الرة لانه عوّل على استيقاثها في بيته حتى يجد خطبها فيعطيه ايها فلا يدرى الخليفة هل تزوجها ام لا . فوصل المنزل ولقي والدته فسألته وياقونة حاضرة عن سبب ذهابه الى الخليفة فقال « دعائي لامر يتعلق بياقونة »

فاجفلت بياقونة لانها كانت تخاف وشایة الماشرت لكنها اطاعت لا رأيه يقول ذلك وهو يتسم ونظرت اليه باستعطاف . اما والدته فسألته عما جرى فقال « شكانا السعر قددي الى امير المؤمنين فارجعه خالباً واوصاني بياقونة خيراً »

فانشرح صدر الفناة وازدادت اعجاباً بضرغام وسمو منزلته عند الخليفة وقوذ  
كامله في الدولة واعجبت ببيته وجلال طلته ، والاعجاب اذا رافقه الالفة والصادمة  
خوض الى غرام ولكن ياقوتة كانت مشتفقة الناب بمجاد ورأى ضرغاما فوق ما ترجوه  
لنفسها ، ولما سمعت قوله عن الخليفة توردت وجدتها حياءً ولم ينتها احياناً من الكلام  
لأنها كانت عاقلة رابطة الجلاش فقالت « اشكر لولاي الصاحب فضله فقد انتقدني من النار  
والموت ورفع ميزاني اذ جماني تحت حمايته »  
فند ضرغام يده الى حبيه واخرج العقد وقدمه اليها وقال « هذا هدية من امير  
للزمنين لك »

فاصبحت ياقوتة لا تدري كيف تعبير عن احسانها فتناولت العقد ودفعته الى آفاق  
قبضت عليه وتلمست حباته وقالت « يظاهر انه عقد ثمين جداً بك » وتقديمت نحوها  
والبسها أيام

كل ذلك لم يشغل ضرغاماً عن قلقه واضطربه وكل ما اصابه في مساعي الامن وصباح  
ذلك اليوم يذكره بمحبيته وخصوصاً العقد لما ليسته ياقوتة فقال في نفسه « لماذا لا تكون  
جهان هنا وتلبسيه » فلما تصور ذلك اقشعر بدنه وترك الغرفة بمفرده وخرج ليسال الخدم  
عن ورдан هل جاء فذا هو داخل وفي وجهه بحثة ، ولما رأى ضرغاماً حياءً باحترام  
قال ضرغام « قد طال غيابك فما الذي أعادك .. تمالي خلوة نجادل فيها »  
فسار في أرجاء الى غرفة من غرف القصر جلساً فيها وقال وردان « قد اعادني تأخير  
الاثنين عن الحضور لانه لم يصل الى سامرا الا منه بضعة أيام ولم اتمكن من اقام مهمتي  
الا اليوم »

قال « وما الذي عرقه عن جهان »  
توقف وردان لحظة ثم قال « عرفت من صديق لي في حاشية الاثنين لا يفتنه  
من احواله خافية ان جهان خرجت من فراغاته قبل خروجهما منها .. ..  
قال ضرغام « قد عرفت ذلك في اثناء غيابك من سامان اخيها »

تفتقر وجه وردان عن مداعع اعم سامان وقال « سامان هنا ا ابن هو .. اين هو ..  
لما قيل روحه .. لعنة الله من منافق »  
فاستغرب ضرغام شدة لهجهة وقال « ولماذا تrepid قتلهم .. ما الذي فعله .. ..  
قال « ساقعن عليك فعله .. واغدا ارجوا ان تخربني عما قصه هو عليك »

قال « اخبرني انه خرج من فرغاته مع اخته فراراً من الاشرين فلتهم الاصوص في  
همدان فأسروا جهان وفهرماناتها وجاء هو ليغيرنا »

قال « انت عارف بعمل الاصوص اذا .. يقى على ان اخبرك عما فعله هذا المدين  
اليوم . مرت امس لاتهم مهبي في البحث كما امرتني فلم استطع الا صباح اليوم فلقيت  
صاحب نفس علي الطير . وينتها هو بكلئي تحت سامان ماراً على فرسه يطلب عرض البر  
ولم اخفقه » فألت صاحبى اذا كان قد رأء فقال انه هو بعينه وانه جاء البارحة في اواخر  
الليل وطلب مقابلة الاشرين فقابلها ونفس عليه خبر اختطاف جهان ولكننه جعل الذنب في  
ذلك لك واسأ القول فيك ولم اعلم ذلك الا بعد ان غاب عن مصرى ولم يبق سبيل اليه  
ولولا قراره لقبضت على عنقه وقتلته خلقاً قبجه الله من اجرود ثم »

وكان ضراغم قد ادركه قبل ذلك الحين فلاقى سامان وسوه ليته فاصبح لا يصدق شيئاً  
من اقواله ولكنه لم يز بدم من تصديق قوله عن اختطاف الاصوص جهان فقال « قد  
عرفت لفاق هذا الشاب من قبيل .. ولكن هل تظنه كاذباً في مارواه عن اختطاف  
جهان ؟ يا جذذا ذلك »

قال « ربما كذب في كافية الاختطاف ولكن يظهر انها أخذت بلا شرك وما علينا  
الا ان نبحث عن الذين اخذوها »

قال ضراغم « وما العمل »

قال « رسول الجوابيس نبئهم في المشرق كلهم من هنا الى فرغاته فمن معه خيراً او نس

شيئاً يرشدنا الى الفاعلين »

قال « قد رأيت الاصوص فاعمل ذلك بمحكمتك واسرع فيه »

قال « عمما وطاعة » وخرج

ولما خلا ضراغم بنفسه عاد الى التفكير في الاشرين وما معهم من سامان عن علمه  
جهان وارتتاب في صدق الرواية ولكنه رأى ان يفتخه بالامر ليزول سوه القائم من  
ینتها وأجل ذلك فلم تتم له فرصة  
وجاءت الاخبار في اثناء ذلك بقيام يابك واستفحال امره فاصدر الخليفة امراً الى  
الاشرين بالسفر مع جنده الى اردبيل ولم يتم لضراغم مقابلته

# الفصل الخامس والاربعون

## فرق فرغانة

والسب في شباع جهان أنها لا عزت على النزار من فرغانة مع أخيها وقبرمانتها كما نقدم أعدت كل ما تحتاج اليه مما يخف وزنه وغلا ثقته وعورات على أخيها في تدبير قافلة يسرون في ظلها تجنبًا لخطر البوادي التي لا بد منقطعها قبل الوصول إلى العراق . فأخبروها سامان يوماً الله قد هيأ كل شيء فأخذوا في قتل الأحوال بمجمع الرغبة في السفر إلى مصيف قريب . ولما آتى ذهابها وعلمت أنها لن تعود إلى ذلك البلد سائر حياتها عظم عليها فراق مسقط رأسها وهجر قصر أبيها وقد تعودت هواه وماماه واظلاله . والتى أهلها ومنازله وأسوانه فقدت أيامها الأخيرة وهي متقبضة الصدر وقد ذهبت بشاشتها واخوها هون عن عليها المتروج وقبرمانتها ترى في خروجها شططاً . وأما في فع كل ذلك لم تتردد في الامر لحظة واحدة رغم ما احست به من الوحشة

وفي الليلة التي قفوا بها على أهبة الرحيل استدعت قيم الدار إليها وأوسمته بالقصور وأعماله خيراً وأسررت إليه أنها ر بما طال غيابها فليكن أميناً نسيطاً . فاست لسفرها وإن لم يعرفحقيقة غرضها ولو عمل ليكى بكاه مرأ على فراقها لأنه كان يمتنعها إلى العبادة وكذلك كان احسان كل من عرفها أو عاشرها لما فطرت عليه من الألطاف والذكاء والميبة والجمال كما عللت . وفي الصباح الثاني خرجت على فرسها الأدم كأنها ذاتية إلى منزلة أو مصيف درك معها آخرها وقبرمانتها ولم تناشد عند خروجها من باب المدينة إن الثقة ودمعت عينها أسفًا على ما خلفته هناك من ثمار شبابها وجهي والدها لكنها تماست واسترجعت رشدها وعزت نفسها بما ستثناه من أسباب السعادة بقرب حبيبها

وكانت القافلة التي سافروا معها قادمة من بلاد الهند بأحوال العطريات والبهارات والأنيحة فاصدة خراسان فقسموا أحالمهم إلى أحالمها وقد اعتدت جهان في ذلك على أخيها ولبس ثياب السفر وأقلعت الشافلة في مساء ذلك اليوم وهي مؤلمة من فطارين مسلمتين من الجمال والبغال على بعضها الأحوال وعلى البعض الآخر الرجال غير المشاة من المكارين والسياسات على أندامهم ومعهم انكلاب وادوات الطبيخ والنوم وكل شيء . فالشافلة كانت بذلك يشي باهلها ودوابها وأثنائه . تتشي ساعات من النثار وساعات من الليل مختلف مقاديرها بالخلاف

النصول وحسب اوجه القرى يصدق بهما من الرجال تعودوا الاصفار والاخطر اشداه الابدان  
يعزون الطريق ولم صدافة وهيبة عند قبائل التركان بدو الترك وهم متفرقون في الابادية بين  
نهر جيون ونهر الكاش والمسافة بين النهرين تقدر بالاسايع وقد تجاوز الشهرين ناهيك بما  
في اثنائهما من الصومن وقطاع العارق . ولذلك لا يجسر على السفر هناك غير القوافل الكبيرة .  
والكافلة تختفي في اثناء السير نظام الجند للغرب وفي ساعات الراحة تقرب المطبات وتتهدى  
البريان وتذبح الاغنام او الابقار وتذهب القدرة على الدار ويستغل القوم بالأكل والنوم  
ولم تكن جهان جربت هذا السفر ولا ذاقت منه ولا سمعت به في حياتها فلم يكون ذلك  
ثقيلاً عليها فكانت تحمله بالصبر وتعزي نفسها بالقاء الحبيب فإذا تصورت ذلك اللقاء هان  
عليها احتفال كل المثال — كل ذلك من معجزات الحب وان امره الحبيب  
لواردنا تفصيل ما لاقوه في سفرهم الطويل من حر النهار ورد الليل وخوف قطاع  
السایلة واهل الفزو وما اصابهم من عطش او جوع لفراخ موتونهم من الماء او الطعام قبل بلوغ  
المكان الذين يتزودون منه لضيق بنا المقام فتقول بالاختصار ان القافية لما بلغت الى الري  
اشار سامان على اخنه بالتخلي عنها والمسير على انفراد لان القافية تسير متناثلة وهي في كل  
حال لا ترقفهم الى العراق لان طريقها نحو الشمال . فاذعنتم جهان رأي اخيها وانفردوا  
باهمتهم ودواهم عن القافلة . وفي مساء ذلك اليوم باعثهم جماعة من الرجال على الخيلو  
في مكان بعيد عن همدان وكانت جهان على فرسها فدافعت عن نفسها دفاع الرجال واظهرت  
سمان دفاعاً كثيراً ولكنهم غلبوا اخيراً ف kepقوها على جهان وفهرماتها وشدوا وثائها وفرّ  
سامان بمحنة ا يصل الخبر الى خضرام

فثارات جهان نفسها في الامر صاحت بكبير القوم ومجيئاً ملائمون وقالت لهم « ما  
الذي حملكم على هذا العمل ؟ اذا كنتم تطلبون المال فهذه احالتنا خذوها واطلقوا سراحنا  
ونعاذهكم اتنا لا نطالبكم بشيء منها »

فاجابها القارس وهي اول مرة سمعت كلامه فقال « اتنا اصوصاً يا سيدتي ولا حاجة  
بنا الى المال واغاثاً امرنا ان نحمل عروس فرغانة الى اعظم رجل في الارض لم ترض به طوعاً  
فمساها ان ترضي به كرهاً »

## الفصل الثاني والأربعون

في الاسر

فلا مبعث قوله انتهت لذتها وعلت اتها مكيدة نسبت لها وكانت تتأفل ان يكون القوم  
لهم ما يطلبون المال ولا تكون في المظيرة . ليس لاتها خلاف ان تغلب على امرها فانها كانت  
من رابطة الجأش وثبات الجذان على ما عملت ، ولكن شق عليها فراق حبيبها فارادت ان تزداد  
يائًا فقالت « ولكن هذا العمل يا صاح لا يشبه اعمال العظام »

قال « وماذا يحمل الرجل اذا اضطر ولم يرويلة نيل مرافق غير هذه ... ماذا يحمل  
اذا تعرض لفطبة فارتدى خاتماً وهو كبرى القدر تأبى نفس اشيء »

قالت « يترك الطلب ويستغنى عن الطلبة »

قال « واذا كان مفتوقاً قد غالب على امره »

قالت « دعنا من ذلك فاني لا اراك الا لصوماً تطلبون المال فيه الاموال لم يتم  
وائكتكم باضعافها اذا اطلقت مرحاناً »

قال « اما نحن فاذا اعطيتنا المال شكرناكثيراً كثيراً وان كنا لا نقدر ان نطلق سراحك  
ولكن لا ينفع لك ان تحرفي يا سيدتي على شيء اضعتم بهذا الانتقال فانك ذاعية الى  
اعظم رجال في العالم واذا احسنت معاملته كنت دائكة الرفاق »  
فاشكل عليها فهم حقيقة ما يعنيه فقالت « لم افهم مرادي ولا من هو ذلك الرجل  
الذي تنهيه »

قال « ستلين كل شيء بعد بضعة ايام ... كوني مطمئنة انك متبررين معاً  
معززة مكرمة ومحى وصلنا المكان المقصود كنت في ارavad عيش واسعد حال »  
قضت عدة ايام مع قبرماتها واوائلك الوفد على اتم ما يرام من الاعتزاز والاكرام وكأنوا  
قد حلوا وثاقها في صباح اليوم التالي وقاموا بخدمتها احسن قيام من الطعام والشراب والمليت  
وقد اتيح لجهان الفرار لو اطاعتها نفسها عليه ولكنها اكبرته وخافت مفتيته ... وكبير  
النس لا يطاعة وجداته على الفرار حتى من الموت

مرت في اثناء هذه الرحلة يدن وترى وجبال واودية وسهول وحزرون ورأرت اواناماً  
من اسم شق فعلت من بعض القرآن لها مرت باذريجان وجاء ما ذلك الزعيم ذات يوم

واخبرها انها صارت في ارميبيا وانها لا تثبت ان تدخل اردييل . فقلت حينئذ انهم سارون بها الى بابك الظري فتذكرت انه كان قد طلبها من ابيها ولم تقبل به فتحققت انها محولة اليه فأخذت تأبى لما دفعه وعلت انتها مكيدة من اخيها فقدمت على الركون اليه

وقد اصاب ظنها اسامان لانه طبع على الوم وزاده غضب والده قسمة عليه وعل اخنه وكان طلباً للعلم ولم يستطع ذلك يعلو الوجه والبسالة كما يطلبها كبار الرجال فالشه بالحقيقة والخداع — وليس اشام على الامة من ان يعجز رجال الطعام فيها عن نيل العلم باعمال تافق مصلحتها فيلتقوها بتحمية تلك المصلحة في سبيل مطامعهم

فانتظم اسامان في سلك اظرفية وهي جمعية سرية قامت على مقاومة اصحاب السيادة وزعمهم في ذلك العصر ببابك الظري صاحب اردييل وكان اظرفية يسمون في تأييد سلطته سرًا وكان شديد البطش يبالغ في انتقام النساء لا يسع بامرأة جليلة الا سعي في احصارها اليه فإذا لم يستطع ذلك بالاجراء طلبها بالمال جملها بالقوة . فشاع خبره في الاقاق وسمع بجهان فبعث يخفيها على يد اسامان فلم يرض ابوها فدمس الى اسامان انه اذا اتاه بوارف قدره وقلده منصباً عالياً واكرمه بالمال ولم يكن اسامان قادرًا على شيء في حياة ابيه فلما توفي ابوه وقد حرمه من الارث ازداد رغبة في الاتقام ولقي الاصيبيذ نائب بابك في فرغانة ايام النوروز في بعض جلسات اظرفية التي كان يحضرها سرًا فيغrip عن البيت اياماً وابوه لا يعلم سبب غيابه واغاثاً كان يقفي تلك الايام في المداولة والمواطأة . فتوطأ مع الاصيبيذ على ان يختال في حل جهان الى اردييل وهو لا يالي بعواطف المحبين لذاته طيبة وهو اجرود لم يجرب شعائر الرجال . وهرم على ذلك خصوصاً بعد مقابلته للأذنين واطلاعه على وصية والده فاصبح همه الاتقام من الاذنين فوجد في اجابة طلب الاصيبيذ نيل ما يقتله من الثروة والثغور والاتقام من عدوه فاتفاق مع الاصيبيذ على ان يهيء رجالاً يكتنون في الطريق بين الري وهمدان ليقفوا على جهان في اثناء سفرها الى العراق ليظهر للاء ائم اخذوها منه قراراً . وبعد ان اخذوها لم يكن غرضه من الشهاب الى العراق الا القاء الفتنة بين غرquam والاذنين وهو يعلم بصلة غرquam وتفانيه في سبيل جهان فان علم انها اخذت بسبب الاذنين لا يصدر عن قتلها . وكان اسامان قليل الدجاجة فلم يحسن سبك حيلتها فلم يطل اخنقاوها على غرquam فرجع اسامان من العراق وهو يعتقد انه اتم مهمته وفاز برامه



## الفصل السادس والأربعون

اردييل

اما جهان فلما علّت انها على مقربة من اردييل قصبة ارميانيا في ذلك الحين اختفت  
ليهيا لدفع ما يهددها هناك . وكانت تسمع بابك وتعرف انفاسه وتهتك ' وتعلم الله مقيم في  
اردييل . وما عتم الركب ان وصلوا الى غيةة اشبة كثيرة الادغال والاشجار اذا دم اهل  
اردييل امر "جاوا اليها فتحتهم وتعصيم من يريد اذاته في معلمهم ومنها يقطعون الخشب  
الذي يصنعون منه الصواني والقصاص (١) . واستفرقت جهان في هواجرها وهي تنظر الى تلك  
الغيةة وتفك في كيف تخاطب بابك وتدفع اذاته ونذكرت غرگاما وقالت في نفسها « لو  
بلغه ما انا فيه ما الذي يفعل ؟ »

وهي في ذلك رأت الركب يغولون عن الطريق المؤدي الى اردييل ويدخلون تلك  
الغيةة . واناها رجل منهم اوما اليها ان تحول شکية جوادها الادم نحو الغيةة فقلت وهي  
لا تعرف السبب . وساروا في طريق وعر يختنقون الاشجار الشبيكة وجهان تلتفت بينها  
وشالاً لعلها تعرف سبب ذلك الترار واذا برئس الركب جاءها وزاملها بجواره وخطاها  
بااحترام قائلاً « اراك تستغربين تحولنا الى هذا الطريق .. او لم لا تخافين .. . . .  
قالت « اني لا اخاف شيئاً .. . ولكنني استغربت دخولكم هذا الطريق الوعر بعد  
ان كننا على مقربة من اردييل »

فاكب الرئيس جسارتها وكبير نسها وقال « انذنك لم تشاهدني راية المضوية على  
منعطف الطريق »

قالت « كلاماً وابن هي ؟  
فاوماً اليها ان تنظر وهو يصدع بها الى اكمة هناك فلما صعدا قال لها « الا ترين  
هذه الراية ؟ »

فلما قع نظرها عليها خنق فلتها لاتها راية الاشتين فقالت « انها راية السطرين »  
قال « نعم وقد جاءنا احد الكوهياتية ( وم اسماعيل الاخبار عند الفرس القدماء ) يشجبون  
فللمخايرات في هذه الايام ) واخبرتنا ان مولانا قد غادر اردييل واحتلها المسلطون بعده »

(١) ياقوت ج

قالت « اخليك تعني بابك ... والى اين ذهب؟ »

قال « اخرين الكوهيني انه اوقل في اريينا وتحصن في بلد منبع يقال له البدع عند  
نهر ارس وفنن ذاهبون اليه »

وأئست من الرجل لطفاً وآكلهاً كثيراً فلament في ان يطلق سراحها بعد ان شغل  
القوم بالحروب فقالت « قاتم ذاهبون بنا الى البدع »

قال « نعم باسيديتي وهي على بضعة أيام من هنا »

قالت « ولا بد من ذهابي معكم؟ »

فادرك الرجل انها تعرض بالطلاق سراحها فقال « لا بد من ذلك لأن امر مولانا  
فضلاً لا سبيل الى تبديله وزد على ذلك اتنا لو تركناك كثيـر في خطر شديد ان لم يكن  
من المتصور فن الوحش »

وكانت خيزران على فرس وراء فرس جهان فالنشت جهان اليها فابتدررتها خيزرات  
قائلة « وما الذي تخافينه عند بابك ومثلك لا تخاف موقفنا »

فازدادت جهان نشاطاً بهذا التشجيع وعلمت ان خيزران لم تقل ذلك الا وفي لاجده  
سبيلاً للبقاء وعادوا الى المسير صعداً وجهان تلشت الى ماحوطها ثأمل وحشة ذلك المكان  
واسعة تلك الغيضة فوق بصرها على مدينة اردبيل عن بعد ورأت ساحتها الكبوري غامضة  
بالجند والرايات الاسلامية وهي تعلم طبعاً ان الاشرين نسبة ليس هناك لانها تركته بيـه  
فرغاته وان المقيمين في اردبيل فرقه من جنده

وكان الوقت ظهراً وصدرت الاوامر الى الركب ان يستخلوا خيوبلم الخروج من الغيضة  
قبل دخول الليل خوفاً من الميلت فيها

خرجوا من الغيضة ثم واصلوا السير فروا بارشق وخش وبرزند وغيرها ورأت جهان  
رايات المسلمين على اسوار تلك المدن واما الجند فكان معظمه في اردبيل وليس هذه المدن  
الا محطات لاختزان المؤونة الالازمة له في اثناء انتقاله لخاربة بابك ، فكانت كلما تقدمت  
احست ببرودة الطقس حق اشترقوا بعد بضعة ايام على البدع وهو اشبه بالمعقل او القلمة منه  
بالمدينة لانه مؤلف من عدة قصور كالقلابع يحيط بها كثيـر سور هائل عليه الابراج  
والابواب فوقها اعلام اخرمية . والارض على اجمالها في تلك الجهات جبلية وعرة يصعب  
سلوك الجند فيها باشتماله وحاله فلمنت ان بابك التجأ الى ذلك المقل لمناديه حق يكاد  
يسحب على المسلمين اخذه

وسيق واحد من الركب الى البذ يستأذن في الدخول ويسأل عن المكان الذي ينزلون فيه جهان ثم عاد وأشار بالدخول من باب غير الذي كانوا عازمين على الدخول منه . ولما صارت جهان داخل السور شعرت كأنها في قفص فاستوحشت واحتست خيرزان بوحشتها فاقت فرسها الى جانبها وسألت كبير القوم عن المكان الذي هم سائرون اليه فقال « ان مولانا في شاغل خارج البذ وقد امر ان نأخذ عروسه الجليلة الى فصر النساء هذا تمك في مكرمة معززة حتى يأتني »

فاجفلت جهان عند سماعها قوله « عروسه » ولكنها تجلدت وظلت ساكتة حتى البوا على القصر وله سور خاص ورجحة وحدائقه كانه حصن قائم بذاته ووقف لم الدرس ووسعوا فدخلات جهان وقبرمانها على فرسيهما من الباب الكبير حتى اذا دنت من الباب الصغير المزدوج الى المساكن ترجلت وترجمات خيرزان بمعها وامسر بعض الخدم لتناول الترسين وقد ادهشهم ما رأوه في تلك القادمة من اجل والملحية لانها لا تقطعي وجهها ولم يقع نظرها على نظر احدم الا شعر بقوه لم يهدأها بسواءها مع ان ذلك القصر يحيي مثاثل من اجل النساء لان بايك كان مولانا بافتقاء الجليلات كما علت

## الفصل الرابع والأربعون

هيلانة

ثم امرع رئيس الركب اليها ووقف باحترام وقال « ارجوان تكون سيدتي قد اغضبت هن چاريقي في خلها على غير ماتريد متى علت ابني محول على ذاك باص سيدنا ومولانا ولكنني بذلك جهدي في راحتها وحفظ كرامتها فهو نذكوري لدى الامير اذا سفت لها لرصة لانها ستكون الامر ؛ الثانية »

قالت « ما اسمك »

قال « هيزاد يا سيدتي »

قالت « الى اين انا ذاهبة الان ؟ »

قال « الى قبرمانة القصر وهي تقوم بما تتحاجين اليه من اسباب الراحة » وكانت خيرزان واقفة تسمع مادر ينهما فقالت للرجل « ألا تعرف من اهل هذا القصر

احداً معرقة خصوصية » ارادت ان تستعين برأيه في واحدة لاتق بها  
 فقال « اعرف اكثريهن وهن من ام شقي ولكنني اذن مولانا تستأنس بالسيدة  
 هيلانة على الخصوص فانها من بيت الامراء وقد عرفت بيات زوجها بارمنيا قبل ان امر  
 مولانا بايك باستندامها . وكمت في جملة من حملها اليه وتعارضا في اثناء الطريق فرأبها  
 عاقلة لطيفة واظن مولانا تسرع بعشرتها .. والآن استاذن بالانصراف فقد اقبلت  
 القبرمانة .. وانا اسمي بهزاد ياسيدتي ١٠٠ » وانصرف  
 ظلت جهان واقفة يهلاك وهدوء وقوف الملكة يباب قصرها حتى وصلت القبرمانة اليها  
 وهي عجوز طيبة القامة ندل ملائكتها على ما كانت عليه من الجمال في شبابها وقد لم يستوثبها  
 بطللاً بالوثي والتطهير حول جيدها العقود وفي يديها الاساور وفي اذنيها الاشراط  
 فوق نظرها على جهان بما في وجهها من آثار السفر الطويل وقد توردت وجنتها  
 كان النار لا يحتمها ورأت في عينيها معانٍ لم تعمد مثلها في واحدة من عشرات النساء الاولئ  
 من تحت ادارتها ولا مثل ذلك الجمال الجاذب . واستقرت على الخصوص من رباطة جأشها  
 لعلها انها أخذت رغم ارادتها وكانت تعلم بعلوم زيتها وكيف طلبها بايك من ابيها فلم ترض  
 به وكانت تدفع ان تراها منكسرة القلب باكية نادبة فلما رأتها رابطة الجأش هادئة ظنتها  
 راضية بما قسم لها . ولما دنت منها رجحت بها وضيئتها وهي تقول « من جماً بعروس فرغانة ..  
 يشق علي ان تحملني اليها قمراً وارجو ان تكوني قد غيرت رأيك »  
 فلم تجيئها جهان على مواعدها ولكنها ابسمت ومشت معها في دهليز القصر وهي مطرقة .  
 ولو تلفت لرأى نساء القصر يتسابقن ويتراهن للنظر الى خضرتها . ولما شاهدن جمالها وهي يهانها  
 حسنتها لانها سيكون لها المقام الاول عند بايك . اما هي فما زالت سائرة لا تبالي حق  
 ادخلتها القبرمانة الى حجرة مفروشة بالطنافس فرشاً حسناً وقالت لها « هذه غرفتك يا حبيبتي  
 استريح فيها »

قالت « وابن ثيابي .. فقد اخذوها في جملة الاحوال »

قالت « ستكون عندك بعد قليل » وخرجت . وارسلت اليها صناديقها  
 ولما خلت جهان بخيزران في تلك الغرفة ابصت اتها وقامت في الفتح فاقبضت نفسها  
 ولم تهلك عن البكاء وهي تستجدل وخيزران واقفة بجانبها تحرك نفسها من اعنة لما فلما رأت  
 دموعها تحدو على خديها اغطتها قلباً ورامت على قدمها وهي تقبل طرف ثوبها وتقول  
 « آآه يا سيدتي ما الذي اساينا .. كيف جئنا وكيف أخذنا؟ وابن نحن .. ابن ضرقام

الآن ... واسترسلت في الانتخاب وجهاً تبكي ولا تتكلم ... وشعرت خبزنان أنها اخطأت باظهار ذلك الصنف وبين يدي سيدتها فهمسكت وقالت « ولكنني واحدة بتعملك وقوه جنانك وأعلملي أني رهينة إشارتك بكل ما ت يريدين »

قالت « لا احتاج الي شيء الآن ... سمعت بهزاد يشي على امرأة من نساء هنا التصر اسمها هيلانة فلعلها تؤنسنا اذا عرفناها ... هل لك ان تبحثي عنها وتأنسيها ... »

و قبل ذهابك اخر جي لي ثابي »

فاغدت هنا ما تحتاج اليه ومضت وكانت الشمس قد أذلت بالزوال وأخذ الخدم في المارة التصر بالشروع فبدلت وجهان ثيابها واستلقت للراحة والتمنت الى ما حولها قدماً تصورت نفسها في تلك الغرفة وريتها وبين فرغانة بضعة أشهر وكذاكريتها وبين سامرَا فكررت في ضرغام وهل يعلم ما اصابها وتذكرت اخاها سامان وقالت في نفسها ابن هو ياترى هل قتل في المعركة ام فـ الى مكان آخر ... وعولت ان تخند وسيلة لايصال الطير الى ضرغام ليعلم مكانها لعله يستطيع إنقاذه بالسيف او بغيره ... وهي تذكر في ذلك فرع الباب ودخلت خبزنان وهي قول « قد جئتكم بالسيدة هيلانة يا مولاني »

فجلست جهان وهمت بالوقوف على اقامتها فاسرعت هيلانة واجابتها وجمنت الى جانبها هي تمشي لها وترحب بها كلها تمر فيها من عدة اعوام ... واستأنست جهان بها استئناساً كبيراً وأحسست كأنها في قصر ايتها فرغانة بين اهابها لاما آلمت في وجه تلك المرأة لطفاً ومودة واحلااماً فضلاً عن الجدل ... وكانت هيلانة شقراء اللون زرقاء العينين يضاهي البشرة لا يبارح الابتسام فتابعتها جهان لها ورجحت بها وتذكرت بطلاتها فقاتلت هيلانة وهي تضحك ضحك تشجيع وإيمان لا يضحك خفة او طيش « من حباً بروض فرغانة ... »

فقد طالما سمعت بعمالك وتنقلك وقد مضى علينا مدة ونحن في انتظار عبيك ... »

قالت « مازلت احسبني ذاتبة الى الجحوم حتى رأيتك فخفت المصيبة عن ... ولكن ... » وغضت برقها واثاغلت بصلاح عقدها

فاحتست هيلانة عند ساع صوتها يلاته وشعرت بجاذب يحيط بها نحوها وكلها تذكرت مصيبةها هي فتابعت نفسها وقالت « هكذا اراد المولى ياحبيبي ... ولو قشت مصيبةك بمصيبة سواك طان عليك امرك ... لو عرفت كيف فلوا في لرأيت الك من حومة ... »

فتوسمت جهان من اسلوب كلامها اتها تحب ان تقص حديثها فرأث من التأدب ان تأسلاها عده فقالت « وكيف كان ذلك ؟ »

فتهجدت هيلانة وغلب عليها الجد وقالت «لابد اذك عرفت من وجهي وضعف لبني القارسية اني غير فارسية ولا انا تركية ولا ارمنية وان كنت اخذت من ارمينيا ولكنني يونانية الاصل ربيت في بيت والدي في عموربة واما كبرت خطيبني بطرق من بطارقة ارمينيا وتزوجني وحملني الى بلده ..... ولم اكدر اقيم معه عاماً او عامين حتى بلغ هذا انطوري خيرى ( وخضت صوتها ) فبعث بطلاني من زوجي ولما سمع اباءه بعث قوة من رجاله اغتصوا غياب زوجي وحملوني اليه بالقوة وجسي هنا منه بضعة اعوام ولا اعرف اين زوجي ولا الذي فعله بىدى . واما هو فيعرف مقري طبعاً ولكن لا يهدى ميلاً الي هنا اذا كان لا يزال حياً » قالت ذات وشقت برقبها ثم ساحت دموعها سريعاً وايسمت وقالت « لم يكن غرضي ان اذكرك بهذا المأذى ولكنني اردت ان اخفف » صاحبك « اما جهان فاعظمت مصاب هيلانة وهى ان تنص عليها حديثها فارجعها الحياة فتشاغلت بالنهى واحبت تغير الحديث فقالت « ابن هو بابك هذا . وكيف تمثون هذا »

قالت « ان الرجل يقيم في قصر غير هذا اقرب الى اسوار هذا البلد الاخطاء الاستحكامات وينقل من شاه من شاه من شاه هذا القصر اليه لتقييم عنده يوماً او بضعة ايام على ما يتراءى له »

قالت « بلئن انه اليوم في شاغل عن القصر واهله »

قالت « نعم انه يتذهب للحرب شديدة »

قالت « مع من؟ »

قالت « جاءه اصحاب الاخبار بالامس وكان قد ارسلهم ليتجسسوا احوال المسلمين في العراق فاخبروه ان المسلمين يتأهبون لارسال نجدة عظيمة يقودها الاثنين صاحب اشر وستة ينفسه »

فلما سمعت اسم الاثنين ارتعدت فرائصها وتذكرت انه علة كل مصابها ولو انتهت هيلانة لرأت اثر ذلك التغير في عينيها ولكنها لم تكن تعرف عن جهان الامها بنت مرزبان فرقانة طلبها بابك وتم ترضع به فاستجلبها فسراً . فقالت جهان « وهل جاء الاثنين نفسه »

قالت « لا ادري اذا كان قد وصل ولكن آت من غير بد . وانماك فان بابك خرج من البد في جماعة من رجاله ليقيم له الكثناه وينصب الارصاد في اثناء الطريق وربما

لابعد بنا الا بعد بضعة أيام »

فشرها هذا التأجيج... ولما تذكرت عن المواتيس الذي عادوا من العراق

قالت « هل تعرفين احداً من المجراسيس الذين ذكرت رجوعهم من العراق؟ »

قالت « لا... ولكن خادمتني تعرف واحداً منهم... »

وكان خيزران قد ذهبت وعادت بالعشاء الى سيدتها ووقفت تسمع الحديث فلما

سمت قول هيلانة ان خادمتها تعرف احد المجراسيس ابتدرتها قائلة « اي خادمة

يابسديني؟ »

قالت « الق قاباتك الآن ودلتلك على... »

قالت « عرفتها... بالحقيقة أنها الطيبة... كلها... اقتربت الطفل من سيدتها »

قالت هيلانة وهي تضحك « ولذلك فإن ذلك الجا...وس وقع في هواها ولا يزال

يعلم بها أهدى يا يريد أن يتزوجها ولا نسأل عن شيء الا فيه... »

فسري عن جهان عند سماع ذلك ونظرت الى خيزران فرأتها تنظر اليها ففهمت

مرادها فقالت خيزران « أريد ان اقترح عليها خدمة تكفل خطيبها بما في طريقه الى

العراق هل تساعدني على ذلك؟ »

قالت « حجاً وكمامة... اعدتي ما تريدين ارساله ومتى عاد بهمته الى العراق

كلفناه بـ... »

فنهل وجه خيزران فرحاً لعلها أنها تستطيع إيصال خبر سيدتها الى ضرظام ثم

وضمت المائدة فتناولوا العشاء معاً وتذكرت هيلانة ان جهان في حاجة الى الراحة من

trip السفر فاستأذنت فيذهاب على ان تعود في الصباح فأخذتها الى غرفتها

## الفصل الخامس والاربعون

سامان

وبالات جهان تلك الليلة والمواعبس تقاذتها وقا... شغل خاطرها على الخصوص بأمر الملاسوس وارادت ان تكتب الى ضرظام كتایاً ولكنها خافت ان يقع الكتاب عدداً او سهراً في يد احد تكون العاقبة وخيبة... فضمنت اخيراً على ان تبعث الرسالة شفاماً...

فلا نهضت في الصباح أخبرت خيزران بما عزّمت عليه فاصنعت مخندلها وقالت « يكفي  
ان نبعث الى ميدى ضراغم كلة بان جهان في البد عد يا ياك فقط »  
قالت « هذا الذي اراه فالخبر يصحبتك بذلك »  
قالت « ألا نذهبين لزيارة هيلانة . وهي صرنا هناك اقابل الماء وانفسها اللازم  
قالت « حسناً . وأخذت باصلاح شأنها وهمت بالغروب واذا يارد اطهيان دخل  
يقول « ابن السيدة جهان ؟ »

فلا نهضت جهان اسمها اجهلت وظلت ياك آتيا او انه بعث يطللها وما عتم ان  
وصل المسمى الى الغرفة فلاقته خيزران وسألته عما يريده فقال « ان اخاها يريد مقابلتها »  
وذهبت جهان ذكر اخيها فتباركها النوح والغضب . فرحت لعلها تسمع منه خبر اعن  
ضراغم وغضبت لاعتقادها انه خدعها فقالت خيزران « ادخليه »

وبعد قليل دخل سامان وعيشه تذوقان الدروع وقد احرتنا من كثرة البكاء وبا  
اقبل عليها ترافق بين يديها وهو يبكي فتشابها بذلك عن تمنيفه ولم تفهم سبب بكائه فابتدرته  
قائلة « ما بالك — ما الذي يبكيك ؟ »

قال وصوته مختنق من البكاء « لا ادرى » ٠ ٠ ٠

قالت « كيف لا تدرى ٠ ٠ ٠ قل حلاً »

فلم يجدها ولكن سكت وجمل يسع دموعه يكتئب وهو مفارق فقالت له من  
ابن اتيت ؟ »

قال « من سامر؟ »

قالت « وكيف ضراغم ؟ هل لقيته »

فلما ذكرت ضراغم اعاد الى البكاء فاخراج قلبها في صدرها ووقفت فجأة وصاحت  
فيه « قل ٠ ٠ ٠ ما بالك ؟ ٠ ٠ ٠ كيف ضراغم ٠ ٠ ٠ اين هو ؟ »

فتراجع وأمسك يدها كانه يستهم اهارياً يسكن روعه ثم قال « لا اعلم اين هو »

قالت « قلت انك كنت في سامر؟ »

قال « لم كنت فيها . ولكنك ليس هناك »

صاحت « ضراغم ! ليس بسامر؟ »

قال « ليس هناك يا اختي . ليس هناك . وقد سألت الناس كلة فلم اسمع له خبراً »

قالت وقف اخذتها الدعثة « ويدللي ٠ ٠ ٠ كيف ٠ ٠ ٠ ماذا ٠ ٠ ٠ قل ٠ ٠ ٠ »

قال « مَاذَا اقول .. ان ضراغاماً ليس في سامر؟ » دلم يره أحد رجع اليها بعد ذهابه الى فرغاتة »

فلا سمعت قوله على الدم في عروقها وكاد النصب ينتاب على رشدها لكنها تجلدت واستكثرت نسفاً فتقدمت خيزران واحدته يده بخوها وقالت « قل لي صريحاً ما الذي سمعته »

قال وهو يختفي صوته « يمazar ان تستمعه اخته وهي واقفة تسمع » لما سطا علينا المصوس كالميلين وتحقق ذلك لهم قبضوا على حبيبتي جهان وعليك رأيت من اوجب واجباتي ان ابلغ ذلك الى البطل ضراغام فامسرعت الى سامر؟ وقصدت اليت التي اعرف الله يقيم فيها فوجدتها خالياً خاويأً وسألت كثيرين عنه فلم يلف له على غيره .. واحيرني احدم » قال ذلك ويلم ريقه « وسكت مطرقاً فلما وقف هناك اصحت له جهان وطالعت بعينها وأشارت اليه خيزران ان يقول مَاذا اخبره احدم فقال « اخبرني ان عدونا الا كبير الذي هو سبب مصالبنا جميعاً بعث اليه جماعة من رجاله كتبوا له في بعض المخابرات وغدروه » وما وصل الى هنا بكي

فلا سمعت جهان قوله « ورأته » يكفي استكثرت نسفاً حق كف عن البكاء ثم قررت في وجهه ترسن قادر وهو مطرق لا يستطيع النظر اليها كان اشعة ناريه تزداد من عينيها تثبر بصره .. والمنافق من طبيعته لا يستطيع تثبت بصره في عيني اخذ ولا بعها اذا كان في غضون فناقه — فالطير الذي سمعته عن ضراغام بدلاً من ان يقيها ويهددها حق بخرجها عن الصواب كما يتوقع الناس من اصحابها في مثل موقفها لم يزيد على الله نبه تغلباً وبعها على التأمل واعمال التكرة فتدبرت كذب اخيها غير مرأة ولم يدخلها قلبها على سوء اصاب حبيبها » فقالت « هل تقول الحق يا سامان؟ »

قال « وبلاه وكيف اذن .. هل اختلف الاخبار من عدي ؟ ان الذي رأيته سمعته فصحته عليك واثقني من صحيح فوادي ان يكون الطير كذلك؟ »

فاطرقت هنديه ثم قالت « من الذي ابالك في هذا ومن ادخلتك الفخر بهذه الحالة » فلما سمع سؤالها ارجع عليه ولم يكن مستعداً للجواب لان معرفته مكانتها تدل على علاقة بينه وبين الم موضوع فهو عند ذلك شريكهم . فتوقف حيناً فما امليته ان جيء بالجواب وقالت « لا اطلب منك جواباً ويكتفى ما قد فهمته ولما وقت آخر تعائب بور .. اذهب الان الى اصحابك اظرمية لعلهم يكافئونك على صنيعك معهم .. اذهب » قالت ذلك وخرجت

من الغرفة وكانت قد تهياً للتعاب الى هيلانة فتقول سامان وهو بهز رأسه ويتظاهر بتعجبه من تعصب اخته شده وبالذات لانصافه  
فلا خلت خيزران بجهان قالت « ارى يا سيدي ان لا تستخفني بما ذكره سامان بل  
نبعث في تحقيق ذلك »

قالت « لا ربيب عندي باتفاقه ومع ذلك كلفي الملاسوس بما ذكرناه قولي له يذهب الى  
سامراً ويسأله عن ضراغم رئيس حرس الخليفة وهي لقيبة يخالوبدر ويختبره انما  
هذا فقط »

فاطاعتها ولا وصلنا الى غرفة هيلانة رجحت بهما وجلست السيدتان للحديث ووقفت  
الخدمتان خديبها واتت خيزران ممهنتها كما تقدم

## الفصل السادس والأربعون

مضت ايام وجهات تنتظر رجوع بابك من سفرته حق ترى ما يتم طا معه  
وكان تسمع بشدته وفظاظته . ففي ذات صباح وهي في غرفتها انتها القهرمانة وهي كما  
لا ينافي رئيسة القصر والمستبدة في سكانه وما من امرأة او خادم او خصم الا وهو يلتصق  
رضاها ويقف خدمتها لانها الوسيلة الوحيدة بينهم وبين بابك . الا جهان فانها لم تكن  
تنطبع التكاليف باظهار غير ما تفهمر فكانت اذا تقيت القهرمانة لاطلاقتها مع حفظ كرامتها  
فلم تكن تظرها او تلتفتها والقهرمانة لا تستكفت من ذلك لان جهان وقعت من نفسها موقفاً  
على ايديها واجلت قدرها منذ شاهدتها فكانت تزيزها بالمعاملة وتلاطتها في الحديث — ففي  
ذلك اليوم جاءت القهرمانة ووجوهها يتھل بشرأً وبعد ان سمعتها قالت « ابشرني يا عروستنا  
ان العريس قد جاء »

فاجعلت جهان من هذا التعبير ولم تجيئ بحمل القهرمانة منها ذلك محمل الحياة فكانت  
« جشتوك من قبل مولانا بابك فإنه رجم من سفره ولا علم بجيئتك من مررور اكثيراً وامرني  
ان ادعوك اليه »

فاجابها جهان بهدوء وسکينة « الى اين ؟ »

قالت « الى قصره »

قالت « الي من هذا القصر له ايضًا ؟ »

قالت « بلى ولكنك تموّد ان تتنقل نسأله اليه للإقامة معه هناك »

فهزت جهان رأسها هزّة الانكار والاباء وقالت « لا » ولم تزد

فاستغربت الهرمانة جوابها بهذه الصراحة وهي في ذلك الامرين خالب الاسد وظلتها تذكر الخروج حياء فقالت « ان بين هذا القصر وقصر بايك دهليزاً مسقاً تسير فيه المرأة مكشوفة كأنها في غرفتها ولا يراها احد .. تفضل .. قومي »

فطلت جهان حالة لا تبدي حراكاً غير اشاره الانكار فقضت الهرمانة لهذا الامتحان وقالت بصوت عال « انصح لك يا بيه ان تنهضي معي ولا تستخفني بهذا الرجل فاته فناك لا يالي اذا غضب ماذا يعمد من قتل اونتك » ثم خففت صوتها ودلت منها ووضعت يدها على كتفها بخوب وقالت « وانا شديدة المرض عليك لاني احييتك منه راينك .. قومي يا حبيبي قومي » فرقت جهان بصرها اليها وقالت « اشكرك لهذا الاحساس ولكنني لست ذاهبة من هذه الغرفة .. »

ذفت الهرمانة من ذلك الجواب وتحولت نحو الباب وخرجت وكانت خيرزان واقفة تسمع ما دار بينهما وسادها ما يده سيدتها من الاغفة والشدة وهمت بلومها بعد خروج الهرمانة فسيقها جهان قائلة « لا تقولي شيئاً يا أماء قاتي لا أبللي يا يكون من هنا الجلف العائلي .. » يريد ان اخعلو اليه بارادي .. ما أنا فاعلة .. وما قدري يكون .. لا يفرنك انغرادي وأسرى قاتي اشعر بذلك قولي وسلامي وانا في قصر والدي وبين اهلي واعوانى .. ذريه يفعل ما يشاء فان عروس فرقالة وخطيبة ضر غام لا تذر نفسها لاسان .. ولما ذكرت ضر ظاماً غصت برقبها فسكت وتشتغلت بالتهوش وكانت قد لبست ثوبها والتقت فوقه بمطر من المطر وهي مطرقة تفك في ماذَا عسى ان

لاتها في اقليل بارد .. فوقفت ومشت في ارض الغرفة وهي مطرقة تفك في ماذَا عسى ان يفعل بايك اذا بالغه اباها واعزمت على الدفع والثبات الى آخر نسمة من حياتها وهي تفك في ذلك وخيرزان واقفة لا تبدي حراكاً سمعت سالاً جهوراً لم تهده منه في ذلك القصر فلعلت أنه سعال بايك وآمنت في القصر حرفة وجابة لأن اهل لم يتمودوا دخول بايك عليهم وسمعت جهان صوت الهرمانة مخاطب بايك ونظرت

لهمه الصوت من نافذة سخيرة أطال على الرواق فرأى بابك قادماً والحمد لله كل من  
الجليسين يغزوون سجداً والنساء يحنن رؤوسهن احتراماً والجميع يحيونه كما يحيون  
معبوداتهم وأكثربن من الجلوس وهو ينشي مشية المحتال النذور  
فلمما وقع لظارها عليه ارتدت فرائصها لأول وهلة ولم تستغرب ما شاهدته من  
سجود الناس فقد تعودت مثل ذلك لوالدها في قصره لكنها ابانت تكون هي ايضاً  
في جهة الساجدين • هل شعرت بليل الى المقالة في الترفع شأن الانسان اذا كان في  
رفعة وأسباب ياخذون من منزلته بعض النبي • كالقفر او العز فانه يصبح اكثربن ميلاً  
إلى الحافظة على مقامه وربما كان متواضعاً قبل نزوله فيصبح بعده متقدماً متكبراً

وكان ببابك منجم الجنة عظيم الهمامة كبار الوجه جاحدل الميتين منجم الشفتين كبير  
الكتفين هارز الصدر اذا متشى ترتع في مشيته ترتع الخيل والكرياء • وتمود التصدر في  
موقعه او مجلسه حق لو اراد الاشارة لتناول شيء • وقع منه لما طلاوعه اعتناقه ولا غرابة  
بذلك في من لا يفتح عينيه الا على السبعين باسمه المستهلكين في ارضاته اذا امر اطاعوا  
واما نهي رجمواه وهو رئيس اخرية في جديتهم وقاتلهم في حرمهم • وكان شجاعاً  
شديد البطش قوي العضل ابي النفس • ولو لا اندفاعه في الملاحم والشهوات لكان مثال  
الرجال العظام ولا يليغ ارجيل هذا المبالغ من الشهوان والجلاء ما لم يكن على شيء من  
الفضائل والمواهب • ولكن ادمن الطمر فكان يشرب منها مقداراً كبيراً ولا سيما في ايام  
السلام اذا تمدد لالتمتع بيلاده • وكان في ذلك اليوم قد اعد مائدة الشراب في قصره وبيت  
في طلب جهان وجلس في اتجاه انتظارها يشرب وما جاءته التبر منة يخرب ورفضها كانت  
الطمر قد عملت في رأس فاعظم انكار جهان السعي اليه ففتشت وجاهه ليعاقبها بنفسه  
فلا دنا من غرفتها تقدمة التبر مائدة وفتحت الباب وقالت « هي هنا يا مولاي »  
ورجعت وأشارت الى خير زمان ان تخرج منها فخرجت وتباعدت وهي تزاعي سيدتها باذنيها

## الفصل السابع والاربعون

### الآلة

وكانت جهان لا تزال واقفة فلما رأته داخلاً قعدت • فاستغرب استخفافها واكتئنه ما وقع  
بسره عليها ورأى تلك المية وذاك الحال الرائع وما يقبل في عينيها من الذكا، واتراسله

من الاشعة الكهربائية حق دعش . و مع كثرة من رأى من جيلات الساء الفارسيات والكرجيات والشركسيات والروميات وبعدهن اجل من جهان تكونها واصفي لوناً لكنه لم تقع عينه على فتاة فيها ما في جهان من البصر الجاذب لطف غصبه لكنه لم يألف الرجع عن رأيه وإنما تعود ان يسترضيه الناس مسوأً كان عيناً في غصبه او محتقناً . فلم يفلاك عند ما رأى استخفاف جهان به ان قال « وتمدين أياً وانا واقف »

وكانت هي مع تحبلدها ورباطة جأشها تتنفس من شدة الثائر لاول وهلة خشافت اصلاح شعرها لا تبالي بما يسدو من وجهها أو عنقها وما سمعته يخاطلها رفت بصرها اليه وقرست في عينيه وهو ينظر في عينيها فاحس بضم إصاب منه متقللاً وكان الغضب تسرّب من صدره حق خرج من اطراف الأنفه وسري عنه . أما هي فاجابه « هل يشمع قبافي ان لم تتكلك نوادي ؟ »

فتوسم من جواهيرها فرجأً فلقد على وسادة بجهانها وقال « ارجوان يكون لي نصيب من ذلك الفؤاد .. اذ لا اظن احداً اجدره مني وانت تعلمين من هو بالك صاحب الملوول والطول زعم اخرمية قاهر جنود المسلمين .. ويسوه في الي حملك الى قبرًا ولكنني لم اقبل ذلك الا بعد ان ثقلت من نياك بالحسنى .. فكيف رايتي ؟ »  
فلا سمعت تلطفه وتقريره قالت « رابك بطلاً باسلاً وترمز اتك ملك قاهر وما انت الا امير »

فاجعل وقال « امير ؟ ماذا تقولين »

قالت « نعم انت امير .. امير شهواتك .. فن كان ملكاً عظيماً فامر لا بل يقين ان يكون عبداً لشهوته .. التي اشتهرت اثر من هنا »

قال يظهر اتك ترميهم كما يرمي اولئك اليهود الذين يسون اقفهم مسلمين فيحرمون اطعم وحل في ملذات العالم اشعى منها يل هي ام الملذات لانها تستهض التوى وتتحى طالب الجسد فتزيد الرغبة في ما تشهي النفوس من الطعام والشراب وغيرها فلادا قطعه فقد اضعت اطيب اسباب الحياة »

فازحزخت من مجلسها واشارت بضمها اشاره الاستخفاف والاستزاب وقالت « تقول اتك صاحب السلطان وقاير المسلمين وترغم ان معلم ملذات الحياة الطعام والشراب وغيرها من مطالب الحيوان .. وعندى ان مطالب الرجل ان يكون سيداً جيلاً نافذ الكمة هباء البعيد ومحبه القريب »

قطع كلامها فائلاً «الست كذلك؟»  
قالت «كلاً... ربيا خافق البعيد ولكن القريب لا يحبك... والذين حوالك  
يسبحون باسمك ويعظمونك إنما هم يحملونك فإذا غبت فالوا فيك كل قول قبيح ولا  
لوم عليهم فإنك لم تفعل ما يحبك إليهم»

فأـلـ بـابـكـ الـبـحـثـ فـيـ مـوـضـوـعـ أـحـسـ آـهـ مـنـ مـلـوـبـ فـيـ وـرـأـيـ مـنـ الجـهـةـ الـأـخـرـ آـهـ  
بـالـغـ فـيـ التـنـازـلـ لـثـالـثـ الـفـتـاهـ وـأـكـبرـ أـنـ تـكـوـنـ مـنـهـ يـنـزـلـةـ الـوـاعـظـ أوـ الـرـشـدـ قالـ «ـمـاـلـ  
رـهـذـ الـجـدـالـ الـآنـ؟ـ هـيـاـ بـاـ يـاجـهـانـ؟ـ وـوـقـفـ وـهـوـ يـدـ يـدـهـ لـيـسـكـ يـدـهـ وـيـعـيـنـهـ فـيـ  
الـهـوـضـ يـذـبـتـ يـدـهـ مـنـهـ؟ـ وـقـلـتـ قـاعـدـةـ

فـدـ يـدـهـ ثـانـيـاـ لـيـسـكـهاـ فـوـقـتـ وـيـدـهـ وـرـاءـ ظـلـهـاـ وـهـيـ تـقـولـ «ـقـفـ عـنـدـكـ يـاـ بـابـكـ  
أـنـكـ بـهـذـاـ عـمـلـ تـوـيـدـ قـوـلـاـ أـنـ تـكـرـهـ عـلـىـ النـاسـ... لـاتـدـنـ مـنـيـ»  
فـقـالـ «ـوـمـنـ يـدـنـوـ مـنـكـ أـذـنـ غـيـرـ؟ـ أـنـ عـرـوـسـيـ وـقـدـ بـعـثـتـ فـيـ اـسـتـدـامـكـ مـنـ  
أـقـصـيـ بـلـادـ التـرـكـ لـاجـمـعـكـ سـعـيـدـةـ فـلـأـخـيـلـيـ شـقـيـاـ؟ـ»

قـالـ «ـمـنـ كـانـ مـعـالـيـهـ حـيـوانـيـةـ وـكـانـ ذـاـ سـلـطـانـ تـأـنـدـ لـاـ يـشـقـ لـاـنـ يـدـهـ تـعـلـوـ  
مـاـ بـرـيـدـهـ أـنـ يـكـنـ بـالـمـالـ فـبـالـسـيفـ فـكـيفـ تـشـقـ لـاـنـ يـمـلـكـ بـدـيـ وـفـيـ قـصـورـكـ مـنـاثـ  
مـنـ النـسـاءـ اـجـلـيـلـاتـ فـاحـسـبـ أـنـ غـيـرـ مـوـجـودـ وـأـرـكـنـيـ وـشـأـنـيـ؟ـ»

قـالـ وـكـلـامـهـ وـأـنـقـ «ـلـوـ أـكـنـ اـتـوـقـ السـمـادـ بـقـرـبـكـ أـوـ لـوـ كـانـ فـيـ مـنـيـ عـنـديـ  
غـنـيـ عـنـكـ مـاـ تـكـبـدـ لـلـشـقـةـ فـيـ اـسـتـدـامـكـ وـلـمـ أـكـنـ لـاـنـ ذـاكـ لـوـ لـاـ حـيـبـنـاـ سـامـانـ...»  
فـتـحـقـقـتـ مـنـ ذـاكـ أـنـ أـخـاهـاـ هـوـ الـذـيـ أـسـلـمـهـ فـتـحـوـلـتـ نـفـسـهـاـ إـلـيـ وـأـسـبـحـتـ لـأـنـدـريـ  
مـنـ شـقـقـ وـلـأـكـيفـ تـنـقـمـ تـجـاهـلـتـ مـاـ فـمـتـهـ عـنـ سـامـانـ وـقـالـ «ـتـكـبـدـ كـلـ ذـاكـ مـنـ  
أـجـلـ لـتـجـمـعـيـ مـثـلـ سـاءـ قـصـرـكـ؟ـ»

قـالـ «ـبـلـ بـالـغـ فـيـ أـكـرـأـمـكـ وـاهـدـيـ إـلـيـ الـجـوـاهـرـ وـالـبـسـكـ أـحـسـ الـمـلـاـبـسـ وـاـخـتـصـكـ  
بـالـقـرـبـ وـالـجـاـلـسـ وـأـجـمـلـكـ سـيـدةـ هـذـهـ الـمـدـنـةـ وـلـاـ اـمـنـعـكـ شـيـئـاـ تـطـلـيـنـهـ؟ـ»

قـالـ «ـتـلـبـسـيـ الـجـوـاهـرـ؟ـ مـاـ الـجـوـاهـرـ عـنـديـ الـأـحـجـارـ لـامـمـةـ لـاـ تـرـفـقـ نـفـسـاـ وـلـاـ  
تـلـيـ مـقـاماـ وـهـذـاـ صـنـدـوقـ مـلـوـءـ مـنـ الـجـوـاهـرـ وـالـدرـ وـقـدـ تـرـكـ قـصـرـيـ وـعـقـارـيـ فـيـ فـرـغـانـةـ  
وـلـوـ بـقـيـتـ هـذـاـ لـكـنـ مـلـاـكـ مـنـ الـمـلـاـكـاتـ وـلـكـنـ وـأـيـتـ هـذـهـ الـأـمـوـالـ مـنـ اـسـبـابـ شـفـافـيـ  
فـزـكـهـاـ...»

قطعـ كـلـامـهـ فـائـلاـ «ـبـلـقـيـ انـ اـيـاكـ الـرـزـ بـاـنـ اـبـاـكـ اـقـامـ عـلـيـكـ وـصـيـاـ الـأـثـيـرـ

صاحب اشر وستة ٠٠٠ مانا ولكل ذلك تعالي تناول الطعام مما « ودنا منها فتراجعت ففصب وعمد الى تهدیدها لنظر اليها شريراً وقال « اذا كنست لانا ثين طوعاً اخذتك كرهاً وانت تعلمين اني اذا قلت فعلت ففقد كنت في فرغانة وابتئت بك الى ارمينا » فهل يشق على « ان انتقلك من قصر الى قصر ينتمي مثلك خطوة »

قالت « اذنك تحسبني الان والاعلى مرأى منك اقرب اليك من يوم كنت في فرغانة .. اعلم اني لا ازال بعيدة عنك كافيه في فرغانة او ابعد منها »

قال « ثقولين ذلك وانت بين يدي ولو شئت لتبغضت عليك يدك من حديد او امرت رجال فضمليونك الى موئنة ٠٠٠ ولكنني لا ازال ارجو رجوعك الى رشك »

فنظرت في عينيه نظرة حادة ملأها التوبيخ والترفع وقالت « قد تتبغض على عيني وربما استعنت برجالك فاوتحتني او قتلتني .. ولكنك تعال كل ذلك قبل ان تستطع لمسة او نفحة ما كنت ترجوه مني .. اقتل ٠٠٠ واذا جئت عن قتل فانا لا اجيء عن قتل تصفي للاختراق او تهددى .. واعلم انك تغاطب فتاة اكبر منك نفساً واربط جائعاً واقسوى جائعاً واذا كنت تحسها كسائر من في قصرك من القبيقات او المحببات او الريقات فقد اخطأك .. انك تغاطب ابنة مرزا بن فرغانة ٠٠٠ قادتها التقادير اليك فافتتحم صداقتها ودع غير ذلك .. او فامض في سيابك وأرجح نفسك »

وكانت ثقول ذلك بالهجة صاحب السيادة والسلطة وبابك يشعر انه يكاد يغلب على امره بين يديها كأن لها عليه سلطاناً وكما ارسلت اليه نظرة حلت من عزائمها عconde فقال « والآن ٠٠٠ ما الذي تريده »

قالت « اريد ان تتركني وشأني »

قال « اتركك اياها تفكرين في امرك لعلك ترجعين الى صوابك وتعيني انك اذا اطمعتني نلت السعادة » قال ذلك وتحمّل حتى خرج من الغرفة وقد تغير وجهه وكانت التبرّمانة وخيزران واقتنين تسمعان شيئاً من الحديث، وكانتا هما مجيبة بيسالة جهان واقتنها وبعد ان كانت التبرّمانة شدعاً اصبت منها ولم تظهر يدك لكنها صارت تلاطفها وتراعيها من ذلك الحين

اما جهان فلم تقل ما قاله لبابك على سبيل التهديد ولكنها كانت قد اعدت ما يلزم الدفاع او الالتحار عند اليمس .. وقد فتحت باب الاستئصال عنوة زربها يعود الجاموس وتعلم ماذا يجري لنفر غام ثم تنظر في الذي تعلم

## الفصل السادس والاربعون

### الجاسوس

ولم يتفضل ذلك اليوم حتى شاع حديث جهان في القصر واطلعت عليه النساء ولم تبق واحدة إلا أبكيت بها واصبن ينظرن إليها فلنل الصغير إلى الكبير أو نظر الجاهم إلى العام وخصوصاً صديقتها هيلانة فانها حينها علت بخروج باك من القصر هرولت إلى جهان واخذت تأسلاها عاً جرى وجهان لتواضع في التعبير ولنفس الاعذار لباك على تفاصيه فلم يكن ذلك الا ليزيد جهان احتراماً في عينيها حتى تعمقتها واصبحت حديث اهل البد ومضرب امثالهم وهي لا تعي شيئاً من ذلك وإنما هرها استطلاع خبر شرعاً وابلاغ خبرها اليه ولم تعد ترى سامان

مكثت حيناً في انتظار رجوع الجاسوس وكانت قد اخذت الود هيلانة فقصدت عليها متعاهدها باختصار شاركتها في ذلك واصبحت شديدة الاهتمام بشانها ولم تكن اقل للهيلانة في غرفتها وخدمتها قافية بالخدمة اللازمة وخززان غائبة فللاستطاعت جهان في وجه اغلاصه تغيراً وكانت تراقبها فقالت هيلانة « اسألها عما قاله لها خطيبها » فبعثت هيلانة لشاك المفاجأة قالت « وهل تظنينه جاء »

قالت « نعم جاء .. ويشهد له أنه لم يأتها بغير مفرج » فاستغربت تكهنها وأشارت إلى خادمهما فانت قالت لها « هل عاد صاحبنا من سامر؟ ورقق؟ »

قالت « فعم ياسيدتي التي منذ ساعتين »

قالت « وبالذات لم تغيرينا بذلك »

فقالت لو أثناها بغير سار لبادرت إلى لشره ..

وكانت جهان تسمع ذلك فقلبت عليها العنة وصعد السلم إلى وجنتها وقالت « ماذا فعلك؟ عليك؟ »

قالت « قال لي انه مسال عن الرجل الذي طلبته منه البحث عنه في سامر؟ كلها فلم

يقل له على خبر »

قالت « هل تقدر ان نزاه ونسأل الله شفاهًا؟ »

قالت « لا ادري اذا كانت القبرمانة تأذن بذلك »

قطعت هيلانة كلامها وقالت « هي تأذن بكل ما تريده جهان عروس فرغانة لأنها سحرتها . . . قولي للقبرمانة أنها تطلب مقابلة فلا تأذن لحکامه باسم »

ذهبت أخاذة وعادت به فسألته « عما يعلمك فقال « سألت عن غرquam يا سيدتي

لم اجد أحداً يعرفه »

قالت « ألم تأسأله عنه في قصر الظلينة؟ »

قال « سأله عنه هناك ثم انف خلي خبره »

قالت « اذنك لوسأله عن رئيس الحرس لوصلت اليه »

قال « سأله عن رئيس الحرس فقيل لي ان اسمه الصاحب »

قالت « هل انت واثق مما تقول؟ »

قال « نعم يا سيدتي وقد دفقت البحث عن رئيس الحرس نظراً لما رأيت من اعتقاد

الناس به فقيل لي انه رجل شجاع باسل وان الملينة يحبه حباً شديدآ وقد زوجه ثناه

جيلاة من بنات قصره واعداده هدايا ثمينة »

فيت عينها انه يقول الصدق وقد يختر لها ان يكون الصاحب غرquam نفسه لولا

حديث زواجه وهي لا تصدق ان غرquam يتزوج وبتركها فناً كد عندها ما فيه عليهما

اخوها من قبل وان الاشرين سعي في نتهله فزادت تقدتها وغلب اليأس عليها واستقرت

في المطواحين وقد نسيت موقتها ولم تتبه الا وخيزران تدعوها تتجول لاستغراقها

ونضست تطلب غرفتها للاختلاط ب نفسها ونسيت ان خيزران نادتها فلما خرجت من غرفة

هيلانة افيفتها خيزران فقالت « الى اين يا سيدتي »

قالت « اذنك دعوتي وقد نسيت . . . ماذا تريدين؟ »

قالت « كنت في حدائق القصر فرأيت بابك خارجاً من قصره فلما نظرته خارجاً الى

المحصن والمقابل واذا هو دخل هذا القصر وطلب الى القبرمانة الله يريد مقابلتك الان

او عزرت اليه ان اطلب اليك ذلك »

فاجعلت وفالت « بابك الان يتطلب ان يراني؟ »

قالت « نعم وهو في غرفتك »

قالت « وفي غرني أيضاً؟ ما العمل يا اورزد سادفي . . . افي آراني في ورطة يصعب

الخلص منها . . . أعملت الخبر الذي جاء به الماسوس؟»

قالت «نعم ياسيدتي عليه . . .»

قالت «وما رأيك؟»

قالت «هل لي رأي بوجودك؟ يظير ان مولاي ضرغاماً ليس في سامر؟»

قالت «لا يجيئني غيابه عنها وإنما يجيئني ان تصدق رواية أخي سامان بشأنه . . .

الم تسمعها؟

قالت «سمعتها ولكن من يعلم الصحيح؟»

## الفصل التاسع والأربعون

### الانقلاب العجيب

وكانت تكلان وما تقييات على مهل حتى اشرقت على الغرفة فتراجعت جهان وقالت «والآن لا بد من مقابلة بايك؟ ماذا أقول له؟ أو لم؟ عنه؟ شيراً جديداً . . .» وهي تتردد في ذلك «معت صوت بايك بنادي من داخل غرفتها» جهان . . . جهان «فامسرعت وركبتها تصطلكان وهي تتجدد حتى اقبلت على باب الغرفة فاطلت على بايك وكان جالساً فوقف لها واستقبلها وهو يبتسم ويتصمم قلارأت ابتسامه اطلاع خاطرها ولا سهام رأته وقف لها ورحب بها بعد ما كان من مجاهاتها وايدرها قاللاً «أني انت لمروض نرغانة وإن كانت هي تحظى ببايك ولا تخف له؟»

قالت «ان جهان لم تحظى ببايك وإنما احترفت خصالاً ليه قد ذكرتها»

قال وهو يجلس ويدعوها الى الجلوس «وإذا نزع تلك الخصال منه هل تحيطينه؟» «ولاح لها من خلال كلامه انه يقول ذلك جدأً ليس على قبيل الجماملة او المداعبة فاظهرت ارتياها فائلة «اراك تسرع من فتاة اغفبتك فاجبكت الشفني منها ولكنني اخلصت لك النصيحة وعرضت جياني الخطر من اجل ذلك»

قال والاعظام ياهر في عبياء «لا بجهان . . . اني لا استمر منك ولكنني اعملت التكرة في ما قلته لي فقضيت مدة غيابي عنك وانا انكر سيف اقوالك وحقيقةها تجيئ لي رويداً

رويداً . وكلا الجات شعرت بالخجل من قصبي وندمت على مافرط معي . . . كنت منفست في المذلات والاكتئارات من النساء لأنني لم أجده واحدة تهلا عيني وتملك قلبي . وانت لا ادرى ما الذي غيرته من وجوداني . . ارافي منذ خاطبتك قد حدث في تغيرت عمّا اعهد مثله من قبل . كانك روح مرسلة الى من عند اورمزد . . وانا هي الان ان تقول لي انك تحييني . . . قال ذلك والعرق ينبلج على جبينه فاستغربت اقلابه ولم تخف انه يداعبها او يخدعها لانها قرأت الاخلام في جبينه واكيرت ان ترى ذلك الرجل الناظ الشديد يقترب اليها تلك العبارات فقالت « هل تعي ما تقول ؟ »

قال « نعم . . ولا حاجة لي الى المداجاجة كما تعلين لاني الامر الثاني . ولكنني عملت بمحبتك لانها نزالت منزلاً الدم من قلبي والسوداد من عيني فخرجت الخروساً تراك كل النساء من اجلك . . . صدق يا جوان ان العيشة المنشية في الحب المتبادل . وها انا اعجب فهل انت تحييني ؟ لا لاعذر لك في الرفض الاآن » فاطرقت واستغرقت في افكارها وفي ما سمعته تلك الساعة عن ضياع فراغام حق بثت من وجوده . . وكيف ان ذلك الجبار يخطب رضاها ويشترط على نفسه ان يتقطع خدمتها ويجهز الخمر والنساء سوها خدتها نفسها ان تحييه بالاحباب فاعتبرتها خيال حبيبها فتصورت انه وجد بعد ذلك فكيف تقابلها وبأي عين تنظر اليه . فطللت جينا وهي تحمل ذكرتها وبابك صابر يتذكر اليها ويراقب حركات عينيها فلما استيقظا جواهيرها قال « اذنك تذكرين في الاثنين »

فلما سمعته يذكر الاثنين خلته بعلم شيئاً عنه فقالت « وكيف عرفت اني اذكر فيه وما هي علاقتي بي »

قال « أليس هو الوسيط عليك ؟ »

قالت « بلى . . واذا كان وصيماً »

قال « لا اخفي عنك ما سمعته وان كنت تحاولين اخفاها » هي . . . عملت ان الاثنين بعد ان جعله والدك وصيماً عليك طمع بزواجه فرفضت طلبه اليس كذلك ؟ فاطرقت وبذا الحيله في حبيها ولما راح النصب في عينيها ولم تجب فقال بابك « وان خاتمة رفض الاثنين ملك اشروسنة ثم ترفض بابك صابر ارميينا رفقة في القصبة هي جديرة بالعبادة . . وبلغني ان الاثنين اتفقاً انكم متنك اتفقاً جارحاً . . . واورمزد لاتقنون

لك منه أشد الانتقام »

فلا سمعت تعرضاً بالانتقام من الاشرين ، مالت الى القبول ولكنها ما زالت ترجو اداء خسر غام فقالت « اذا كنت تعني ما تقول وانك تنتقم لي من الاشرين وقد اثبتت اسراراً عرفها عن فاسمح ان أنهك الى امر .. انت تعلم في فارسية مثلث وابي مرزا بن كبير لم تكن تختفه خافية من اغراض الترس على العرب .. فاتت متواطئ مع الاشرين والماز يار صاحب طبرستان على قلب دولة المسلمين (١) .. اليك كذلك اصدقني »

قال « صدقت هذا هو الواقع فعلاً »

قالت « فما معنى ان يغاريك الاشرين بجرش من المسلمين؟ »

قال « هو يظير نصرته للسلمين ليجمع القواد منهم ويرسلها الى بلاده وهي وجد المال اللازم لخداعنا جميعاً وقلبنا هذه الدولة »

نظرت اليه نظراً تاذداً والاستغراب بادر في عينيها وقالت « هذا هو اعتقادك حقيقة؟ »

قال « نعم »

قالت « انت قائد هذا الجند وزعيم هذه العصابة والناس يجرون فدرك وبجهوت يامنكم واجدون للك .. وتدلي عليك هذه الحيلة؟ »

قال « ولماذا تخبيتها حيلة .. اني اعرف الاشرين من قبيل وقد اجتنمنا وتماقدنا على هذا الامر منذ بعض عشرة سنة ومعنا صاحب طبرستان وما زلنا نعبد العهد كل ما .. واي مصلحة له في الخادعة؟ »

فتفرست في عينيه وقالت « ان الاشرين يخدعوك ليكتب المآل بسب قيامك لانك لم تقم انت لحرب المسلمين لم يبق لك باب الارتزاق فهو يخادعك اما الماز يار صاحب طبرستان فربما كان اخلاص طوبية ولكنه لا دخل له في عمليك .. فإذا شئت ان اجييك على ما حلبيته» هي فيسو وفي ان تكون مخدوعاً وانت البطل صاحب السطوة تحارب برجالك فإذا فرت طالبك الاشرين بحق الشركة وإذا غلت استفاد من غليك .. »

فالنبيه باشك كله هب من رقاد ورآها تقول الصدق وشعر بسلطتها عليه وقال « بوروك فيك انك صاحبة الرأي الصائب .. صدقت ان الاشرين مداج »

قالت « فمثلك يجب ان يكون هو صاحب الامر واليه المرجع لا شريك له يقاشه ولا

(١) تاريخ طبرستان لابن استهباب (الترجمة الانكليزية)

مازاع يزارعه . فاذ رأيت ذلك كثت أنا عنك حتى في التجنيد والمرب بشرط ان لا يتم زواج الا بعد الفراغ من هذه الحرب وعند ذلك الغرافي ثلت اكبر رجل في فارس « القدس يا ياك وقال « ولكن قولي قبل كل شيء .. هل انت تحييني منذ الان؟ » قالت وفي ثنيتها ابتسامة الظاهر « وهي كان الحب يهمك؟ » قال «منذ وجدت المرأة التي تتحقق عيبي فارجو ان اتحقق معيها .. فهل تحييني؟ » ناسكت نفسها لحظة ثم قالت « تم ... لا ... » ولم يطأوها لسانها على هذا التصرع ثم استأنفت وقالت « احبك عبة الاخ حتى تخرج من هذه الحرب » قال « يكفي بذلك يا جهان »

فاستدركت وقالت « وارجو ان لا يعرفي الناس بهذا الاسم لأنني ساخاطب الجندي رضا شاع ذكري فلا احب ان يعرفي الاشرين او غيره ... فاسمي منذ الان جلدار » قال « حسناً يا جلدار » واحسن من تلك الساعة براحة ولذة واعتبر نفسة انتقل من عصاف المتهكمين المسرفين الى طبقة اهل الفضيلة والحب . ولو بحث عن السبب الحقيقي لذلك الانتقال لوجد انه « الحب الصادق » لانه لم ينعد في الانفاس في المشتريات سداً للخطاب الحيوانية ولم يغير الحب المتداول بيته وبين فناء ذلك فبله وغلاه عليه كما فعلت جوان .. فتبعت حاله وعادت اليه اوريجيه واصبح طوع رأي جهان لا يتقطع امراً هاماً الاً بعد استشارتها .. ولم يعرفها اهل البذ الباهم « جلدار » لانهم لم يكونوا يعلون بوجودها قبل تبدل امها

وخفى ياك الوقوف وهو يقول « هذا هو بدء سعادتي يا جلدار فاني لم اكن في عمر ي كله اسعد حالاً في هذه الساعة ... » ووقف واتم حديثه قائلاً « لكنني استاذ ذلك في امر اتفه لا يسوهاك — وذلك ان خاصتي قد تعودوا بحالتي على مائدة الشراب وفيهم المؤدون بالآخر ولم يوقوا الى من يغاتهم على قلوبهم كما فعلت انت بقلبي ... قهوة الاد اذا بافتحتم بابطال تلك المائدة اخاف ان يتغيروا او يقضوا وانا في حاجة اليهم في هذه الحرب فارى ان اسائهم واجالسم واوهمهم اني اشرب بهم ربما نرى ما يكون » قالت « لا يأس من ذلك ولكنني ارجو ان تعلم منذ الان على تغيير السكر لهم بالتدريج »

فالشار مطليماً وهو واقف وقوف الغلام بين يدي مريته واصبح وهو مثال الاستبداد والعنف لين الغرفة ياز له الخفوج والادعاءان — يدلك ذلك على تفود المرأة العاملة

عند الرجل اذا في انته من طريق القلب واحتسب الاسلوب في رده عن الثنائين . على اتها لا تستطيع شيئاً من ذلك الا بطرق الحب . فيجب عليها اولاً ان تجعله يحبها فرق ملكت قلبه اصبح كاشاء . اما اذا ارادت اصلاحه بالاكتفاء في غير الوقت المناسب فقد زرده تمسكاً بزلاته

اما جهان فسرّها تغير باياك وقبوله با اشترطته عليه ما فيه من صيانة نفسها ربها تتحقق امر حبيبها والانتقام من الاشرين . وتدكرت في تلك اللحظة اخاه سامان فاستوقفت باياك وقالت « لي طلة ارجو ان تضيئها لي »

قال « لك كل ما تريدين »

قالت « سامان . اخي . انت تعرف وتعرف الله خاني وغدر بي . . . لا اطلب الانتقام منه ولكنني اريد ابعاده من هذه المدينة لان في وجوده خطراً على هذا الجيش . . . لا اطلب قتلها او سجنها بل اكتفي بأبعاده لامن شره »

قال « كنت عازماً على ابعاده من عند نفسي وان كان قد خدمني بخيانته . . . اذ لواه لم احظ بerus فرغانة ولكنني اخاف ان يخونني كاخان شقيقته » . كوفي مطمئنة اني مبعدة عن عياله . . . وابن تخين الاقامة الا تتقللين الى قصرى ؟ »

قالت « دعني في هذا التصرّك انا فاني مستأنسة باهله وان فضت الاحوال باهله لشورة او تدبر تواعدنا في حينه »

فلما رأيهم اوحشوا وهم يبتسمون وينظرون في وجهها نظر الحب المثير ولم يستطع تثبيت نظره في عينيها . اما هي فوقفت وهشّت له فودها وهو يقول « عن على وفاقه نذا لأن . . . وانت تخيني ؟ »

قالت « انت اخوان . . . انت اخي باياك وانا احبك عبة الاخ وارعاك رعاية الاخت لاخيها وسترى اني باذلة نفسي في سبيل راحتكم »

خرج باياك من بين يديها وقد غلب علي امره ولما مر بالدهليز وقع بصراه على من فيه من الجواري والسراري وما فيهن الا من تخفي رضاها ونقاشه وتنزلف اليه واذا غضب استرضته ووقفت بين يديه وقوف النمل او سجدت سجدة العايد فتصور كيف غلبته جهان على رأيه واصبح لا ه لـ الا استرضاؤها وقد لـ له تنازله في اكتساب قلبهما بعد ان تحقق اشتغال فكرها وصدق لمجتها وعلوه منها وشر باقطاف ثخوها وخاف ان يكون سبب شفائه اذا هي لم تجيء بذله . فلما فهمت اصبح ما تجيئه من الحب الطاهر المتبادل ينبعها من اكبر اسباب سعادته

## الفصل الخامس

### اليأس

فترك البذّ واهله ولعد الى سامراً فقد تركا فيها غرفاًًا بعد ان بثّ الجوايس في اتجاه المشرق الى فرغانة وغيرها . فلبت رغبة من الدهر ينتظرون عود الجوايس فعادوا وما فيهم من سمع خيراً او عرف شيئاً يهدى الى مكانها . وكان ضراغم في اثناء الانتظار على مثل اجر لا يدرى ماذا يعمل فلما خاب انتظاره غلب عليه اليأس وذكر في صاحب الذنب بنياعها فلم يجد غير الاشرين ثم تذكر ما سمعه عن سامان وتفاقه وغدره فارتاب في امره . وكان يقسى ايامه متفرداً في منزله الا اذا خرج المتعصّم واصطحبه الصيد او الرياضة او الصلاة او نحو ذلك . وكان يسألني ياقونة استثناساً كثيراً لكتابه ومشائخها بجهات وكما شاهدتها تذكر صاحبه حماداً وودّ من سليم فواده ان يجمعها بعد لعله يوفق الى من يجمعه بمحبته

ولما طال الانتظار واقتصرت اخبار جهان عنه ويش من وجودها استولت عليه السويدة ولم يدعه بري الحياة معنى وود لوانه يشغل نفسه بحرب اونكبة او مرض او يوت ويخلص من عذاب الشوق والقلق . ولا يجد سبيلاً الى الموت بغير الاتخار وهو بعده جيئ لا يرتكب غير الفسقاء اذا غلبوا على امرهم وشوركوا في عقوبهم . فترفع عن الاتخار وفي نفسه بقية امل في المثور على خبر جهان . وقد كسر عليه من الجهة الاخرى ان يموت ولا يتأثر بما يقع في حيرة وظهرت حيرته في وجهه فلم يكن يراه احد الا تبين في عيادة القلق رغم ما كان يحاوله من الكتم والفالطة ولا سيما بين يدي والدته لولا يهزها ولم تكن هي تخفى حالة عليها رغم ما كان يظهره من عدم المبالاة . وكان اذا سأله عن جهان واخبارها قال « انهم لم يقفوا على خير وقد اقتلت آخرين جهات اخرى » وينظر امله بالمثور عليها وهي توهمه انها صدق قولة وزيادة املاً يلقاها

ولم يكن له نعمة غير ورдан وقد أصبح على طول العشرة اقرب الناس الى ثقته وموضع امله . لكن اذا اخذته الحيرة او استولى عليه القلق شكا اليه حاله واستشاره في امره ووردان يتفق عنده . حتى « متحملاً مرّة يشكوا البقاء في الحياة وهو ينشي في حديقة التصر ووردان الى جانبها فقال له « ومثلك لا يأخذك الفسق الى هذا الحد يا مولا ي »

قال « لا نقل مولاي .. لاتك صديقي يا وردان .. ولذلك رأيتني انكوا اليك  
مهمي .. واكتشفتك بما في فحيري .. اني لا ارى منفي للحياة مع اليأس من القاء جهان »  
قال « لكل نفس اجملها لا يستطيع احد تأخيره ولا تقدره .. واصبر ان الله  
مع الصابرين »

قال « لقد مالت الاصطبار ولا ارى راحة بغير الموت .. ولكنني احتقر الانتحار  
واصحابه »

فأتبه وردان لرأي يوافق ما في نفسه منذ جاء العراق وبلام شرغاماً فقال « هل  
كرهت الحياة ؟ »

قال « كرهتها .. نعم كرهتها »

قال « بذلك يكره الحياة ويعجزه السبيل الى النجاة منها وهو من خاصة المعنثم وكبار  
قادة المسلمين والطرب قاتلة لا ينحدر سعيدها بينهم وبين جذورهم الفرس او الروم او العرب  
او غيرهم ؟ »

فأتبه شرغام لامر كان ينفي ان يتبه له من قبل وقال « صدقت ان الموت في ساحة  
الوغى يسوز الميل ولكن امير المؤمنين ضايفي بتقريبه فقد جعلني صاحبه وشمي من السفر  
فقال « اظنه لا ينبع بعد الآخر »

قال « وماذا ؟ »

قال لان الاخبار تتواتي باستعمال امر الخزامية في ارميها حتى شاق الاذلين ذرعاً  
عن باك وحده وله »

قال « من ابأك بذلك .. كدت احب الامر عكس ما تقول والخليفة لا يكتفي  
عنى شيئاً »

قال « ان الخليفة لا يكتفي عنك خيراً اعرفه ولا ذئب له في الخفاء ما لم يعرفه »

قال « هل تعرف شيئاً عن هذه الحرب لا يعرفه الخليفة ؟ »

شك وردان ذئنه وتأمّل سلطة بالمعال ثم قال « نعم يا سيدى .. لان الوزارة  
ورجال الخاتمة يرون من حسن السياسة كثيـان بعض الاخبار عن الخليفة »

قال « صدقت ولكنـي من الحـاسـة وـما يـباـغـيـ شـئـ ماـ تـشـيرـ اليـهـ »

قال « ولا اظهـهـ يـسـاغـكـ منـ سـوـاـيـ لـايـ سـمعـتـهـ منـ مصدرـ لـاتـلاقـةـ لهـ بـرـجـ البرـيدـ  
الـذـيـ يـحـمـلـونـ الـاخـبارـ الىـ الـظـبـاطـةـ »

فاستغرب ضرغام ذلك وقال « ماذا سمعت ؟ قل »

قال « سمعت أن بايك اخترمي بعد انتقال من اردبيل الى البد وأخذتها حصنًا له  
لضاعفت قوته »

فقطع ضرغام كلامه قائلاً « هذا سمعناه بالامس »

قال « وهل غرفت سبب استقوائه بعد أن كاد يعذب إلى الفرار ؟ »

قال « نعم ، إنه استقوى بن أضم إليه من الأقوام الآتين على المسلمين »

فيتهم وردان وقال « هذا هو السبب الفرعى ولعله يبلغ إلى الخليفة اليوم على يد  
صاحب البريد .. أما السبب الأصلى فهو غير ذلك »

قال « وما هو »

قال « أخبرني بعض القادةين من أرمينيا خبراً كدت انكره لولا تفتقى بالناقل ان  
بايك المشهور بالثك والانحسار بالسكر والفحشاء كالمعلم قد اخذ في الرجوع عن هذه  
الآذان وأصبح اذا جالس رجاله على مائدة الشراب لا يشرب معهم .. وإنما أقطع الى  
تدبر جنده واستجمام قوله واستهانه الناس على المسلمين ... أخبرني ذلك رجل  
يعرف دخائل البد .. وينسبون هذا التغير إلى أمرأة من اسراته ذات عقل وتدبر اسمها  
جلدار غابتة على رأيه وتصرفت في أموره »

فاطرق ضرغام لحظة وقد ساهه رجوع بايك عن زدائه لاته كان يرجو ان تكون  
عوناً لهم عليه .. وكان يذكر في ذلك وهو واقف بجانب شجرة من التفاح يتلاهى بضرب  
بعض أغوارها المتداينة بغيرزنة في يده ووردان واقت الى جايده .. وإذا بعض غلمان  
ال الخليفة جاء مسرعاً فلما رأه ضرغام علم أنه قادم من عند الخليفة يدعوه اليه فاجابه انه  
آن .. فرجع الغلام

فائف ضرغام الى وردان وقال « اظن الخليفة يدعوني للإطلاع على اخبار المطر »

قال « اذا اقترح مولاي ان يسير في هذه المطر فليأمر ان أكون في خدمته لاني

علم بأحوال تلك البلاد وطرقها فامي أقدر في شيء »

قال « حسناً » وتحول إلى المنزل ليس قاتسوه وسواده وذهب إلى دار الخاصية في قصر  
الخليفة فوسع له الحاجب وادخله بلا استثنان فلم يجد عند الخليفة إلا القاضي أحد ولكن  
فرأى في عيادة القلق والعصفوت فلما أقبل وحجا بشـ له الخليفة وامرـ بالجلوس فجلس متأدلاً  
يقـالـ له الخليفة .. اظنـ الصـاحـبـ قدـ مـلـ الـازـواـ،ـ فـيـ هـذـاـ الـقـصـرـ وـقـدـ شـايـقـاهـ بـهـذـاـ الـاـكـرامـ

وامساكه عما توق اليه نفسه من خوض المعام «  
فادرك ضراغم (الصاحب) ان الخليفة يهد له طلب السفر الى الحرب وانه لم يفعل ذلك الا وهو يرى الحاجة ماسة الى نجذبته فقال « ان البقاء بجوار امير المؤمنين نعمة وبركة ولكن الشرب بيده فرض مقدس وقد طلبا حدثت قصي ان الشس من امير المؤمنين  
ان يرمي الى الحرب القائمة في ارميبيا والاتهيب فإذا اذن لي وكان ذلك موافقا لرضاه فقد غرفني بفضله وانا في كل حال متبعه ورئيبي نعمته »

فاستحسن الخليفة مبادرته ونظر الى القاضي احمد فالفتح القاضي الى ضراغم وقال « ان امير المؤمنين شدين يك حربض على قربك كما تعلم ولكنني لحقلت منك في هذه الانباء اقباضا حسبته ناجحا عن هذا الاتجاح لعلمي ان القواد والشجعان لا يسرهم الا خوض المعام والظافر في الحرب ونحن الان في حرب بارميبيا وقد صيرنا على ذلك التزد لاعتصامه في حصونه فاشترط على امير المؤمنين ان يوجه بهك الى هناك فيما في العسر على يدك »  
قال « ابي على ما يريده امير المؤمنين وانا على اهبة السفر من هذا الساعة »

قال الخليفة « انت تعلم ان جند المسلمين في ارميبيا تحت قيادة الاثنين فهل يشق عليك ان تكون من قواده »

قال « لا يهمني ان اكون في هذا الجباد رئيسا او مرؤوسا وانا يهمني ان اكون سيفا من سيف امير المؤمنين الناظعة »

فهش له الخليفة وقال « بورك فيك .. وسابعك الى الاشرين ان يعرف قدر الصاحب دون سائر القواد » قال ذلك وأشار اشاره الصرف

فوقف ضراغم وقال « ياذن مولاي بالصرافي والشمس دعاء وبركته وارجو ان لا اعود اليه الا وقد ذبح البذ وقتل طاغيته »

فأقبسم له الخليفة فخرج بعد ان امر له الخليفة بالطلع والانعام راح ضراغم من تلك الساعة ان فلقه قد ذهب للدخوله في ما يشغله عن المواجه

وكان وردان في انتظاره يباب القصر فلما خرج وعلم بما تم له استاذن بالذهاب معه فقال « حسنا .. ولكنني كنت احب ان تبقي قريبا من والدتي هنا »

قال « لا يام عليها وهي في قصر الخليفة وبين يديها الخدم المولى »  
فوافقه وتفى الى والدته اخبرها ان الخليفة امر بذهاهبه الى الحرب فاظهرت استحسانها تثبيطا له وقالت « اطلب الى الله ان يبعدك ظافرا »

ثم تحول الى ياقوتة وجيهاها فلما علت انه تناه السفر دمعت هبناها فتشطها وقال  
 «ادعى لي بالثوفيق لعل الاقي حمادا في طربتي — لا تحسيني غاللا عن واجباتي»  
 قال ذلك وتنهى تنهى اخفي الاله تذكر مصيبةه بضياع حبيبته  
 فاجابه ياقوتة بدمعين ارسلهما على خديها وهي مطرقة لاتكلم فتركتها وخرج وامر  
 بوردن بالاستعداد للسفر وبعد ايام تاهب وودع والدته واوصها ياقوتة خيرا وسافر في  
 رقة من خاصة رجاله الفراغة كلام اشداء

---

## الفصل الخامس والخمسون

### عسكر الافشين

جرت بين جند المسلمين والغزيمة مواجهة كثيرة في اردبيل وغیرها واستقر الغزيمة  
 اخيراً في البد مدينة بايك وفي مدینة حصينة او قلعة كبيرة مؤلفة من قصور وقلاع حولها  
 سور ضخم له ابواب الكبيرة وعليه الابراج الكثيرة والطريق اليه وعبر بين الجبال والأودية  
 وكان جند المسلمين اولاً في اردبيل فلما فر بايك منها الى البد شهلاً اتفقا اثنو و بين البد  
 واردبيل عدة موانع جعلها المسلمين نقطة عسكرية تحيط لهم خط الرجوع وتشعّن الاتصال  
 مع سائر امقر الخليفة . فكانت الميرة القادمة من العراق اذا دخلت ارمينية ازلوها في اردبيل  
 ومن هناك ينقلونها تحت الحفري الى نقطة عسكرية اسمها حصن التهر وبعد خفرها الى  
 اردبيل ويتوالى خفارتها جدد آخر من حصن التهر الى ارشف وعكدا الى خش فبرزند الى  
 روز الروذ وهي آخر محطة قبل البد وينتها بضعة فراسخ

وكان الافشين قد كان الكوهانية وهم اصحاب الاخبار ويشهرون قلم الاخبارات في  
 جنود هذه الايام ان يختاروا محلاً يسكن فيه وان يكون حصيناً . فاختاروا في روز الروذ ثلاثة  
 اجل عليها اقاض اينية قديمة فقام عسكره عليها وسد الطريق المؤصلة اليها وبين البد  
 بالاجمار الفحشة حتى صارت كالمحصون ثم حفر خندقاً وراء الحجارة عند كل طريق الا  
 طريق واحداً يخرج منه رجاله اذا اراد المجموع — بذلك في هذا العمل جيداً شديداً  
 فكانت الرجال تنقل الحجارة وتغير المذاق والمساكن تحرسها ليلاً ونهاراً  
 وكان بين روز الروذ والبد واد بين آكام وعرة قعيبي رجاله وعهد كل فرقه منهم الى

فالمدن قواه وهم ثلاثة جعفر الخلياط وابو سعيد واحمد بن اخليل اقامهم في خطوات ينبعها وبين البد قبل الوادي الفاصل بينها . فاصبح معسكر الاشرين كبيراً جداً اذا اراد التهوض او المسير به جعل علامته خرب الطبول بعد المسافات واحتساب الفرق بعضاً عن بعض بالجبال والاوادية . فاذا سار خرب الطبول واذا وقف امسك عن خربها . فيتفق الناس جميعاً او يسيرون جميعاً في مصافهم وعلى ترتيبهم وكان للاثنين مجلس على اكثه يشرف منه على البد ويري قصر بابك وغيره من قصور المدينة وكان بابك كثير الاعقاد في حروبه على الكناء فكان يرسل طوائف من رجاله يكتون في الاودية ووراء التلال ليهاجموا جند المسلمين ويندرروا بهم . وكان الاشرين كبير الاهتمام بذلك فيرسل الجوايس او الكوهباتية للبحث عن الكنين

ففي ذلك الحصار مدة طويلة وهو يشغل الغربة فیأمر قواه المشار اليهم بقطع كل منهم الودي الى الجانب الآخر بازاء البد في كردوس من رجاله فيتفق كل منهم بكردوسه هناك وبابك يخرج فرقة من جنده تحمي باب السور وينبع الاعداء منه . فاذا انقضى النهار امر الاشرين رجاله بالعود الى معسكر الاصلي وراء اخندق فيرجع اولاً الى قريتهم من البد ثم الابعد فالابعد حتى يدخلوا اخندق ويبتلون هناك . وكان اذرمية يتضائقون من هذه المطاردة فزموا على الفتنه فراقوا وارجعوا كراديis الاشرين من جانب الودي ذات يوم كالمادة حق لم يبق منهم الا جعفر الخلياط بكردوسه فخرجوا عليه وارتقت الشجرة فرجع جعفر بنفسه ورد اذرمية الى باب البد ووقفت الفجوة بالعسكر حق بلنت الاشرين فرجع فرأى جعفرَاً واصحابه يقاتلون فاشتق عليه وخاف ان يفسد عليه تدبيره

اما جعفر فإنه نجدة من المنطوعة وهي فرقة تنصر المغاربين رغبة في الثنائي والسي فالشتد ازره وهم جموا على السور وتعلقا به وكادوا يصدونه ويدخلون المدينة وبعث جعفر يستد الاشرين بخمسين راجل وبرمه بدخول البد حالاً . فبعث اليه الاشرين يقول له « انك افسدت علي تدبيري فخالص قليلاً قليلاً وخاص اصحابك وانصرف » ثم تحركت كمنابع بابك فاضطر جعفر الى الرجوع وهو يأسف لضياع القرصة وتفى المنطوعة بعد ذلك اياماً حتى قات علوتهم وزادهم وهم يتذمرون ويقولون لو تركنا الاشرين لدخلنا البد . وضيق سائر الجندي بطلابون الحرب وهو يخشى الفشل . او لمله كان يطأول رغبة في سمع المثال . لأن المعمم كان قد جعل له على كل يوم برك فيه عشرة

آلاف درهم وكل يوم لا يركب فيه خمسة الآف درهم سوى الأتزال والمؤونة<sup>(١)</sup> فيجتمع  
من ذلك مالاً كثيراً كان يصله إلى اشتراؤه

## الفصل الثاني والخمسون

سامان

وافتقد وهو جالس ذات يوم في نسطواهه بالجلس الذي يطالع منه على اليد أن وقع  
نظره على جماعة من رجاله يقودون رجلاً يظهر من قيادته عن بعد أنه من أهل اليد وما عاتم  
أن وصلوا به إليه حتى عرف انهم يقودون سامان أخا جهان ثنا وقع بصره عليه أحذل  
ولكنه توقيع أن يتضاعف منه بشيء فصاح الرجال أن يتركوه فتركوه . فتقدم سامان وهو  
سطاطيله الرأس حتى دنوا من مسرير الاثنين فجأة فامر الاثنين ان يقف وبش له وقال  
« ما وراءك يا سامان من ابن اتيت ؟ »

قال « من اليد يا ميدي »

فلا سمع قوله تومس منه خيراً فأشار إليه أن يتعد فقد وتأدب في مقعده فابتدره  
قال « ما الذي ادخلتك هذه المدينة ؟ »  
فهز رأسه وقال « اتيت إليها في خدمة مولاي الاثنين »

قال « وكيف ذلك ؟ »

قال « مازلت منذ تشرفت بليقها مولاي في سامراً وأنا ابحث عن جهان عملاً بأمره  
حتى علت أنها عند بابك .. . . . .  
قد علش الاثنين لقوله فصاح به « جهان هنا الآن .. هنا في اليد »

قال « نعم يا سيدي »

قال « وما الذي جاء بهما إلى هذا البلد البعيد ؟ »

قال « أخبرتك يا مولاي إن الأصوص خططوا لها في بقرب هضبان فما زلت أجد في  
البحث حتى علت أن بابك هذا هو الذي يبحث في اختطافها لأنه سمع ببعض الماء وكان قد  
خططها من والذي قطعها منها . وكأنه أقام الكتابة يترقبون خروجها حتى تتمكن من غرضه »

قال «وبعدئذ؟ الا نزال هنا؟»

قال «ان امر اخي هذا يغيرني .. انها لا تستقر على حال فيمد ان رفعت النعمة التي عرضها عليها صاحب اشرفونه رضيت ببعض رجاله .. والآن اراها قد رضيت بياحك واصيحت اعز زائد اليه تستهلك في فصرته . وكم نصحت لها ان ترجع عن غيها وحرفتها على الجبي .. الى الاشرين لانه ولن فحتما فأبت لما رايها مثبطة بعنادها تركتها وبيت اليك »

قال «بورك فيك ولكن بلغني من بعض الجلواسين ان اعز زاء يايك اليه امرأة اسمها جلنار يقولون انها قوية العقل حسنة التدبیر وانها اعنده وشدت ازره كثيراً»

قال «هي جهان نفسها يا سيدى وقد غيرت اسماها تموي .. وواعدت صديقها الجدید ان تصرفه على جند المسلمين فهي تختلف في فصرته ولو لاها لتفوي عليه من

زمن مدید»

وكان الاشرين يعلم خبـث طـولية سـامـان ولـكـنه سـایـرـه رـغـبةـ في استـعـانـهـ عـلـىـ اـمـرـ لاـ يـنـفـعـهـ فـيـهـ غـيرـ اـنـطـبـاهـ وـلـمـ يـنـتـهـ اـنـ سـامـانـ يـكـرـهـ وـلـوـ اـسـتـطـاعـ قـتـلـهـ قـتـلـهـ فـعـدـ الـىـ مـدـاجـانـهـ فـيـزـ رـأـسـهـ وـحـكـ ذـقـهـ وـاصـلـحـ فـالـسـوـتـهـ وـهـوـ يـخـرـكـ فـيـ مـقـدـهـ وـقـالـ «ـبـشـ ماـ كـانـتـاـ بـهـ هـذـهـ الـنـاةـ عـلـىـ اـحـسـانـاـ فـقـدـ اـنـفـسـنـاـ فـيـ مـصـلـحـتـهـ فـكـافـاـتـاـ بـالـعـقـوقـ .. وـلـكـ ذـلـكـ مـنـ اـسـابـ سـعـدـكـ .. وـلـعـ رـيـقـهـ يـظـاـرـ اـنـ يـنـوـيـ لـهـ خـيـرـاـ صـيـصـرـحـ لـهـ بـهـ بـعـدـئـذـ وـعـادـ فـاسـأـفـ الـكـلـامـ فـائـلـاـ» اـلـمـ يـعـلمـ خـرـغـامـ بـوـجـودـ جـهـانـ هـنـاـ؟ـ»

قال «كـلاـ وـلـاـ هيـ تـعـلمـ بـوـجـودـ جـهـانـ حـيـاـ»

فـلـمـ يـقـدـقـ قـوـلـهـ قـالـ «ـوـكـيـفـ ذـلـكـ وـضـرـغـامـ لـمـ يـنـخـرـ وـسـماـ فيـ الـبـحـثـ عـنـهـ»

قال قد ساعدني على ذلك تغيير الاسماء .. كـنـ عـلـىـ يـقـيـنـ اـنـهاـ تـعـتـقـدـ ماـ قـاتـهـ لهاـ عـنـهـ انهـ قـتـلـ وـهـوـ لـاـ بـرـازـ يـعـتـقـدـ اـنـهاـ خـطـفـتـ الـىـ مـكـانـ مـبـوـلـ .. فـعلـتـ ذـلـكـ خـدـمـةـ لمـولاـيـ الاـشـرـينـ رـغـمـ مـاـ قـاتـهـ مـنـ اـعـراـضـهـ وـحـرـمـانيـ «ـقـالـ ذـلـكـ وـنـتـارـ اـلـاـشـرـينـ وـعـيـنـاءـ تـرـقـصـانـ فـضـلـاـ عـاـفـيـهاـ مـنـ الـحـولـ الـكـبـيرـ»

قال «قد عـلـتـ الـآنـ صـدـقـ خـدـمـتكـ وـاـذـ بـرـهـتـ لـيـ ذـلـكـ باـتـ اـمـ هـذـهـ المـهـمـةـ تـأـكـدـ بـهـاـجـكـ»

قال «أـنـيـ رـهـنـ الاـشـارةـ سـلـ ماـ نـشـاءـ فـاـذـلـ نـقـيـ فـيـ خـدـمـتكـ»

قال «ـتـقـولـ اـنـكـ كـنـتـ فـيـ الـبـذـ فـاـ الـذـيـ تـعـرـفـهـ عـنـ اـهـلـهـ وـحـصـونـهـ وـرـجـالـهـ»

قال «ـاـنـ الـمـدـيـنـةـ مـيـنـعـةـ كـاـتـرـىـ وـفـيـهـ الـجـنـدـ وـالـاسـلـاحـ وـالـاظـرـيـةـ مـتـضـامـنـونـ فـيـ اـمـواـلمـ

والتسميم ينفاثون في خدمة زبائهم ولكنني ارجو ان ينبلوا على امر « قال « إذا ترجو ذلك »

قال « ارجوه ما أعلم من داخلية هذا البلد .. اعرف ان فيها من الامري المسلمين وغيرهم عدداً كبيراً منهم ٦٠٠ و٧٠ من النساء والاطفال ولا ينبع على مولاي ما عرف به بايك من الشك حق قدرها الذين فاتهم حق الان يغدو ٢٥٥،.. نفس قرى الناس قد مروا سعادته حق المقيمين في بلده وانا نكون عشرون رجالاً منكم انت يدخلوا المدينة ويرام الناس فأهل المدينة جميعاً يسلون »

قال « ما رأيك في الجهة التي نهاجم البلد منها حق نفحن الدخول اليها »  
توقف سامان وأشار يده الى جبل في طرف البلد وقال « من هنا ياسيدي .. أرأيت هذا الجبل فان بايك يقيم الكناه في سفحه عليه ان العدوا اذا تجاوزه هان عليه دخول المدينة فاذَا احتلال مولاي في الانيان من ورائه ظفر »  
نصر الاثنين من قدم سامان وهم ان يستزدده ایضاً فاذَا بال حاجب دخل وهو يقول « ان بريدي امير المؤمنين بالباب »  
قال « يدخل »

### الفصل الثالث والخمسون

البريدي

لتدخل البريدي وعلى وجهه امارات السفر والتعب وعلى صدره الصفحة التحاسية التي يعلقها سعاة البريد على علامه خاصة فلا دخل حيا ووقف فناداء الاثنين « تقدم .. ما وراءك »

تتقدم البريدي ودفع اليه لفافة حريرية عليها ختم الخلافة فتناولها وقبلاً ثم فضَّ اقتم فاذَا داخلها انبوبة من فضة مختومة قبها وفتحها فاخرج منها كاغداً ملتفوفاً نسراً وأخذ يقرأه سامان يراعي حركاته وملائمه فرأى في وجهه تغيراً فتجاهل حق اذا فرغ من تلاوه اشار الى البريدي بالانصراف فانصرف والتقت الاثنين الى سامان وهو يتسم لبريزده ایضاً وغبة في خدنته وكان سامان لا يزال واقفاً فامر برجلوس

وقال « أتلم فحوى هذا الكتاب؟ » قال « من أين لي أن أكون نبياً أعلم الغيب؟ » قال « إنك كتاب المعتصم يستحقني فيه على الثبات وبخربني أنه أرسل إلى نجدة بقيادة صاحبه ضر قام »

فأظهر سامان الاستغراب وقال « الملا صاحب اشروسنة في حاجة إلى هذه النجدة وهو الملك والقائد وجئه قد ملا السهل والجبل »

قال « كلاماً .. وامي المؤمنين يعلم ذلك .. ولكنني أخاف أن يكون الرجل قدماً لغير الحرب .. أخشى أن يكون قد عرف بجهان .. وهب أنه علم أو لم يعلم بجهان لا يمسها أحد سواي أن لم يكن حباً بها أو افتاتاً بعيمها فانتقاماً من كبرياتها ووقاحتها أني لا أني جسارتها ذلك اليوم في فرغاته »

قال « أما ضر غلام فلاشك عندي أنه لم يعلم بوجود اختي هنا بل هو لا يعتقد أنها في قيد الحياة .. ونظراؤه الكفاه بها فربما كرم الحياة بمدتها واتى إلى ساحة القتال رغبة في الموت فاني أرى في الناس جنوتاً لم يجربه .. أراهم إذا أحب أحدهم الآخر فعل فعل الجبان حتى يعرض حياته للخطر من أجله وإذا أصاب أحدهما الموت أراد الآخر أن يتبعه .. أني لا أفهم ذلك »

فضحك يا إثنين حتى بانت نواجهه وقال « إن كان قد جاء يطلب الموت فاعمل به ومرجباً .. له علينا ذلك حباً وكراهة .. أما استغراك ما تراه من تقافز العجائب فانت معدور به لأنك أبزود لا تشعر مثل شعورهم » ثم أطرق هنريه وقال « إذا هبستنا غداً على البلد ودخلناه فإن تكون أختك؟ »

فوقف سامان والتقت إلى البد واشار يده وهو يقول « أرأيت هذا القصر القديم عند الباب الشرقي؟ هذا هو قصر النساء وفيه ثقيم جهان .. ومن أراد الوصول إليه حالاً فليأنه من ذلك الباب » ثم أشار يده إلى قصر في جهة الغرب وقال « وهذا القصر عند الباب الشرقي هو قصر يابك نفسه إنه أمنع القصور ولا يجاوره أحد إلا قليل ما يدركه » ففهم الأثنين غرضه وتحرك من مقعده و هي اشارة الصرف فتحول سامان وطلب الانصراف فقال له الأثنين « أنت غبت هنا ولا تخرج من هذا المسرك إلا عند الحاجة لاستأنس ياك »

فهم سامان قصده فقال « أحب أن أكون أميرًا عندك حتى تتحقق صدق خديجي لكنني أقدم إليك أن تبقى خيري مكتوماً عن ضر غلام وغيره والاً قد تدببرنا »

فأشار الأشين برأسه ان «نعم» ثم نادى غلامه وامر ان يكرم سامان ويختطف به  
نخرج سامان من حضرته وقد سرّ واستبشر — سرّ ان الأشين احسن لقياه ووعده  
بإرث ايه اتفاقاً من اخته . واستبشر بقرب الاتقان من اخه حتى جاء ضراغم فيدربر له  
ميكلة يقتله فيها . ونبي انه كان ثالثاً على الانشين وقد استعن بضراغم عليه . وان اخه  
صاحب الفضل الاكبر عليه . ولكنك كان يجري في اعماله على هوى نفسه بلا قاعدة قائم  
يغض الانشين اولاً لانه تهدى حدوده في الوصاية او لانه اراد السوة باخته . وانه اذ فتح  
لأنه حرمه من الارث . ولم يحب ضراغماً لشهاته وارجحته او قرائبه وانما ظهر حبه له  
ليستعين به في نيل مسامه . ثم انه لم يتقلب هذا الاتصالب في الحالين الارغبة في مصلحة  
نفسه قائم يكن له قلب يحب ولا نفس تشر ولا وجه يتججل تحولات جوارحه الى  
محب واحد هو حب المال وزاده حماً فيه يأسه من احرام الناس له لسيجايه او مناقبه  
فأراد ان يكتسب احترامهم بالمال ظناً منه انه متى سار غنياً احترموه واجروا قدره . ولا  
لشه كأن يلتتس خيراً لأن من كان يهمه ان بعية الناس لا يركب دينه يكرهونها  
سامان لم يكن يرجو حب الناس له وانما كان يطلب احترامهم الظاهر ولو لمزوه  
في قلوبهم . ويطلب الرفعة والثروة ليتعين بهما على التشفى والانتقام فن كان هذا داءه  
كان عدواً لا يشربة وامثاله كثيرون ولكنهم لا يظلون

## الفصل الرابع والخمسون

### الصاحب

لما خلا الأشين ب نفسه بعد خروج سامان اعمل فكره مليأً في ما سمعه منه فرأى  
بلام مصلحته وما همه ان كان سامان يفعل ذلك حباً به او خوفاً منه او طمعاً  
بالوصية . وراجح ما سمعه عن جهان وذكر جهانها وكثيراً ما فسره أنه ظافر بها ولاشك  
عنه أنها متى وقعت بيده هذه المرة رضيت به . فاعتراض فكره هذا ضراغم لأن حيده له  
كان سبب فشله تمرة الاولى فاصبح هو القيبة الوحيدة في طريقه . وتدبر ما الغز به  
سامان من حيث الواقع بضراغم فعل نفسه بذلك وزاد رغبة في قتله بالحيلة وهو هبن عليه  
فهي الانشين اياماً في مثل ذلك حتى جاءه صاحب الخبر يقدمه الصاحب مع رجاله .

وفي صباح اليوم التالي جاء شرعام فلقاء الاشرين واخبار الترحيب به واثني على رفيعه في نصرة الدولة . فاجابهُ الصاحب شاكرًا ولحظ الاشرين في وجهه تغيراً من الانقباض على اثر يأسه من جهان وريا ادرك الاشرين ذلك لكنه تجاهل وجعل يبالغ في اطراء بسالته وعلوهته فقال شرعام « لا فضل لنا في خدمة الدولة ونصرة الدين الحبيب »

قال « صدقت وقد جئت في ابان الحاجة اليك فاني لا ارى بين قوادي من يرکن اليه في المهاطلات نظيرك وقد خبرتك وعلمك شجاعتك وصبرك »

قال شرعام « كنت قد استطعت الحرب واستطعّلت الفتح فلما عاينت هذه المضون ووعورة هذه الارض رأيت الاشرين قد اتي ما تغيز عنه الابطال . وانا عالم ان معيشي لا يزيد شيئاً في معداته ولا يهون عليه تحكمكني ملايين الاقامة واحببت ان يكون لي في هذه الحرب نصيب . وقد عاهدت نفسي ان اتصدى لاشد الواقع خطراراً .. فارم بي حيئاً شئت »

تفقق الاشرين ما ذكره من يامن شرعام واحب تغيير الحديث ربطاً بدير له ملكاً فقال « بوريك فيك . وما ياخون في مجلدة للحرب الا بعد ان تستريح من عناء السفر » اخبرني عن اهل سارواً كيف هم وكيف امير المؤمنين »

قال كاهم في قلق من امر يابيك هذا ولكنهم يشنون على ثبات الاشرين وتدبره . وقد آتست من الخليفة رغبة في القراء من هذه الحرب فجئت لالقي نفسى في اقرب السبل لهذا التعجيل ولو كان فيه موتي فاني اتعجل الشهادة .. قال ذلك وابرقت عيناه بريقاً حاداً فرأى الاشرين من خلاله حدبياً طويلاً فقال « غداً تنظر في ذلك واما الان فما خرج بما ظلمك على مسكننا وموقع القواد ونظام الخنادق والمحصون والملامن » قال ذلك منهض وامر ان تهياً الافراس

فنهض شرعام وهو يقول « قد رأيت بعض هذه المعماقل فعلت ان مولانا الاشرين قد اني في تطليمه بالمعجزات »

ومشي الرجالان وبين ايديها الخدم حق ركبها وقضيا بقية ذلك اليوم في التبول بين المضون والاسنادات . فرأى شرعام جندًا كبيراً وتدبره حسناً وسره اهتمام الاشرين في اطلاعه على ذلك من تلقاء نفسه فقال له « ان مثل هذا الجند لا يبني ان يصبر على قطع هذا البلد طويلاً »

قال « غداً اقص عليك سبب الابطال »

واذرقوا . فذهب شرعام الى فسيطاطير وكان وردان في انتظاره وقد اصحابا صديقين

حيدين . وسرغام ينظر الى وردن نظره الى صديق مخلص ووردن كذلك لكنه ما زال يخاطب سرغام باحترام ووقار ولا سيما امام الناس . فلما اجتمعوا قصص سرغام ما فيه عدد الاشرين الى ان قال « وقد وعدني الاشرين ان يساع بالفتح وألحث عليه ان يرمي لي في انظر الواقع فإذا لم ارجع فانت مكافف مند الان ان توب عني برعایة والدقی المکینة » قال ذلك واختنق صوته فتحتمن حق ينفي اختناقه وعاد الى اقام الكلام فقال « وانت تعلم قلب والدقی وما قاصته في تحبی ..... وبالوتة احتفظ بها ربنا ين الله علیها برجوع خطيبها اذنك تعرفه ..... واما جهان فإذا كانت لا تزال في قيد الحياة ولقيتها بعد موئي قبلها ماتعنه من وجدي ..... »

قططع وردن الحديث وقال « لا توصي فاني لست بائي بعدهك وما محبتك في هذه المهمة الا لا تكون في خدمتك حجا سرت »

قال « نعم ولكن ما تكون خدمتك لي يوم التي ينفي الى القتل وانا افضل ذلك فرارا من بقاء هو اقل على قلبي من العدم وانت لا باعث لك على هذا الیأس » فتنهد وردن واطرق وارسل دعمنين لمعطرنا من ما فيه وكأنه خجل من ذلك الضغف لرفع بصره وقال « ان نصيبي من الیأس كبير جدا ولو عله لطلب انت اميرنا اميرك وإذا يثبت حجا قصمتها عليك ..... وفي كل حال ارجو ان لا تزاجي في النهاب بين يديك حجا مرت وان يكون مضيري مثل مصيرك »

فانجذب سرغام باريجيتد ولم يستغرب تعريضه بسبب يأسه قاله كان قد شعر بيسي من ذلك ولم يشا ان يستطلعه اياه الا اذا هم هو نفسه انت يكاشفه به فقال « لك ما ترید يا وردن وغدا نرى ما اعدنا لنا الاشرين من المهام »

اما الاشرين فقضى تلك الليلة مع سامان يدرجن المکينة . وفي صباح اليوم التالي الى سرغام الى الاشرين ومعه وردن فدخل سرغام الى النسطاط والاشرين وحدهم فيه فرحة يدر فسألهم سرغام عن دبره فقال « لا ازال اوري الصبر على الحصار بفرحة اخرى »

فاجفل سرغام لهذا التغيير وساه تأجيل الموت فقال « ولماذا »

قال « لأنني ارى في هجومنا اليوم خطرا كبيرا ..... فقد ثفت البارحة وانا اقدر وابيس والرض التعبية على كيادات مختلفة لم اوقع الى تعبية تخمين لنا النصر »

قال « هل تخبرني بما تخافه على جدتنا العمل لي فيه خيرا ؟ »

فنهض الاشرين ومشي حتى وقف يباب النسطاط وسرغام بال والله واطل عن ذلك

باب على البد وحصونها فقال «رأيت ذه المدينة أنها امتع من عقاب الجو ولا سجا من جهة الغرب حيث ترى ذلك القصر الفخم فاته قصر يابك الذي يقيم فيه فإذا وصلنا باب سور الذي يليه أخذنا المدينة» قال «وما الذي يمنعنا من اخذه»

قال «الا ترى هذا التل الشامق المشرف على المدينة من غربها .. لا سبيل اليه الا من ورائه والطريق هناك وعر لا يسلكه الجندي الكبير ولا يمسك الجندي التليل على سلوكه لما يلقاه من نبال اظرمية وجماجمهم عن الاسوار وبابك كثير الاعقاد على الكناء فخاف ان يكون له كين او غير كين وراء ذلك التل او في واديه»

فقال خير فام «انا اذهب في طريق ذلك التل مع رجالى الفراقة»

قال « اذا فعلت ذلك عييت اما سائر الجندي حول الاسوار من سائر جهاتها والفتح مفهون لنا يا زن الله»

فقال خير فام «ومتي يكون المجرم»

قال «متى شئت»

قال «اليلا .. دعوني ادام القوم ليلاً فاما اصبح الصباح وانا داخل البد حياً اهمموا انتم على سائر المدينة فيكون فتحها امراً متفقاً»

قال الاثنين «بل ارى ان اتهما جميعاً لله يوم ليلاً» وذلك ان تذهب انت برجالك من وراء التل وتمكث تجاه المدينة حتى ترى ناراً او قدراها ها بعد نصف الليل وعلمتها انها مثلثة اي تكون ثلاثة نيران معاذية اذا رأيتها علمت ان الجندي كلهم مهاجم المدينة من سائر جهاتها فاصبحت انت برجالك من تلك الجهة .. ولكن لا يخفى عليك يا ولدي انك في اشد الواقع خطراً»

قال «لا ابالي بالخطر .. انا ذاهب الان لامي» رجالى وارجو ان تلتقي جميعاً في قصر يابك غداً» قال ذلك وضحك ضعكه مختصة كشر فيها عن اسنانه كما يකسر الاسد اذا هم بالوثوب .. وكان النسب واليام قد زادا وجهه هيبة وقوة فازداد شاربه وقوتها واحجاجه خشونة وعيناه بريقاً وحدة حتى تهيب الاثنين النظر اليه والتفرس في عينيه فقال له «لو كان لنا عشرة مثلث القتنا البد من زمن بعيد» اراد بذلك ان يبينه في عزمه وهو على يقين انه لا يستطيع تجاوز التل الى سور لا يحيط به يابك هناك من آلات الدفاع المطردة فضلاً عن الكناء .. واغرب من ذلك ان خير فاما ودع الاثنين ليذهب وبهيا

لارجم وهو لا يعرف شيئاً عن الطريق ولم يسأل عنه . وخرج الاثنين لانه لم يأساه عن الطريق لان جهله يوّك فشله تحول ضراغم عن باب النساعط وهو يقول للاثنين « غداً نلتقي هناك » وأشار يده الى قصر باشك والاثنين يهش له حق اذا توارى عن الخيمة لقيه وردان فاشاه وهو يقول له « ما الذي تم الاقرار عليه ؟ » قال « الليلة هاجم اليذ وأنخذنه » قال « من أين ؟ »

قال « نأتيه انا والفراغنة من وراء ذلك التل حتى ندخل من الباب الفري ويجانبه قصر باشك فتكون اول من دخله او ثموت تحت الاسوار .. وهو المطلوب » فلما ممع وردان قوله وقف والتفت اليه وقال « هل تعرف الطريق الى ذلك التل ؟ » قال « لا .. لا اعرفه .. ولكن .. » قال « ولكن ماذا .. انه طريق طويل يبني لصالكه ان يسير من وراء التل مسافة عدة ساعات حتى يأتي الى سفحه خباء السور » فاتته ضراغم لسرعه وقال « وهل تعرف الطريق انت ياوردان ؟ » قال « نعم اعرفه »

قال « قات دلينا بل انت قائدنا هلم يها الى رجالنا ليتوأوا من الآن فتقتل بهم اسييل هذا الهمار بالطريق الذي تعلمته حتى يصل في العشاء الى تجاه المدينة » قال « حسناً » ومشيا وكلامها ساكت يربان ااطغر الذي يهددها واليأس يعندهما عنه .. حتى وصلا ممسك الفراغنة وهو قليلون لا يتتجاوز عددهم بضع مئات لكنهم اشداء منتخبون يستهلكون في طاعة ضراغم ولو قال لهم التوا افسكم في النار لتباقوا اليها اما الاثنين بعد خروج ضراغم من عندهم جاء سامان فقص عليه ما فعله وقال « الكمالية عندك يا سامان »

فقال « سمعاً وطاعة » وخرج ، وامر الاثنين جنده بالتعيبة للمخوم في ذلك الميل ليأخذوا القوم على غرة وجعل فرقه هاجم المدينة من جهة الباب المؤدي الى قصر النساء الذي تقيم فيه جهان او جلalar حتى اذا فتح البلد ودخل الناس التهب . قبض هو على قصر النساء وسلم جهان الى من يحافظ بها ثم يلتقت الى قيادة الجند

## الفصل الخامس والخمسون

### الثل

اما شر غام فلما سرّا رجاله لامسوا مني لهم ووردان دليهم وداروا حول الثل حتى وصلوا الى مكان فيه يشرف على البد من جهة الغرب فكثروا هناك وقد مضى المشاه واظلمت الدنيا فاصهم شر غام ان يتربصوا وعم على اهبة المجموع وانفرد بوردان على اكة ونظرها الى البد فرأيا فيه انواراً متفرقة كما يطال التقادم على بلد في الليل من بيده فانه لا يرى الا انواراً ويندران يتبيّن شيئاً من ابنيتها او قلاعها . وعام شر غام ان وردان يعرف البد فاخذ يسألة عن مواقع تلك الانوار فقال « ان اقرب هذه الانوار الى السور واكثرها شمسة انوار قصر باشك وهو الذي ستفتحه او تقتل تحته وترى انواراً بعيدة في الجانب الآخر من البد فهناك قصر النساء ولا اذنك تحمل استثناء « هنا الرجل من النساء وال Females في الازلات »

قال « كلام » وقد اخبرني بالتغيير الذي اصابه من عهد غير بعيد وان سبب ذلك التغير امرأة من نسائه ذات عقل وتدبر . كم شبهي ان تكون تلك للراة عاقلة !

قال « اتها عاقلة ولذلك يقال اتها غالبة على رأيه لا يفتعل امرأا الا يمشورها »

فتهجد شر غام وباع ريقه وقال « ماتنا ولذلك الا ان دعنا نظر في الطريق الذي مستخدمنه في المجموع . ما الذي يحول بيننا وبين المدينة الا ان »

قال « يبتنا وبينها واد »

قال « وكيف تقطعه »

قال « تقطعه من مكان كالجسر فوق ومق صرنا في الجانب الآخر كنا قريين من السور فنجتمع عليه ونسلكه . ولا اذنا نجد عليه حامية لأن المخرمية لا يخطر لم ان عدوهم يأتهم من هذا الطريق الوعر او يجرس على التزول من هنا »

قال « هلم بنا ننزل »

قال « نمول يا مولي حق عطش القلوب ويرجع الناس ولا يحسن بما المسير الا بعد لصف الليل وبعد ان رأى الشار التي سيودها الاشبين »

قال « حسناً » وتحول الى رجاله واوصاهم بالسكنون والتربص في اماكنهم

وان لا يوقدوا ناراً ولا ينحر جروا صوتاً حتى يأمرهم بالتقدم ثم تركهم وأشار الى ورдан فلاحقه فلما خلا به قال له « تعال تجسس الممر الذي قات عنه لنرى هل هو سالم او لمل في عقبة »

فاستحسن وردان وأبيه وعجيب لسره على جنده ومشيا مدة طوولة في ارض صحراوية كثيرة الحجارة يتلمس الماشي ارضها تلمساً وكان الظلام غلياناً لا يرى الرجل الا ما بين يديه وقد ساد السكون لا يسمع في ذلك المدورة حفيض شجر ولا خثر ماء او تباق ضفادع لكنه قد يسمع كشيش تبيان يتساب بين الصخور اور فرففة ناعق يحاذق في الجلو « فلاماشي شر قام ورقيقة كان لوقع اقدامها صوت يذلا الجهد في اخفائه ثلاثة عن مكانهما مشيا ساعة في مثل ذلك حتى اقتربا من الوادي ورأيا فوقه شبه جسر من الصخور ير على الاثنان والثلاثة ممأواً فقال ضر قام « تحدثني فضي ان اسير توآ الى السور فاسعد عليه والثاس في غفلة ومتى صرت داخل السور يشتد ازر المسلمين بي فيكون هبوهم ادعى الى الفخر »

فقال « اخاف عليك كيناً او بخباً والا احسن ان انود معاؤ او اعود اذا وحدني وانتدعي الرجال وتعاون على العمل »

قال « اذهب انت وائزكني هنا حتى تعود اليهم »

فقال « احضر يا مولايا .. وادا رأيت داعيَا ناد وردان وادا مكثت ولم تحرك ساكناً لا لاخوف عليك »

قال « اني ماكث هنا حتى تعودوا »

فقول وردان صاعدآ نحو الغراغنة وظل ضر قام وحده . فلما خلا بنفسه نظر نحو السور فوجده على نحو مئتي خطوة منه فلم تطابعه نسخه على الانتظار في مكان واحد فرأى ان يتشاهد عليه حتى يصل الى السور ثم يعود فش وهو لا يعرف الطريق واما جعل وجهه السور . وكان ينقل قدميه وهو يجاذر ان يسمع وقعاها ويرفع السيف يده ثلاثة يلطم جبراً فيخرج صوتاً . ولما دنا من السور وجده عالياً وعليه الابراج ولكن لم يسمع صوتاً ولا رأى نوراً الا في برج كبير فوق الباب رأى فيه ضوءاً ضعيفاً . ولم يسمع الا صهيلات بعيداً كأنه آت من داخل المدينة

حتى اذا صار على مقربة من السور معن حركة فوق يده على قبة حسامه وما شعر الا وعشرات من الرجال خرجوا من وراء الصخور بين يديه ومن خلفه وبابدهم السيف

مشرعاً كأنهم كانوا ينتظرون قدومه فتحقق انه كمرين خرج عليه فاستل حمامه وصال ثيлем  
صيه: اجهلتهم ووئب وئب الاسد يشرب ذات اليدين ذات اليسار ضرب رجل شديد  
الباس قوي القلب يطلب الموت وكأنوا يثرون من امامه فرار الظباء من الاسد وهو يبعهم  
ولا يدرى مانصبوه له اذا دري الا وهو يهوي في حفرة فانقلب وقطع السيف من يده وقد  
شدت الجبال حول قدميه وكتنه واخذوا في استغراقه من الحفرة . وأذا هو يسمع جلبة  
ورقة ودببة صوت وردان ينادي ليك يا سيدى . فخول الكفين نحو الصوت وتركتها  
عند ضراغم من يقفره . وعلم ضراغم ان رجاله اتوا لاقاذه ولا يزالون بعيدين فرأى زائر الاسد  
ونادى « ورдан اقطع هذه الجبال »

فما كان الا كامح البصر حق وصل وردان اليه وقطع الجبال . فلما افلت ضراغم  
تناول سيفه وصال بالخرمية ورجاله وتقل اكترهم وفر الباقيون ولم تمض ساعة حتى خلت  
تلك الساحمة لهم فصال ضراغم في رجاله هلم الى السور « وما ألم كلامه حق سمع صوتاً  
هائلاً كأنه دببة جيل يتدرج اذا يوردان يقول « تتح يا سيدى انهم دخرون  
ثيارات من اعلى الجبل عليها صخور كبار <sup>(١)</sup> لا تثبت ان تصل علينا ولا تقيد الشجاعة  
في دفعها »

فتحي ضراغم وتدكأت ذراًءه من كثرة الضرب والطعن ولو لم يتبه الى التسحي  
من طريق المجالات لقتل تحت واحدة منها اذ لم يعش پسرحق وصلت كالبيل الطراف  
او كالترجم المتساقطة او هي كجمعود صخر حفنه السيل من على  
ولما استقرت تلك المجالات في آخر انحدارها جاء بعضها بالصق السور تماماً بحيث يمكن  
السلق فوقها الى شطحه . وشاهدا ضراغم ذلك فصال برجاله « على السور » وركض  
اماهم وسيقه شرخ ولما يك يفعل حتى رأى خبر السور قد امتلا بالرجال في ايديهم  
الباب اخذوا يرمون على اهاليين وهلاك لا يزالون وفي مقدمتهم ضراغم وقد وقفت  
قلنسوة وتزقق قباوه واتبشع شره وتفعلت سراويله . ولو رأى نفسه برأة في تلك  
الساعة لأنكر انه هو ضراغم صاحب الخليفة

وكان وردان يقتضي اثر ضراغم فرأه قد صاعد على احدى المجالات بقرب الباب وهم  
ينسلق السور فعمل مثل عمده اذا باب السور قد فتح بضمه وخرجت منه فرقة من الغرمية  
احاطت بالعزلة ومن عليها والتقطوا الجبال على ضراغم ووردان فخولا واعملوا السيف في

الimmel فتقطعت وصاح ضرغام «ما بالكم تجاريوننا بالimmel اين مسيو لكم ايها الجيتا» فلم يجيء احد منهم وهو واقف على الجبلة يحمل السيف فلهم حق زافت قدمه عن خشب الجبلة فوق وارتطم رأسه بمجرد فناء رشده . فلما رأى وردان في هذه الحال شغل به عن نفسه انكاثاً علىهما الرجال وقبضا علىهما وحملوها الى داخل سور فصعدوا بهما الى البرج فوق الباب والتوها بين يدي رئيس حامية ذلك الباب فامر بالله فرشن<sup>٢</sup> على ضرغام فلما صحا تجذز ليقبض على سيفه وفهم بالوثوب فاذًا هو موثق ببنت بدبي صاحب الحامية والتفت فرأى وردان الى جانبها في مثل حاله فعزم عليه الامر فصاح في اليوم قائلًا «عار عليكم ان تلنجوا في النجاة الىimmel فان كنتم رجالاً حكوا السيف ... انلروا ولا تأسروا»

## الفصل السادس والخمسون

### المكافحة

قال ضرغام ذلك والتفت فرأى رئيس الحامية جال<sup>٣</sup> على مقعد وعليه الفلسفة والسرابيل من لباس اظرفية ولم يتغير في لصف التور . وشاهد بين يديه جماعة من رجال الحامية الذين بخوا من المعركة وعليهم آثار القتال وهم يلغطون بالفارسية وهو يعرفها خطاطب الرئيس بها بليل ما قال بالعربية فلم يجيء . ولكن اشار الى رجاله فرجعوا واغلق الباب وراءهم ونقدم الى ضرغام خل<sup>٤</sup> وثاق ثم وثاق وردان وقال بالعربية «فما يا ضرغام ... فما واجلس»

فلما سمع ضرغام الصوت اجلل لانه يعرف صاحبه<sup>٥</sup> والتفت الى الرجل وفترس في وجهه فعرفه فصاح «حـاد؟»

قال «نعم حـاد» وهو صديقه خطيب باللونة . فنظر اليه والدعاشه بادية في وجهه وقال «ما الذي جاء بك الى هذا المكان»

قال «جئت بعد مفارقاتك اي اي قرب همدان يضعة ايام لسب لا تقبله وقد دخلت في خدمة هذا الجومي طلبًا للارتفاع من صاحبكم الظالم .. أما كان الاجدر بعر ان يدخل هذه المیوف في الدفاع عنه بدلاً من ان تكون عليه؟»

فابقسم شرخام رغم ما هو فيه من التقوط وقال «ليس صاحبي ظالماً» ثم تذكر وعده البحث عن جهان فقال «خلف عنك الذي حامل اليك خبراً يسرك وارجو ان تكون حاملاً مثله لي»

فبعث حماد وبذلت الدعثة في عينيه وقال «ماذا؟ هل وجدت ياقوتة؟ وابن هي؟ قال «نعم وجدتها وهي الآن في منزلني بسامراً عند والدتي معركة مكرمة» فلظن حماد نفسه في حلم القراء دعثته ولم يبالك عن النهوض من شدة الفرح وقال «ياقوتة في منزلك الآن؟» وأكبه عليه وقبل رأسه ووجهه وهو يقول «هل هي في خير وصحة ٤٠ التي أشكراك نضلك.. ثم ترافق وتفبرت سمعته كأنه نذكر أمراً ازبكيه وقال «ولكنني لسوء الحظ لم ألقى الى خدمتك مثل توفيقك في خدمتي .. على التي لم اذخر وسماً في السعي والامتناع .. كيف فعلت انت هل وفقت على خبر جهان؟»

قال «لم اغادر وسيلة من وسائل البحث وذهب سعي عيناً» وسكت وقد اقتنصت نفسه وبذا الاهتمام في وجهه وقال «لو انك تركت رجالك يجهرون على لعمات خير أمي لأنني لم آت هذه البلاد التي اقام فيها الفرج بالفتح أو الكسب بالغزو وإنما اتيت لأنني حنني والخلص من هذه الحياة» قال ذلك وهو يهرق أستانه ويتملل

شعر حماد بحقيقة حاله فأخذ يختلف عنه فقال «لا تؤمن يا صديقي البطل من الفرج فالله يا تيك وان حبته مسيلاً .. انت تعلم ما كان من امرني مع ياقوتة وكيف ترك وطني وأهلي يأساً منها وعا انت تقول انها سالمه فاتاني الفرج من حيث لا انتظر .. ولا اخلي عنك التي همت بقتل فضلك وكدت اعرض قمي للقتل .. ولكنني وفقت الى امر هذا روحني وساعدني على الصبر اذنك لو وفقت اليه لصبرت مثل»

وكان شرخام يسمع حدثه وهو غارق في المواجه ولاحظ حماد فيه ذلك فاستغلت انتباذه يدو فوضها على كنهه ثم نزع بها قطعة من تراب جبولة بالدم كانت لامقة عليه من جلة لطخ الدم على ثيابه التي تقطعت او تناشرت . فاتبه شرخام لكلام حماد فاصنف فقال حماد «ألم ترافق الى فناء تشهي حبيبتك فتلعنى برويتها .. ان ذلك يقف كثيراً من لوعة البدع ويساعد على الصبر ..»

فخذل شرخام مشابهة ياقوتة بجهان فقال «نعم وفقت الى ذلك ولكنني لم اشربها بخلاف اللوعة وكانت رؤبة ذلك الشيء كثيراً مانهيج الشجافي ..»

فهز حماد رأسه هزة الاستغراب وقال «اما اذا فاني امتأن بشبه ياقوتة استثنائياً يكاد

يذهب يفتواطي وان لم يكن لي وصول اليها . فقد رأيت ياقوتة شبيهة في هذه المدينة في اخر نسائها جانباً واملاعن رببة وامتهن مقاماً لكنها لا تختبئ لفخرج مسيرة لا تالي ان يرثها الناس وكانت كلاماً نظائرتها ثابتت بطلعتها وتمالت برويتها كالظلان يستغنى بالماكينة الرطبة عن الماء الزلال «

وكان وردان جالساً يسمع ولا يقل عهباً فلما رأى من التأدب ان لا يدخل في الحديث من ثلاثة نساء فلما سمع حماداً يذكر شخصاً يشبه ياقوتة ذكر شبه ياقوتة جهان وهم ان يستوضح حماداً فرأى ضراغم قد سبقه الى ذلك وقال بالفحة « وابن رأيت شبيهة ياقوتة ؟ »

قال « رأيتها في هذه المدينة في قصر بايك نفسه ... لا اشك فيهنون النساء التي قاتت بنصرة بايك وغيرت جهانه وردهنه عن الرذائل التي كان غارقاً فيها ... »

قال وردان « اخذتك يعني جذار »

قال « نعم هي اعني ... انها تشبه ياقوتة شبيهاً عجيباً فكنت اذا رأيتها حسبت ياقوتة امامي ... وكانت تتردد الى قصر بايك او تخرج معه على فرسها مكتوفة الوجه فلم اشاهد في حياتي اجمل منظراً ولا اكثريه ولا جلالاً منها »

فاحس ضراغم للحال باخلاص قلبه ولو كان الضوء كافياً لرأى حماد التم يصاعد الى وجنته وقد ابرقت عيناه واطرق حلقة راجع فيها ما يذكره عن ياقوتة ومشابهتها جهان فقال في نفسه لعل هذه جهان فالتفت الى حماد وقال « ومن هي جلنار هذه ومن اين انت ؟ »

قال « هي من جملة النساء بايك حلت اليه من بلد بعيد كما حل عشرات من امثالها لكنها كانت اشدهن تأثيراً عليه وقد اثرت في نفسه مثل تأثير السحر . فبين ترى وفيقانتها عذبات في قصر النساء اذا رأيا بايك مجدن له تراها راكبة فرسها الادم ثمول في المسرك تأمر وتشير وامرها تأخذ على الكبير والصغير »

فلا يسمع ضراغم قوله « فرسها الادم » احسن باعدها تردد او هي قشريرة البغنة ولم يتألك عن التهوض وهو يقول « فرسها ادم ... جهان جهان ... اين هي ... حماد اين هي ؟ »

فاستغرب حماد لفته ولم يتم لهم مراده فقال « كيف عرفت انها جهان واسمها جذار ... »

قال « عرفت ذلك من وصفك فقد ذكرت انها تشبه ياقوتة وانا اعرف ياقوتة وهي شديدة الشبه بجهان وذكرت ان جواردها ادم ولها حلت من بلد بعيد وكلها تتطبع على وصف جهان ولا عبرة بتغيير الاسم . فاتت تعرفي مثلاً باسم ضراغم وليس في سامر احمد

يتدبرني بهذا الاسم الآن فاني اعمي الصاحب . . . ففي جهات بلا شك وقد شعرت  
بنهاية الأيام من قلبي . . . قل أين هي الآن؟  
قال «إنها في قصر النساء لأنها تبكي هناك وتنزح عند الحاجة إلى قصرياتك . . .»  
فنهض شراغم تهدى الترجم وتحمّل يأسه إلى الاهتمام ونظر إلى ثياب المفرقة وهو يهم  
بالخروج للبحث عن جهان فاستوقفه حماد وقال «اخْلُمْ ثيابك والبس ثياب اغترابه حتى لا  
يذكرك الناس وكذلك يفعل ورдан وفي صباح الغد خرج معًا إلى قصر النساء»  
قطع شراغم كلامه قائلاً «اصبر على الغد؟ . . . كيف أصبر؟ . . . وهب أن صبرت  
فهم تصير المدينة وقد أخذت بها المسلمين من كل ناحية ولا بد من اخذها الليلة . . . ومن  
العجب أن يكتفى ذلك عليك؟»

قال «لأنستغرب بذلك لأنني من جملة فواد بابك وقد اندفعني في هذه الليلة لدراسة  
هذا الباب لأن بعض الجوابين إنما يعزّم على المجموع من هذه الناحية فابتليت في  
النروب وأفت الكتابة حتى رأيناكم قربين فامرتم بالمجوهر عليكم وكان ما كان . . . أمال  
بدل ثيابك» والنلت إلى وردان ليقول له ذلك أيضًا فيوجده مطرقاً وقد أخذت المواجه  
منه مأخذًا عظيمًا فقال «ما بالك يا صاحبي العطاك مصاب مثل مصابنا»  
فنهض وردان وقال «نعم يا سيدي . . . وستعمل بذلك مقاومتنا إلى قصر النساء . . . وإن  
اري بالخروج الآن كاري مولاي الصاحب شراغم»

فاطاهما وبعد أن لبسوا زي الخمرية خرج بهما وقد أوصى رجاله بخمارة الباب حتى  
يعود — يوهمهم ان الأسرى الذين حلوا بهم دخلان في جملة الأمراء الذين قبضوا عليهم في  
ذلك الليلة . . . فلما اطلاع حماد عن السوررأى البذكيرية الأشواط وسمع الفوضاء في وسطها  
فصاح في رجاله فلم يجد منهم أحدًا قادرًا خادمه فامرع اليه فقال «أين الرجال؟»  
قال «لم تسمع يا مولاي طبل المجموع؟»

قال «كلا» وكأنه شغل عنه ما كان فيه من الدهشة  
فقال الليل «خررت الطبول وصدر الأمر أن يجتمع الرجال للدفاع عن الباب الشرقي  
لان المسلمين دامونا ليلاً وهم معظمهم عليه وبقال ان قاتلهم الأكبر معهم هناك؟»  
فقال «الاثنين نفسه؟؟؟»

قال «لا ادرى»  
فالنلت وردان وضرغام معًا إلى معسكر الاشتين فرايا النار الثالثة موقدة وتحقق المجموع

فقال ضراغم « هل ترى مانعاً من التهاب الآن الى ذلك القصر » وندمه الامر في  
التهاب لما سمع بذهاب الاشرين الى هناك فدببت النبرة في قلبه على جهان

## الفصل السابع والخمسون

### سقوط البذ

قال حاد « لا مانع عندي » وركب كل منهم فرساً من ازماں الخربة واركبواها  
خوقصر النساء فلتو اهل البذ في هرج وخفوف ولم يبق احد منهم الا وهو يداعم عن  
نفسه ولم يشك الخربة الذين شاهدوا حاداً ورفاقه انهم منهم . ثم رأوا نمراً من المسلمين  
في وسط المدينة ينهبون واصبعوا كلما التربوا من الباب الشرقي رأوا المسلمين ينكحون  
فتحققوا ان البذ قد اخذ فلم يبالوا بشيء من ذلك في جانب ما كانوا فيه من الهمة تجلاً  
لوصول الى قصر النساء ولما وصلوا اليه رأوا جنود المسلمين يفرجرون منه وقد اخذوا في  
نهب الامتعة والرياش وأدوا بعضهم يقود بعض النساء فاختلط قلب ضراغم تماماً تكون  
جهان اصيّت يسيي او امر دخول القصر مع وردان فقال لها حاد « تملاً فاما استطلي  
الخبر اليقين من مصدره » قال ذلك و يقول الى غرفة بقرب الباب رآها موصدة من  
الداخل فقرعوا فلم يسمع جواباً فكلم الذين فيها بسلام ففتحت الباب امرأة كهله اذت  
يدخولهم وقالت وهي ترعد من الخوف فقال لها حاد « ما الذي جرى يا خالة ؟ »

قالت « ألم ترما جري ؟ .. فتحوا المدينة وكانهم فتوها لاجل هذا القصر فدخلوه  
ونهبوه وسبوا نساءه وحملوا رياشه ولو لم اخبي « هنا او لو كان في » حال اولي مال لاخذوني  
و لكنهم اكتفوا باخذ حل » وانصرفوا »

فلا يسمع ضراغم قوله « سبوا نساءه » ارتعشت فرائصه ولم يكن وردان اقل منه اضطراباً  
ولكنه كان اصبر منه على كتم شعائره وادرك حاد لمنتها فقال للقبرمانة « اخذوا كل النساء »

قالت « نعم »

قال « وجشار ايشاً »

قالت « لا .. وجشار لم يأخذوها »

قال « اين في ؟ »

نظرت الى رفيقه وتردلت في الجواب وهي تحرك وراء اذنها كأنها تكتم شيئاً تخاف  
ظهوره فقال لها «قولي لا تخافي»

قالت ان مولانا جلدار ورفيقة لها من نساء بابك رومية الاصل خرجتا منذ بضعة أيام  
في مهمة خدمة ببابك ٠٠

قطع وردات كلامها وتصدى للاستفهام بمساره فقال «وما هو اسم تلك الرومية  
يا خالة ؟ هل تعرفينها ؟

قالت «كيف لا اعرفها ٠٠ وانا قهرمانة هذا القصر اعرف تاريخ نسائه واحدة واحدة  
فيجلانار، شلّا لا يمرف اهل البد عنها شيئاً وإنما أنا فاعرف اسمها وفصلها منذ حمل البنان من  
فرغاته واسمها يومئذ جهان بنت المرزبان ثم تسمت جلدار وأحيطت هذه الرومية وصادقتها  
وتوافق ذوقاهما حق ذهبتا في هذه المهمة مما فتحت الجمع ان جلدار هي جهان  
نفسها ولم يمك، كان لشك امام وردان فام يدل الجواب المطلوب فقال «سألتك عن المرأة  
الروميه ما هو اسمها وهل غيرته ايضاً ؟

قالت «اسمها هيلانة ولم تغيره منذ حلولها من زوجها بطريق في ارمانيا  
فيانت البنوة في وجه وردان ولم يباكيت ان قال «هيلانة ٠٠ هي هي زوجي ٠٠  
فأتبه ضر ظام الحال ان خادمه وردان بطريق من بطارقة ارمانيا وان بابك اغتصبه  
امرأته ولم يستغروا ذلك من بابك ولكنهم استغروا تذكر وردان بحال الخدم فالافت  
ضر قلم اليه لفتة هيلانة وعتاب وقال «انت بطريق وتوهدني انك خادم ؟ والله اني رأيت  
فكك نفس الرجل العظيم منه عرقتك ٠٠

قال «جلات اليك ودخلت خدمة المسلمين توصلت الى هذه الساعة التي انتقم فيها  
من ذلك الفاسق الظالم فارجو ان يكون قد قبض عليه ونال حيزه فله»  
قال حماد «ان لم يكن فـ» انه واقع في الاسران المدينة فتحت وفتحي الامر» ثم هاد  
حاد الى الاستفهام فقال للقهرمانة «لم تخبرنا يا خالة عن الحية التي سارت اليها جلدار وهيلانة ؟»  
قالت «سارنا معـا الى بلاد الروم يستجدهم على المسلمين + استبيطت هذا الرأي  
جلدار انتصاراً لبابك ووافقتها هيلانة وصحبتها لـ ان اسلما من اعيان تلك البلاد  
وتعرف لـ انهم »

قال حماد «ومولانا ببابك اين هو ؟

قالت «ليس مولانا في الـ الان ولا هو اسير»

قال «فَإِنْ هُوَ .. أَخْبَرْنَا لِأَنْفُسِنِي أَنَّ الْبَلْدَ قَدْ اخْنَمَ الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ أَبْقَى لِنَا مِنْ سَوَاهُمْ .. وَإِنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ أَخْبَرَ النَّاسَ بِمَا يَعْلَمُهُ بِابْكَ»

قالت «بَقِيَ بِابْكَ فِي الْمَعرِكَةِ يَنْاضِلُ وَيَدْافِعُ حَتَّى تُحَقِّقَ سُقُوطُ الْمَدِينَةِ فَلَمَّا وَاسْطَحَبَ مِنْ شَاءَ مِنْ نَسَائِهِ مَعَ احْمَالِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَخَرَجَ وَأَظْهَرَ عَادَرَ الْمَدِينَةِ وَأَوْغَلَ فِي أَرْمِينِيَا»

فَنَظَرَ حَادَ الْمُرْغَامَ كَانَهُ يَسْأَلُهُ عَمَّا يَرِيدُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَأَنْتَارَ إِلَيْهِ بِالْأَنْصَارَافِ فَخَرَجَوْهُ بِلِتَسْنُونَ مَكَانًا يَتَداوِلُونَ فِيهِ يَعْلَمُونَ وَقَدْ لَاحَ الصَّبَاحُ فَقَادَهُمْ حَادَ الْمُرْغَامَ إِلَى مَكَانٍ يَعْرِفُهُ وَشَاهَدُوا جَنْدَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَنْتَهِ الْطَّرِيقِ يَنْهَاوْنَ الْمَدِينَةَ وَيَهْدِمُونَ يَوْمَهَا وَيَخْرُقُونَ قُصُورَهَا حَتَّى لَا يَقِيَ فِيهَا مَلْجَأً لِعَدُوٍّ وَلَا صَدِيقٍ

وَلَا وَسْلَوْا إِلَى الْمَكَانِ قَالَ ضَرَّاقَمْ «مَاذَا يَرِى الْبَطْرِيقُ وَرَدَانُ فِي مَا نَحْنُ فِيهِ .. تَقُولُ الْقَوْرَمَاتَةُ أَنَّ جَهَانَ وَهِيلَانَةَ سَافَرَتَا إِلَى يَلَادَ الْرُّومَ .. وَهُوَ يَلَادُ وَاسِعَةٌ وَلَوْ عَرَقَنَا الْبَلْدُ الَّذِي تَنْزَلَاهُ لِتَصْدِيَّهُ» فَضَحَّكَ وَرَدَانُ لِتَسْجِيَّتِهِ بِالْبَطْرِيقِ وَقَالَ لَا حَاجَةَ بِنِي إِلَى هَذَا الْأَقْبَ يَكْنِيَ أَنِّي صَدِيقُ ضَرَّاقَمْ وَوَاماً مِنْ جَهَانَ وَهِيلَانَةَ فَاذْنُ لِي إِنْ أُخْرِبَ فِي الْيَلَادِ وَابْحَثَ عَنْهُمَا وَلَا أَعُودُ حَتَّى أُغْرِيَ مَقْرَهُمَا»

فَقَطَّعَ حَادَ كَلَامَهُ وَقَالَ «كَلَا .. لَا يَذْهَبُ أَحَدٌ فِي هَذِهِ الْمَهْمَةِ سَوَايَ أَنِّي أَشْرِقُ بِفَضْلِ ضَرَّاقَمْ عَلَيْهِ لَأَنَّهُ أَنْقَذَ خَلِيلِي مِنْ يَدِ الْأَعْدَاءِ وَاحْتَفَظَ بِهِ فِي يَدِهِ مَكْرَمَةً مَعْزَزَةً فَإِذَا لَمْ أَخْدِمْهُ يَا يَمْوَضُ بِعِضِ ذَلِكَ التَّضَلُّلِ كَنْتُ لِيَهُ .. فَإِذَا لَمْ فِي الْذَّهَابِ وَحْدِي أَبْحَثَ وَأَقْتَشَ وَمَتَّ وَقْتَ عَلَى شَيْءٍ بَشَّتِ الْكَادَا

فَقَالَ ضَرَّاقَمْ «لَيْسَ مِنَ الْمُعْدُلِ أَنْ تَكُونَ مَلَالًا بِكَانَ يَا تَوْتَهُ وَهِيَ فِي هَذِهِ الْقِبَلَكَ وَتَنْهَبُ فِي مَهْمَةِ أُخْرَى ..»

قال «لَا تَجْمَادَنِي .. لَسْتَ رَاجِمًا إِلَى أَهْلِي قَبْلَ أَنْ أَفْرَغَ مِنْ طَلَبِ أَهْلَكِ وَاهْلِ هَذَا الصَّدِيقِ الْأَرْمَنِيِّ .. لَقَدْ سَرَوْتُ بِعِرْفَتِهِ سَرَوْرًا كَثِيرًا .. وَلَمَا يَا تَوْتَهُ فَاتَّ رَاجِعَ إِلَيْهِ سَاسِرًا طَشَّتِهَا عَنِي وَبَشَّرَهَا بِالْمَلْقاءِ»

فَتَنَطَّعَ وَرَدَانُ كَلَامَهُ وَأَخْبَرَهُ كَيْفَ أَنَّ الْخَلِيلَةَ امْسَ ضَرَّاقَمَ أَنَّ يَرْتَوْجَهَا فَلَمْ يَفْعَلْ وَالْخَلِيلَةَ يَظْهِرُهُ تَرْزُجَهَا فَصَاحَ حَادَ وَقَدْ ثَارَتِ الْأَرْبَيْهَةُ فِي رَاسِهِ «وَبِسَعْتِهِمْ مَعَ ذَلِكَ أَنْ أَجْدِمَهُ فِي الْبَحْثِ عَنِ عَرْوَسِهِ»

قال «كَلَا .. وَلِكَنِي أَسِيرُ مَعَكَ لَأَنِّي أَعْرِفُ الْبَلَادَ وَلَهَا وَطْرَقَهَا» فَقَالَ «لَا حَاجَةَ

بى الى احد منكم استودعكم الله من هذه الساعة » قال ذلك وخرج فلما خلا ضر غام بوردان قال ضر غام « احبيتني في منام ياوردان ان الفرق بين اليوم والامس كالفرق بين الرجاء واليأس • ولكن ٠ ٠ ٠ ٠ »

فقطم وردان كلامه بتهدية وقال « وأنا احبسي انتقلت من الجحيم الى العيم لاني كنت شديد الكافر بارأي وبلغ من جسارة ذلك الوش الكاسر ان يطلب التزوج بها فلما ايت بعث جدًا حملها اليه بالقوة ٠ ٠ ٠ لمنه الله من يومي فاسق + آه لو ظفرت به لاذرين دمه » قال ذلك وحرق استانه فقال ضر غام « لعل الاشرين ظفر به وفن لا نعلم • واري ان نعود الى المعسكر »

## الفصل الثامن والخمسون

القبض على بابك

وكان الاثنين قد احسن تدبير ذلك لمجرد حق فتح البد وقتل الخرمية عن آخرم واحد اولاد بابك وعياله الا جهان وهيلاة لانهما كانوا غالبيتين كما علمت • وبعد ان احرق المدينة وتحقق فرار بابك عاد الى معسكره في روز الروز وتقد ساءه انه لم يظفر بجهان ولا عالم ما كانها فارتاب في احوال سامان على انه حسب جهان فرت معه • وطلع مقدار ما اخذوه من السبي شيئاً كثيراً لا يعد ولا يحصى وبين الاسرى كثيرون من ابناء الاحرار وفيهم العرب والترس وابناء الدهاليين فامر بهم بحملوا في حظيرة كبيرة وامر ان يكتبوا الى اولائهم كل من جاء يعرف امرأة او صبياً او جارية واقام شاهدات اخذه<sup>(١)</sup> . فالخذ الناس منهم خلطاً كثيراً وبقي كثير منهم وكثير الاثنين الى ملك ارمينا وبطارقهم يقول لهم « ان بابك هرب وعدة معه وهو مار بيك » وامرهم بمحنط نواحيهم ومراتبة مسيره وندم على تصریطه بضر غام وهو يحسبه قتل لأن بعض القراغنة الذين كانوا معه اخبروه انه اخذ اسيراً وربما مات لانهم شاهدوه محولاً بين حي وموت لكنهم لم يجدوه بين القتلى

وعاد ضر غام في اليوم التالي مع وردان الى معسكر المسلمين فرحب به الاثنين وعنهما

(١) ابن الأثير ١٩٤ ج ٦

بالسلامة واطر ما ممتهن عن يساته في ليلة المجموع وبالغ في الاطراء حتى يبعد ما يخافه من سوء ظنه . واحصنه بالاداولة في الشرون المأمة وامها يومئذ فرار بابك والخبره بما فعله من النهي في التبض عليه فقال ضراغم « ان خادمي وردان ارمي الاصل والوطن وهو يعرف هذه البلاد معرفة جيدة اخدمه في هذا السبيل . وادا شئت اتيتك به الساعة »

قال « افعل »

فحادي غلاماً امره ان يستقدم وردان وكان خارج النطاط فلا دخل جا ووقف جاً دب فقال له الاشرين « انعرف طرق ارمينيا ومسالكها ياوردان ؟ »

قال « نعم يا سيدى على قدر الامكان »

قال « اين تظن ذلك المغربي يهوي والى من يلهي »

قال لا اظنه يلتجى الى بلد لان اهل ارمينيا يكرهونه وشنون ثنه ولكنني احبه ينتهي في بعض الغابات او الودية واشهرها الوادي الاصغر المسى الغيبة وهي كثيرة العشب والشجر بين اذربيجان وارمينيا لا يمكن الخليل تزويها ولا يرى من ينتهي فيها لكثرتها شجرها »

فاستفاد الاشرين من تلك المعلومات ثم صرف وردان وبعث جواسيسه ليهث في تلك الغيبة فعادوا اليه واكروا اخباره هناك . وكانت الاشرين قد بعث الى المعمم استكتبه كتاب امان لبابك فلما جاءه كتاب الامان دعا الاشرين بعض الذين استأتمهم من اصحاب بابك واعلمهم بذلك وامرهم ان يبصروا اليه بالكتاب وليهم ايهه فلم يمس احد منهم خوفاً منه فقال انه يفرج بهذا الامان فلما تهن اعرف به منك ققام رجالان فقالا اصحابنا لنا انك تجري على عيالاتنا ففمن لم يفصالا بالكتاب فلما رأياه اعلماء ما قدموا له لقتل احدهما وامر الآخر ان يعود بالكتاب الى الاشرين . وكان ابنه قد كتب اليه معها كتاباً

قال لذلك الرجل « قل لاين القاعدة ان كنت ابني خلت بي ولكنك لست ابني واثن تعيش يوماً واحداً وافت رئيس خور من ان تعيش اربعين سنة عبداً ذليلاً » وقد في موضعه . فلم يزل في تلك الغيبة حتى زاده وخرج من بعض تلك الطرق وكان من عليور من الجند قد تছوا قريباً منه وتركوا عليه اربعة فقر يخرسونه . فيينا هذات يوم نصف النهار اذ خرج بابك واصحابه فلم يروا المسكر ولا اوثنك الذين يحرسون المكان فلأن انس هناك احد فخرج هو وبعد الله اخوه وامه وامرأة اخرى وساروا يرددون ارمينيا فرأى الحراس فارسلوا الى اصحابهم انا قد رأينا فرسانا لا ندرى من هم . وكان ابوالساج هو المقدم عليهم فركب الناس وساروا نحوهم فرأوا بابك واصحابه قد نزلوا على ماء يقذون فلما

رأى بابك الصاكي ركب هو ومن معه فجأه هو وأخذه بابك والرأت الأخرى فارسلهما ابو الساج الى الاشرين وسار بابك في جبال اورمنيا مسقفي و كان يطارقة اورمنيا براقبون مسيره فاحتال بعضهم حتى خدحه ودخله حصنه وارسل الى الاشرين به بذلك فبعث الاشرين يدهه وينبه وهو يأبى التسامي . ثم احتال صاحب الحصن عليه حتى اخرجه بجهة السيد وابا الاشرين بمنزوجه فلتكروا من التبض عليه ومهه اخوه عبد الله وحملوه الى الاشرين<sup>(١)</sup>

فلا قرب بابك من المعسكر بعد الاشرين وجلس ينظر اليه وصف عسکره صفين وامر بازوال بابك عن دابجه فنزل ومشي بين الصفين فادخله بيته في برزند ووكل به من يخلفه والنم على الذين سلوه وكتب الى المعتصم بذلك . فامر به بالقدوم اليه به وبالخيه فانتقل بيدهه وحاشيته من برزند الى سامرا ( سنة ٢٢٣ هـ ) ومهه بابك واخوه عبد الله وكان المعتصم يوجه الى الاشرين في كل يوم من حين سار من برزند الى ان وافى سامرا خلعة وفرما . فلما سار الاشرين بقاطع حذيبة تلقاه هرون الواثق بن المعتصم واعمل بيت المعتصم واتزل الاشرين ببابك عنده في قصره بالطيرية فانه احمد بن ابي دواد متذكر انا نظر الى بابك وكله ورجع الى المعتصم فوصله له فاتاه المعتصم ايضاً متذكر اثراه . فلما كانت الليلة قدر المعتصم واصطف الناس من باب العامة الى الطيرية فشره المعتصم وامر ان يركب على الفيل فركب عليه واستشرقه الناس الى باب العامة فقال محمد بن عبد الملك الزيارات :

قد خسب الفيل كعاداته يحمل شيطان خراسان  
والفيل لا تخسب اعضاؤه الا الذي شأن من الشان

ثم ادخل بابك دار المعتصم فامر باحضار میاف بابك خضر فامر به المعتصم ان يقطع يديه وروجليه فقطعاها سقط فاهر ينبعه قدمه وشق بطنه وافتدى رأسه الى خراسان وصلب يدهه بسامرا وامر بحمل اخيه عبد الله الى اسحق بن ابراهيم بغداد وارمه ان ينفع به ما فعل هو بأخيه بابك فعمل به ذلك وضرب عنقه وصلبه في الجانب الشرقي بين الجسرتين<sup>(٢)</sup> وكان ذلك آخر المهد بذلك الدولة

اما غراغم ووردان فكانا من جملة الذين رجعوا مع حملة الاشرين وشاهدوا مقتل بابك فاشتبئا بقتله ولكن شرعاً ما ود لوانه قتله يسمى في وسط المركبة . وحال وصوطم الى سامراً سار ضرطام الى منزله وقبل يدي والدته وسلم على ياقوتة وبشرها بوجود حداد فلم تعد

لعرف كيف تشكّرها . واحبّر والدته طرقاً من خبر جهان وانه عرف بوجودها وهي لا تعرف بوجودها، وانها ذهبت الى بلاد الروم وان حماداً ابنت شهابته الا ان يبحث عنها بنفسه » قال ذلك وباقوته حاضرة ونظر اليها وابتسم وهو يقول « اظن هذا اخبار يوسف .. ولتكنه الى الاذهاب »

فوردت وجنتها خجلاً واطرقت وقالت « معاً فعلنا لا نكاثنك على نفسك فائز القذافي من القتل والمار وكتليبي ودللت حماداً على » ... « قطع كلامها فائللاً « لم افعل الا الواجب ... وقد جاء عملي مطابقاً لرأي امير المؤمنين وكل ما يريده امير المؤمنين لا فصل لنا في اتباعه لانا منتبعه وعيده » ورأى ضراغم في وجه ياقوتة تغيراً وفي عينيها ارتباكاً كأنها تذكرت امراً يئنها الحياة من ذكره فقال « ماذا تريدين ؟ ما الذي خطر لك ؟ »

قالت « قد اذ كرني تقنيك في نصرة امير المؤمنين امرأً لااحظته في الشارع اقام بيست اهارات السمرقندية اخافاه على حياة امير المؤمنين . سمعت كلامك يدل على مؤمرة يسمون فيها القتل » فأخبر ضراغم الاستغفار بذلك اخبار وقال « ان امثال هذه المؤامرات كثيرة والتي يصفع منها قليل فلا ينبغي لنا ان نخفل بها — وسبب هذه المؤامرات على الفالب جهل بعض اهل الخليفة الاقرءين فيحسن لهم ارباب المطاعم من الزباء او التواد المطالبة بالخلافة ليستفيدوا من انتقامها — وهذا العباس بن المأمون قد حسن له بضمهم ان يطالب بالخلافة لنفسه ولا ينالها الا اذا قتل المتعصم بهم يثأر مرون وبتواءلون على قتله ولكنهم لا يلتفتون » قال ذلك وفي صوته حلن التهديد كأنه يقول انه يبذل دمه في مقاومتهم

فلا سمعت والدته كلامه اشترق وجهها وابتسمت ولو كان في عينيه ازر الدلالة على ما خالج فؤادها من السرور بما قاله ابنتها على اثنا قالت « بورك فيك يا بني مكذا تكون الامانة » وبعد الاستراحة ليس ضراغم سواده وذهب للسلام على المتعصم وعنهما الاشرين وفديه من كبار القواد خالد خليل عليه هش الله وقال « مرجباً بالصاحب البطل المايم . قد بلغنا ما كان من بلاشك في الاعداء وما ابديته من البسالة والمحنة بورك فيك .. الا زوال نرى لقب الصاحب كثيراً اهليك » وأشار اليه بالجلوس فرضاً منه .

فاطرق خجلاً وبالغ في التواضع وهو يقدر وقال « ان العبد اذا قام بخدمة مولاً لا يستحق على خدمته اجرًا واذا علم ان مولاً راض عن عمله ففي اكبر مكافأة له » فالثالث الخليفة الى الاشرين لفترة استههام او استشهاد فقال الاخير « ان الصاحب

يا امير المؤمنين يندر مثلاً في الشجاعة وصدق الخدمة « وانذ بطرى اعراه ي يريد ان يكون ما يخشي ان يكون خامره من سوء الفتن . وعاد الخليفة نفسه الى الاطراء والثناء وامر له بالمدايا واطلع وما اتفق المجلس عاد ضراغم الى منزله وعادت اليه هواجسه في جهان . ولبث في انتظار ما يأتيه من عدد حماد فكان يتفقى اكثر اوقات التراغ مع وردات يغادران فيها عسى ان يكون من امر جهان وهيلانة

## الفصل الماسع والخمسون

### كتاب حماد

وفي اثناء تلك السنة جاء الخبر الى المعتصم ان تيوفيل ملك الروم خرج الى بلاد الاسلام وشاع ذلك في ساسرا وقد علم شر غلاماً كثيراً لان قلبه في بلاد الروم فيما بينه وبين ورдан ليباحثه ويستطلع رأيه فلما جاء ساله عمairah فقال « لا بد من علاقة بين هذا الخروج وفتح البد و قد ابأني بعضهم ان بايك لما ضيق الاشقين عليه و اشرف على اهل الارك كتب الى ملك الروم تيوفيل يخبره ان جنود المسلمين مشغولون به وهي فرصة يحب عليه ان يتبرّأها لاكتشاف مملكة الاسلام . ولم تظهر نتيجة ذلك المكابحة الا الان وردها كان جهان تأثير في حله على ذلك »

قال « خدنتي نفسى انما اهذاك »

قال « لو كانتا هذاك جاءكم اخبار من حماد لانه طبعاً انا يبحث عنهم حيث يكون ملك الروم ولا بد من الصبر »

ففى ضراغم في ذلك اياماً على مثل الجر حتى جاءه وردان الى منزله ذات يوم مهولاً و اومنا اليه ان يتبعه قبته حتى افردا في بعض جواب الحديثة فدفع اليه اسطوانة ملقوقة بتنديل من الحرير حلل للتعديل وفتح الاسطوانة فرأى فيها كتاباً من الكاغد قرأ في صدره اسم حماد فخفق قلبه فاخذ يتلوه وهذا نصه :

« من حماد العربي في عمورية الى الصاحب ضراغم في ساسرا  
ـ قد اطلت عليك السكوت واظنك ملأت الانتظار ولكنني فعلت ذلك مكرهاً . قضيت اشهر آوازاناً ابحث عن الصالح ولا ادرى كيف ابحث بذلك ان تيوفيل ملك الروم قادم

على زيارتها فهمت أن الأقيمة هناك لم يلقي أعنف بضائتها فما كدت أبلغ البلد حتى قيل لي أن أروم أكتشحوه والخربوه وسيروا الذرية والنساء وأغاروا على ملطية وغيرها من حصون المسلمين وسيروا المسامات ومثلوا مين صار في أيديهم من المسلمين وسمعوا أعينهم وقطعوا أنوفهم وأذانهم وقد شاهدت بعض أولئك الجددوعين ورأيت الناس قد خرجوا من بلادهم في الشام والجزيرة فراراً من وجه الروم إلا من لم يكن له سلاح أو دابة • فلما رأيت ذلك عدل من زيارتها وتذكرت أن ناطس بطريق عمورية زيار البلد في عهد بايك وقد عرفته جهان نظرت لي أنها ذهبت إليه وقد صدق ظني لأنني علمت بعد دخولي عمورية أن جهان وهيالنة انتقام عمورية من البذر وأساساً لتوسيط تاطس المشار إليه لدى ملك الروم في تحيدة بايك فازرطها ناطس في قصره ووعدهما خيراً ثم جاء الخبر بسقوط البلد وقتل بايك فالم ييق لها حاجة في أرميشيا كلها ففيقنتها في عمورية • وبظور ان بطريقها ناطس شديد الحرمن عليهم ولا سيما جهان وقد ضيق عليهم بايلاسج لهم بالخروج • وإن كنت لا أحبه يستطيع ذلك مع جهان بعد ان شاهدت قتوفه على بايك اشد خلق الله وطأة وافتظم خلقاً • ولهم رضيت بذلك الاسر من تلقاه نفسها يأساً من لذاته • وقد حاولت ملاقاها حتى اطلمها على حالك وأبشرها بقرب لذاته فلم يتسر لي لأن القوم هنا شيدوا المذير من المسلمين وإذا ساوا الظن بأحد منهم قتلوا وموتلوا به كما فعلوا باهل زيارتها • وفي كل حال ان جهان وهيالنة الآن مسجونتان في قصر ناطس بطريق عمورية وسابق جهدي في إبلاغ خبرك اليهما وإن كنت لا اطمئن بذلك • هنا ما وصلت إليه الآن وقد علمت ان الروم ينونون أكتشاح مملكة الاسلام فلذى اراه ان يسبقون المسلمين وبكتشحوا بلادهم وهذه عمورية من امنع خصومهم ولا اراها تختنق على المسلمين لعلمي بوعاض الضعف في أسوارها - ولا اخالك بمنقاره، مما تقدم الا عرض صاحبك على قدرها • فإذا فعلت فأجمل على وأيتك علامه اغرها عن بعد لا عرف بدركك اجعل رايتك قطعتين مستطبتين اذا زُل مسکركم امام عمورية عرفت مكانك منه والسلام • وما فرغ شـ. عام من قراءة الكتاب حق تصبب البرق من جيشه وهاجت اشجاره وثارت عواطفه ودفع الكتاب الى ورдан قرأه ثم قال « الا يرى مولاي المبادرة الى العمل .. هل تأذن بذهابي الى عمورية »

قال « لا فائدة من ذهابك فان المرأتين في حصار اضيق مما قرأت في هذا الكتاب وقد اراد صدقينا حماد تخفيض الطير • ألم تقرأ قوله » وبظور ان ناطس شديد الحرمن عليهم

ولا سيما جهان » فإنه يعني الله احب جهان واستيقاها لنفسه فلا تقييد الحية في إنقاذهما منه ولا بد» من القوة — وقد اشار حماد الى ذلك في اواخر كتابه تلبيساً «

فقال وردان « فإذا كان لا بد من الحرب فلا يقدر على اثارتها سواك يا لك من المنزلة عند الخليفة ». فلم يصبر شرquam على اقام الحديث فترك وردان في مكانه وشقى الى المنزل ليس السواد والقلنسوة وخرج لما يابنة الخليفة فاستاذن فقال الطاجب « ان امير المؤمنين في خلوة مع القاضي احمد » فقال « استاذن لي ايضًا »

فلا اذن له دخل وسلم فرأى القاضي احمد قال يحيى سرير المعتصم والامام بار في وجههما فلما دخل شرquam رحب به الخليفة قال لـ « جاءنا الصاحب في ابان الحاجة اليه وقد كنت عازماً على استدعائه » وأشار اليه بالجلوس

پجلس وهو يقول « ان قلبي دلي على امر يقتضي عيشه لاني لا ابرح منكرا في مولاي الشارك في ارادته فتلاق خواطرنا »

فقال القاضي « بلغني سرور امير المؤمنين لما ابدى به من البساطة في فتح البذ وقد سرني صدق توسيع فيك واصبحت موضع ثقة مولانا يعول على رأيك وسينك »

فاطرق حماد تأديباً ولم يهرب فاتم الخليفة الحديث قال لـ « جاء البريد من بلاد الروم ان ت Yoshiel العين نزل زبطراء وباطلية واساء الى اهلها وارتكب فيهما كل قبيح عالم يتعدو السلطون مثله » . فقال شرquam « هل يطلب امير المؤمنين رأيي ؟ » . قال « نعم »

قال « لا رأي لي غير السيف .. السيف ... كما هردم الرشيد من قبل .. احمل عليهم دوختهم اكسح بلا داعم .. ان الاسلام لا يصبر على ما فعله Yoshiel من ميل الميون وبدع الانوف وسي النساء .. بجد يا امير المؤمنين جندك وهم خائدون من ظفر بيكونوا اصبر على القتال وانا عبدهك اول منthan في هذه الحرب ... واذا صبر امير المؤمنين على مكمل عيون المسلمين لا اخالة يصبر على سي النساء المسلمات ... » وكان شرquam يتكلم وعيشه لقده كان شريراً وشتاته ترجفان واحس « الله بالغ في الجرأة بين يدي الخليفة ولكنك لم ينتبه الا بعد ان فرغ من كلامه . ورفع بصره الى المعتصم فرأى صحته تغيرت وقد انقطب حاجبيه وابقت عيناه خالطهما احرار من القلب . وقف « شعر شاريه وطيته وفظ ثبت بصره في شرquam وهو يتكلم لهاجه حماسه واصبع كالاسد الكاسر . وهو كالامد في بطشه وسلطانه . تناقض شرquam ان يكون قد اغضب المعتصم بمسارته فاراد ان يستأنف الكلام للاعتذار فقطع القاضي احمد كلامه قال لـ « لقد نهيت جهة امير المؤمنين الى

مصلحة المسلمين وما هو غافل عنها ولكن يسره ان يرى ذلك في رجاله وابطاله «  
 فقال المعتصم » ان الصاحب تكلم بالساني وعبر عن جناني . . . وسائر الانبياء وغيرهم  
 من القواد بالتأهيل للغرب بعد ان استخبر الله فيها . . . انتها جهاد في سبيل الاسلام « قال ذلك  
 وأشار اشارة الصرف وهو يقول « موعدنا قدماً ان شاء الله » فانصرف القاضي وضرفام  
 مشى ضراغم الى مازلاه وقد جاشت عواطفه فرأى ورдан في انتظاره فعن عله  
 ما جرى فسره الامر ولكنك ما زال خائفاً ان تأول تلك الاختبارات الى العبدول . وفي  
 الباح الثاني جاء غلام اطليفة باكرًا في طلب الصاحب خاف من هذا البكير ففى حق  
 دخل على اطليفة فرأاه في بيوت خاص لا يجلس فيه الناس وهو لا يزال في ثوب اليوم وقد اتلف  
 بطرف . . . وآنس في وجهه انتباضاً فاووجس خيفة فدخل وحياناً . قاتره المعتصم بالجلوس  
 فليس وهو ينتظر فقال له اطليفة « اندرى لماذا دعوك باكرًا . . . وادخلتك على وانا في  
 هذه الحال؟ » قال كلا يامولا ي «

قال « اني ناهش من فراشي الان بعد ان استيقظت منزجي مضربياً »

قال « خيراً ان شاء الله »

قال « رقدت البارحة بعد الصلاة وتسللت الى الله ان يلهمي ما يكون خيراً للمسلمين  
 من امر الروم فرأيت حمل اطار صوابي واذهب رشدي »

فقال ضراغم مصفيًّا وهو يطأول بمنقه فسح المعمم عليه وشاربه واصلح عاته  
 الصغيرة على رأسه وقال « قلت اني رأيت والحقيقة اني لم ار شيئاً ولكنني سمعت صوتاً اخترق  
 افاق قلبي . . . سمعت امراة هاشمية اسرية في بلاد الروم تصيح (واما معماء) فاجبها « ليك »<sup>(١)</sup>  
 واستيقظت وقد علمت ان الله يأمرني بالجهاد وان اكون انا ايضاً في جنة المجاهدين لكن  
 انت هي اهبة السفر وسأركان قوادي بالكافر . . . هلائق مجدهي؟ »  
 فتذكر ضراغم ما كان يبيده من الارتكاب في اخلاص الانبياء فقال « لا سيدل الى  
 تتحقق ذلك وقد علم امير المؤمنين انهم يستدلون طمعاً بالمال وقد قطعوا الله وادعوها الحرمية  
 وسيعملون ذلك بالروم »

قال المعتصم « يخبل لي الهم لولا ذهابك لم يفتحوه الا بعد اعوام . . .  
 تخجل من الاطراف وقال « اذا كان لا امير المؤمنين ثقة يبيده فاكون في خدمته في  
 هذه الجنة ولا يخشى غدرآً باذن الله »

قال « وما رأيك في البلد الذي تقصده من بلاد الروم »

قال « إن الصوت الذي سمعته يا أمير المؤمنين أحببه خارجاً من عمورية وهي من أكبر مدن الروم وعرين النصرانية وفي فتحها قائم للسلفين .. . »

## الفصل السادسون

### الحملة على عمورية

قال « أحسنـت » وتحفز للهبوط فخرج ضراغم وبشر وردان وأخذـا في الاستعداد أما المتعـمـلـمـ فأمرـاـنـ يـتأـهـبـ جـنـدـهـ الـغـربـ وجـلـسـ فـيـ دـارـ الـعـامـةـ وـاحـضـرـ قـاضـيـ بـنـدادـ وـمـعـهـ ٣٢٨ـ هـ رـجـلاـ مـنـ أـهـلـ الـعـدـالـةـ فـاـشـهـدـمـ عـلـىـ مـاـ وـقـفـهـ مـنـ الـفـيـاعـ فـجـعـلـ ثـلـاثـ لـوـلـهـ وـثـلـاثـ لـهـ نـعـالـيـ وـثـلـاثـ لـوـلـيـهـ . ثمـ تـجهـزـ إـلـىـ عـمـورـيـةـ جـهـازـ لـمـ يـتـجهـزـ خـلـيـةـ قـبـلـهـ قـطـ مـنـ السـلاحـ وـالـمـدـدـ وـالـآـلةـ وـجـيـاشـ الـمـاءـ وـالـرـوـاـيـاـ وـالـقـرـبـ وـغـيـرـ ذـلـكـ وـجـرـدـ جـيـاشـ عـظـيـضاـ قـلـواـ إـنـهـ ٩٠٠،٠٠٠ـ مـقـاتـلـ عـلـيـهـ مـنـ الـقـوـادـ الـأـشـيـنـ وـشـنـاسـ وـغـيـرـهـاـ وـخـرـجـ الـمـعـتـمـ نـفـسـ عـلـىـ دـابـهـ وـسـطـ خـلـهـ شـكـالـاـ وـسـكـاـ حـدـيدـ وـحـقـيـقـةـ فـيـهـ زـادـ تـشـيـبـاـ بـالـجـاهـدـيـنـ فـيـ صـدـ الـاسـلـامـ وـلـرـقـ جـنـودـ إـلـىـ سـيـاهـ مـخـلـلـةـ مـنـ بـلـادـ الـرـوـمـ وـأـخـيـرـاـ اـتـقـواـ قـرـبـ الـقـرـةـ وـعـزـمـواـ عـلـىـ الـمـسـيرـ إـلـىـ عـمـورـيـةـ . فأـمـرـ الـمـعـتـمـ بـتـعـيـيـنـ الـجـنـدـ فـجـعـلـ ثـلـاثـ عـسـكـرـاـ كـأـوـ مـسـكـرـاتـ اـحـدـهـاـ فـيـ الـمـيـسـرـ فـالـذـهـ اـشـتـانـ الـزـرـكـ وـالـثـانـيـ فـيـ الـوـسـطـ وـلـيـهـ الـمـعـتـمـ نـفـسـهـ وـالـآـخـرـ فـيـ الـجـنـةـ وـقـائـدـ الـأـشـيـنـ وـبـيـنـ كـلـ عـسـكـرـ وـعـسـكـرـ فـرـشـانـ . فـأـمـرـ كـلـ عـسـكـرـانـ يـكـوـنـ لـهـ يـمـيـنـهـ وـيـسـرـهـ وـأـمـرـهـ أـنـ يـخـرـقـواـ الـقـرـىـ وـيـغـيـرـهـاـ وـيـأـخـذـوـاـ مـنـ سـقـراـنـهـاـ ثـمـ تـرـجـعـ كـلـ طـائـفـةـ إـلـىـ صـاحـبـهـ يـفـلـوـنـ ذـلـكـ فـيـ ماـ بـيـنـ اـنـقـرـةـ وـعـمـورـيـةـ وـيـنـهـاـ سـيـعـ مـرـاحـلـ . فـقـلـمـواـ ذـلـكـ حقـيـقـةـ وـفـاقـواـ عـمـورـيـةـ وـكـانـ اـولـ مـنـ وـرـدـهـ اـشـنـاسـ ثـمـ الـمـعـتـمـ ثـمـ الـأـشـيـنـ . فـدـارـوـاـ حـوـلـاـ وـقـبـهـ الـمـعـتـمـ بـيـنـ الـقـوـادـ وـجـعـلـ لـكـلـ وـاحـدـ مـنـهـ اـبـرـاجـاـ مـتـهـاـ عـلـىـ قـدـرـ اـصـحـابـهـ (١)

وـكـانـ ضـرـاغـمـ فـيـ مـعـسـكـرـ الـمـعـتـمـ وـالـمـعـتـمـ بـقـرـيـهـ وـيـكـرـهـ وـفـيـ جـلـةـ حـاشـيـهـ أـيـدـيـهـ الـحـارـثـ الـسـرـقـنـديـ وـقـدـ اـخـذـ الـمـسـدـ مـنـهـ مـاـخـذـاـ عـظـيـضاـ لـاـ شـاهـدـهـ مـنـ مـنـزـلـةـ ضـرـاغـمـ عـدـدـ خـلـيـةـ وـضـرـاغـمـ لـاـ يـكـرـثـ بـذـلـكـ وـلـاـ هـمـ أـنـ يـخـطـلـ بـاـ تـطـلـبـهـ نـفـسـهـ مـنـ اـنـقـاذـ جـهـانـ وـكـذـلـكـ وـرـدـانـ

وأول شيء فعله بعد نزول المعسكر أنه صعد مع ورдан إلى راية اطلاع منها على غموضية قرأتها مدينة كثيرة الابنية واسعة الارجاء حوطها سور عال عليه الإبراج الخفيف والآيوب المبنية ورأى بين الابنية قصرًا عليه الرایات علم بشرغام انه قصر البطريرق لخفق قلبه لاعتقاده ان جهان في داخله فتنهد ونظر إلى وردان فرأه مطرقاً فقال له «ليس هذا قصر البطريرق باهلس» قال «بلى هذا هو بيته»

قال « اذا صح قول حماد فان جهان وهيلاة محبوسها في وارى المدينة حصينة .. ولكنها لا تنتفع علينا باذن الله .. هل اعددت الراية المزدوجة التي اوصانا حماد بها ؟ »

قال « نعم اعددتها ولا ادرى كيف تنشرها وخفت في معسكر المعلم وتحت رايته »

قال « لا بد من نشرها في مكان منفرد لعل حماداً يكون في انتظار رؤيتها »

قال « غداً أقف بها على هذه الراية ساعة ثم نري ما يكون » قال « أفعل »

ورجعا إلى المعسكر وبأنا تلك الليلة وأصبح المعلم في اليوم التالي فقد عجلًا من خاصته حضرة القواود وفي جلتهم الصاحب والخاتر السمرقندى وأخافروا يباخثون في ماذا يتعلون وكيف يختارون .. ولا اذن المؤذن لصلاة الظهر تفرقوا ودخل الخليفة فسطاطه وأشار إلى الصاحب ان يأتيه في صباح الغد على القراد فرجع إلى فسطاطه فإذا وردان في انتظاره وقد أخذ الغضب منه وأخذًا عظيمًا قاله عن الراية فقال « اهـما مغروسة على الراية »

قال « مالي اراك متغيرًا وكيف تركتها »

قال « تركتها لأرم اهم منها » قال « وما ذلك ؟ »

قال « ذلك اني رأيت سامان الدين في معسكر الاشين وقد قربه الاشتيرت ورفع منزلته فلم استطع الصبر على رؤيته وحدني تفسي ان اذهب بجيشه »

قال « لا تفعل اذناني في موقف تحتاج معه الى جمع الكلمة .. واخاف اذا ابديت غيظاً او رفقت بذلك على سامان ان يغصب الاشين فيقع الانقسام في الجيش فائز سامان الى وقت آخر .. وامضي الى الراية وراقب الاسود وامك هناك الى الليل »

قال « حسناً » ومضى ثائنه

ومكث بشرغام في فسطاطه حيناً وقد خلا بنفسه واخذ يذكر في حاله واستغرق في افكائه وهو ينتقل بينياله من جهان الى امه الى حماد الى الاشين وأخذ العاسم فدام ولم يستيقظ الا وهو يسمع صوت وردان ينادي ففتح عينيه فإذا هو في المساء وقد اظلمت الدنيا فلما رأى وردان ذلك جاء بشره بحماد فقال « هل اتي حماد ؟ » قال « كلاماً

قال « وكيف تركت الراية هذه المرأة ايفاً ؟ »

قال « لركتها لامر لم استطع صبراً على كثياله الى اللد وخفت ان تذهب في الصباح الى المعنصم قبل ان اراك ويهمني ان تعلم عليه قبل ذهابك »

قال « وما هو ؟ اذا كان مختصرًا فله والا قدعني ارافتك الى الراية اسامرك لاني نمت كثيراً وتقصه على هناك »

قال « ليس حدبي طويلاً لكنك اذا صحبني لا يخلو اجتنا عدا من فائدة »

فنهض ضرغام وليس ثياباً لا تيزن عن سواه من الجلد وخرج مع وردان وكانت الراية بين مسكري المعنصم واشناس فرأى بكثير من الفساطيط بين مهيء ومظلم ووردان يسير به في وسط المعسكر فقال ضرغام « اراك تسير في غير الطريق المستقيم »

قال « اريد ان اريك شيئاً جديداً ... هل تعرف هذا النسطاط الى يسارنا ؟ »

قال « اعرفه هو نسطاط العباس بن المأمون ما لنا له »

قال « أكتشفت مراراً لاظلم عليه المعنصم لقب العسكرية رأساً على عقب » قال « وما هو »

قال « لما عدت من عندك في هذا التهار مررت من هنا فرأيت الحارث السرقندي خارجاً من هذا النسطاط وقد خذ العباس لزواجه وبالن في اكرامه قتلت في نفس لامر ما هذا الاكرام وانا اعلم ان السرقندي واجد على المعنصم بعد ان اخذ باقotope منه وزاد حجمه لاما يقرئ اليه ولا يخفي عليك مافي نفس العباس بن المأمون على المعنصم لانه اخذ الحلاقة منه ويعض القواد يدهما له فيجين هو عن طلب البيعة فدالما المعنصم سمعت وانا في سامراً ان الحارث السرقندي كانت من جملة الساعين في خلع المعنصم وبهايمة العباس لكنهم تهيبوا الاقدام على هذا الامر خوفاً من الجند فلما رأيت الحارث خارجاً من نسطاط العباس اليوم حدثني نفسى بامر ذي بال ينهماه »

وكان وردان يقعن حدبه بصوت خفيف وقد عرب بما عن المعسكر فهو الراية ووصل الى الخليفة المسموية هناك والليل مظلم فرأى ضرغام رجلاً نائماً عند باب الخليفة وله شنير كحوار الثور وشم رائحة الخمر فقال « من هذا النائم هنا وكمي ايش رائحة الخمر »

قال « هذا ناقل السرالي » وهو من عبد الحارث عرفته من سامراً فاحصلت في دعورته الى وصيته خمراً حتى سكر وقضى على الحديث الآتي - اتدخل الخليفة ام اتم الحديث خارجهما . اني والحق يثال لا ااري لراسة الراية في هذه الظلمة فائدة لان الظلام يموج دون بدءها على عشرة اذرع فكيف من داخل عمورية »

قال « صدقت ولكنني لا اعني ان يراها حماد من هناك ليلةً ولكن قد يراها ساعة الغروب ويختال في الخروج بعد قليل فلا يراها او ربما يقع بصره عليها في صباح الغد باكراً فتأتي وانت لا تزال عندي ... اقعن علينا ما سمعته من العبد »

فتشى ورдан الى مخزنة على بقعة اذرع من الراية وضرغام يقمعه وشار اليه بالجلوس هناك مجلس واخذ يقعن عليه قال « اخبرني العبد ان سيده الحارث اتقى مع العباس ان يكون رصوته الى القواد في هذا المعسكر ومنهم جماعة تحت قيادة الاشين وآخرون من قواد اشخاص وآخرون في جند المعتصم . فتمهد الحارث ان يكون سفيره الى اولئك القواد يأخذ البيعة عليهم . فأخذ يدور المركبات الثالثة حتى استمال جماعة من القواد وبايدهم جماعة من خواص المعتصم وقال لكل من بايده اذا اظهروا امرنا فليثبت كل منكم بالثائد الذي هو معه ويقتلهم . فوكل من بايده من خاصة المعتصم ان يشوا في الوقت المعين على المعتصم ويقتلوه ومن بايده من خاصة الاشين ان يثبت على الاشين ويقتلهم ومن بايده من خاصة اشخاص ان يقتلهم وهكذا في سائر القواد المظلوم فسمعوا له ذلك <sup>(١)</sup> . وكان ضرغام يسمع كلام وردان وهو مطرق بهز رأسه من الاستغراب فلما فرغ من كلامه قال ضرغام « قبضهم الله من خونة مارقين »

فقال وردان « افي ارى العباس اهتلهم جيماً فقد فهمت من محمدني انه لم يوافقهم على تنبئي المكيدة الا ان خوفنا من خياع هذا الفتاح فاحسنت ان اطلقتك على ما سمعته وانت ذاهب غداً الى الخليفة فتقلبه اليه اذا شئت »

قال « كلا ياوردان .. لا يبني ان يعلم الخليفة بذلك والا فانما ثغر علي المسلمين ما لفشاءه من الانقسام ولكننا نكتمه الى حينه وخصوصاً بعد ان علنا انهم اجلوا تنبئي .. ويجيب علينا مع ذلك ان نسر على حياة امير المؤمنين »

فاجب وردان باربيعة ضرغام وقال « بوروك نيك يابلط .. هذا هو الرأي الصواب »

قطع ضرغام كلامه قائلاً « ولكنك قد اخطأت باستبقاء هذا العبد عندك الى الصباح فاذا صحا عرف المكان وربما وشي بك والاحسن ان لا يعرفه فاتله الان وهو بين السكر والنوم وانا املك هنا حق تعود »

قال « لقد اعيبت » ونهض واخذ في ايقاظ العبد وهو لا يصحو ثم عمل بوقنه او يقوده او يغيره حتى يدعه عن فساطاته واقرب من فساطط العباس فتركه على الارض ورجع وكان الليل قد تصفت ولم يبق في المعسكر احد الا نام

## الفصل الخامس والستون

### فتح عمورية

اما ضراغم فوقف في اثناء غياب ورдан ونظر الى عمورية فرأى الاشواء على اسوارها وفي بعض قصورها ولا سيما قصر البطريق فلما وقع بصره على ذلك القصر اخليج قلبه بصدره وحده نفسه ان يتلقى السور وينقض على المدينة حتى يبلغ القصر ويداري جهات فاذا اجا به لا يبالى ولو قاومه اهل عمورية كافية - ذلك هو غزور اهل الحب فان احدم يرى بالتجليل مكانته في سبيل هواه . اما ضراغم فما ثبت ان رأى وردان راجعاً حتى رجع اليه رشدة فذهب نفسه وكتم هواجه وقال لوردان « اني ذاهب الى فسطاطي وامكث انت هنا الى الصباح لترى ما يكون » قال « سمعاً وطاعة »

وتعود ضراغم نحو فسطاطه وهو غارق في الافكاره وقبل ان يصل اليه سمع لفظاً ينهى وبين السور ثالثة فرأى جماعة من خفر المسكن يقودون رجالاً قد امسكوا بختاقه وهو يقول لهم « خذوني الى الصاحب »

فلما سمع صوته اجلد لا أنه صوت حماد فامسرع الى فسطاطه وليث في انتظار وصوله وبعد قليل دخل احدم وقال « ان جاصوساً قبضنا عليه وهو داخل المسكن من جهة المدينة فزع انه قادم اليك » قال « ادخلوه »

فدخل ليبيته فاذاهو حماد بعينه فقال « دعوه » فتركوه ورجعوا فلما خلا به حيام ورحب به واجله الى جانبه وساله اولاً عن جهان فقال « لا تزال عند البطريق كا اخبرتك » قال « الم تستطع اصال خيرنا اليها »

قال « كلاماً .. بل لم استطع الظهور نقط ولما رأيت جندك بالاسن ترسست بالاعلام فلم أر الراية المزدوجة الا في هذا المساء ولكنني لم استطع الخروج الا الساعة بجيشه شيطانية وقد اظلم الليل فتحت عنها ولما قبعن اخفر على طلب اليهم ان يحملوني اليك كا ترى »

قال « اهلاً وسهلاً .. ثمحان لا تزال في قصر ناطس »

قال « ام وهيلة معها وما في خير لا يأس بها ولكن الرجل شديد الضرس عليها ولا تنفع فانك ظافر بما تريدين عن قرب »

قال « وكيف ذلك .. اني ارى الاسوار منيعة وسيطحل الحصار على ما اغلق »

قال « ساجده قصيراً باذن الله » قال « هل تعرف مدخلاً سهلاً ؟ »

فضحك وقال « نم اعرف مدخلأً يسهل الفتح هل اقصه عليك الان ؟ » قال « اني ذاهب في صباح الغد لمقابلة الخليفة في خلوة وساخره بما عندهك من اخبار المدوس وجعل ذلك ذريعة لرضاه عنك فيغتفر لك ما مفدي » قال « حسناً .. » فقال ضراغم « اخذتك في حاجة الى الرقاد .. هذا فراش نم عليه وانا انام هنا وتنبه في الصباح مما .. »

وفي صباح اليوم التالي ذهبنا حتى اتيت فساطط المختص فاما ذهن ضراغم عليه فدخل راستيقي حاداً خارجاً فرحب به الخليفة وقربه ولاحظ ضراغم في وجه المختص تغيراً فتبريب وسكت فقال المختص « اندري لماذا دعوتكم يا صاحب ؟ » قال « ليس لي علم القليب يا مولاي »

افتنه المختص وقال « قد كنت وانا في سامرَا استانس بالقاضي احمد واطلبه على سريري اما الان فاراني في حاجة الى مشاورتك بعد ان خبرت صديق نيتك » قال « اني عبد عخاص مولاي »

قال « اذكر اني شكرت اليك اربابي بالآثرين ؟ » قال « نعم يا سيدى » قال « كنت استعظم ما لااحظته من طمعه بمالى ولكنني اصبت الان لا اعد طمعه شيئاً مذكوراً في جانب ما اراه في هذه المذكر من فساد اليات .. هل عرفت شيئاً عن ذلك » قال « لم افهم مراد مولاي » وقد فهمه لكنه يتجاهل قال « بلتفى ان بعضهم طالع بعيقى يهاًرون على نقل البيعة الى العباس بن اخي » قال ذلك وعيناه تقدحان شرراً من الفيظ

فرأى ضراغم من الحكمة ان يتجاهل ويختلف عنه فقال « لا اعرف شيئاً من ذلك وان كنت لا استبعده لان الاخلاقة ما برحت من عهد الراشدين مطمح النثار الطامعين وهت ان بعضهم يحدث قسه بذلك فكن على يقين انهم مخذلون وانا اخن في حاجة الى الاختداد لتمكن من اخذناها العذفين بما فهل ابني .. مولاي يا ينبع عنه القلب » فابسطت اسرة المختص وقال « ما وراءك ؟ »

قال « انيت امير المؤمنين برجل خرج علينا في ماء الامس من عمورية وهو يعرف مداخلها ومخارجها .. هل ادخله على مولاي » قال « يدخل » فنهض ضراغم وأشار الى حماد فدخل ووقف متادياً والق التجية لها شاعده الخليفة عرقه فانتبهش لرؤيه ولكن اشار اليه بالجلوس مجلس جائياً فنظر للمختص الى ضراغم وقال

«كافي أرى حماداً العربي بين بدبي»

قال «نعم هو عبد امير المؤمنين وقد يكون له خطيبة عنده لكنها ستغفر باذن الله»

قال «ما الذي جاءنا به؟»

قال حماد «فهي على» ان ادخل هذه المدينة متذر بضعة اسابيع لمرأة حصونها و معانقها  
ولما رأيت جند امير المؤمنين بالامس بذلك جهدي بالقرار حتى اتيت

قال «ما الذي تقدم به الاسلام»

قال ادل امير المؤمنين على عورات البلد فيرون عليه الفتح ... ان هذه المدينة  
موراماً نبيعاً كثري لكن قسماً منه وقع من سبل ائمه فكتب الملك الى عاملها ليعرفه من  
عهد قريب فتواني فلما خرج الملك من القسطنطينية خاف العامل ان يأتني عمورية ويرى السور  
غراباً فبقي وجهه متبراً وعمل الشرف على جسر من خشب واذا شاء مولاي دلاته عليه من هنا  
فخض الخليفة وقال «ارنيه»

فذهله عليه من بعيد فلما رأه اثنى عليه وقال «اذا حدقت في ما تقول فلما اجزأه الحسن»

قال ضرخام «انا اضمن صدقه يا سيدى فهل يامر امير المؤمنين بتحجيم الجزاء»

قال «نعم جعله اكراماً لك وما جزاوه»

قال «انه لا يطلب مالاً وانما تاذن له بيارتك ياقوتة يتزوجها»

قال «يا قوتة زوجتك؟»

فوجي ضرخام ثم قال «نعم ياقوتة التي امر امير المؤمنين ان اتزوجها وانا استغفره عن  
جساري فلما لم اطعه لعل اتها مخطوبة لصديقي هذا خفتها عددي امامته له فادا شاه  
امير المؤمنين ان لا غرنا بعنه عدا واذن ان تكون ياقوتة زوجة حماد بعد زجوعنا من  
هذه المرب طافرين باذن الله»

فانجب الخليفة باربة ضرخام وكرم اخلاقه وابتسم له وقال «قد عثونا عنكما واحب  
ان يكون حماد معك من خاصتي وساغدق عليه التم»

فالفتني كلها وشكراً له - فقال هم بنا الى العمل وامر ان ينقل فساطته امام السور  
الاقرب ونصب الجانبيق عليه لغزب فجعل الروم خشباً كباراً كل عود بجانب الآخر نكل  
المهبيق يكسر الخشب فجعلوا عليه البرازخ فلما احدث الجانبيق على ذلك الموضع تصعد السور  
واط المدعصم بالحصار وكان حول السور خندق عميق لا يمكن تجاوزه ولو لا لاختذ المدينة  
حالاً فاشتر ضرخام على الخليفة ان يطمئن بيهلاوة القسم الملووقة تراها فتفعل وعمل دبابات كبيرة

تسع الواحدة عشرة رجال ليخرجوها على الجلود الى السور فذريعوا واحدة منها فلما صارت في نصف الخندق تماقت تلك الجلوود فاختلض من فيها الا بعد جهد وعمل سلام ومخفيقات وكان ضراغم يلح على الخليفة ان ياذن للجند بالمجووم يريد مرعة الوصول الى جهان واخليفة ختنين به فلم ياذن له ولكن امر بالحرب فكان اول من هجم اثناسيا باصحابه وكان اهل خيقاً فلم يكن لهم من الحرب فيه . فامدهم العتصم بالتجيقات التي خول السور فجع بعضها الى بعض فوق الثلامة . وفي اليوم الثاني امر العتصم ان يهجم الاثنين واصحابه واجدوا الحرب . وفي اليوم الثالث هجم هو ورجاله وقيهم المغاربة والازراك وقيهم ضراغم وعمل اعمالاً تهز عنها الابطال ووردان الى جانبه وكان قد عمل باسم حماد . وجعل ضراغم وجهته قصر البطريق وظلت الواقعة الى اليل واحتدم سعيروها وكان البطاريقة قد اتسعوا ابراج السور فاختصموا وجاء بعضهم في الصباح ولقوا سلاحهم نكابية بالآخرين وساروا عليهم الى المدينة ففشل الرؤم ودخلها المسلمون دخول الفاقحين واعتنوا فيها ثبيباً وقتللاً وسبباً اما ضراغم فلم يكن منه الا قصر البطريق يطلب حبيبته وعمده وردان في مثل طبله وبعضاً حماد لم يستطع الوصول الى القصر الا بعد الشعب المجزيل لشدة ازدحام الاسواق بين دخلها من المساجين للذهب والسي ولا وصلوا القصر وجدوا اربابه منتفعة ولم يبق فيه شيء من المال او النساء فطالعوا غرفة يعيشون فيها فلم يقفوا جهان ولا هيلانة على خبر فارتاب ضراغم يقول حماد وادرك هذا ارتياهه فاقسم له على صدق قوله وقال « يظهر ان بعض الجند دخلوا القصر ونهبوا واخذوا اهله »

فترك ضراغم ووردان وقد اسقط في ايديهما فتال وردان « تبحث عنهما بين السباباً بعد الفراج من المعركة »

## الفصل الثاني والستون

جهان

فافقى ذلك اليوم ولم يفرغ المسلمين من الحرب . وفي صباح اليوم التالي امر الخليفة ان تجتمع الفاشم فجمعت في ساحة وامر بيعها . فاخذوا ينادون عليها بالزيادة فلا ينادون على السي الواحد اكثر من ثلاثة اصوات التالساً للسرعة فكانوا ينادون على الرفق خمسة عشرة لكرثة والمعتصم يطلب السرعة وامر بالمدينة فخدموها واحترافها

اما ورдан فانه طاف بين السبابا في اثناء البع في عدة اماكن فلم يقف لامرته ولا  
جلحان على خبر فالقبضت نفسه وعزم على الرجوع الى ضرغام ليتداولا في الامر . وهو رابع  
مرء يمسك الاشرين فرأى فرس جهان الادم في جملة الفنادم وتحقق ذلك لانه رأى سامان  
واقفا الى جانبها فارتعدت فرائصه من الغضب - وكان لا يستطيع ان ينظر الى سامان  
الا الشعر بدنه وحدثه نفسه ان يبتكي به ولكنها امسك اكراماً لضرغام لعله الله لا يريد ذلك  
على انه لما شاهد فرس جهان كذا يطير من الفرح فاصعد الى ضرغام واخierre بما رأى فاق  
ضرغام فرأى الفرس وحده لان سامان كان قد ذهب ونظر الى وجه الفرس فرأى صورة  
الاسد في جسمه فتأكّد انه فرس جهان فقلب على اعتقاده ان جهان وهيلانة دخلتا في  
جملة السبي الذي اخذه الاشرين وهو ان يدخل على الاشرين حالاً ليطلب منه جهان  
وهيلاة ثم تراجع خوفاً من ان يستمع ما يغضب فيه عمل عملاً يعود بفساد امر الجندي وهو  
حرirsch على جمّع كلّته فوقف حيناً وهو يتربّد بين ان يدخل على الاشرين او لا . واخierre  
قلب على رأيه ان لا يفعل وان يوسط الخليفة ولا ريب عنده الله يتصفه  
فرجع وذهب توأم المعتصم فوجده في دار العادة وقد نماطر القواد واعاصمة لمتهشه  
بالنصر وهو فرح مستبشر فصبر نفسه حتى خلا المجلس فذهب في ذلك الانتظار معظم  
النهار فاستأذن بخلوة مع الخليفة فاذن له ورحب به واجلهه قريباً منه وهش له ولا طنه  
فدع ضرغام له وهناء . وخلداً اطلقة اقتباصاً في وجهه فقال « ارى الصاحب غضاً »  
قال « لا يغضب العبد بين يدي مولاه ولكنني قالق »

قال « وما الذي اقتلك يا صاحبي؟ » قال « اقتلني ان الاشرين تهدى علي »

قال « بماذا .. وعيدي بك ائتك حكم لا تدع مجالاً لائل ذلك »

قال « ليس الخلاف على منصب او مقنن ولكن كان لي خطيبة في عموريه وقت سبيه  
عند الاشرين وهو يعلم انها لي فاخذتها لنفسه »

فاستغرب المعتصم قوله وكيف يكون له خطيبة في عموريه فقال « زدني ايساحاماً »  
فتهجد ضرغام وقال « يذكر مولاي زاده الله نصره انه اكرمني وفنن في سامراً يماقونة  
وامرني ان اتزوجها خالفت امره لسبب ذكرته له بالامس وقلت عفوه ولم يسألني امير  
المؤمنين عن سبب مخالفتي . والسبب الذي كنت مقيد القلب بفتحة اخرى من فرغاته قد  
خطبتهما وتماحدت اعلى الزواج يوم سرت الى فرغاته بشأن الجواري . وتوفي والدها في اثناء ذلك  
واثقاني امر الخليفة ايده الله ان ارجع سريعاً فرجعت الى سامراً واجلت الاقتران . وحدث

في اثناء غيابي حوادث كثيرة يطول بي شرحها آلت الى خطف هذه الفتاة حتى وصلت الى هذه المدينة وكانت محبته في قصر ناطس صاحب عمورية . فلما فتحت المدينة طلبتها في التصر فلم اجد لها وبعد البحث عثرت انها عند الاشرين وحدثني تفسي ان ادخل عليه واطالبه بها فلما فتحت ان ينضبني فتحت اسم وتنفر كلة الجند وخرت اخرج الى الاخراج . فرجعت الى مولاي يا براء «

فاطرق المتعصب حلقة ثم قال « ذلك امر هين ولا اظن الاشرين يري بأمساً بود خطيبتك اليك والسبايا عنده كثيرات وقد يبعث الواحدة منهن بدراما معدودة » وصدق قياء احد النساء فامرها ان يستقدم الاشرين

وبعد قليل جاء الاشرين فدخل وصل مثلا رأى ضراغم هناك علم سبب دعوه كنه يخافه وشكق قال له اظليفة « دعورتك لامرهم الصاحب وانت تعلم منزلته عذبي » فابتسم الاشرين وقال « ان الصاحب عزيز على وهو لا يهمل ذلك »

قال المتعصب « اخبرني ان بين السبايا الاولى وتعن في حوزتك قيادة يطلبها منك » قال « السبايا كثيرات وقد يعن بالثانى ينتنة وعذبي منهن عشرات فإذا طلب خمساً اعطيته عشرة »

فادرك ضراغم توجهه فقال « انا اعني سيدة معينة انت تعرفها » قال « اينه ؟ » قال « اعني جهان بنت المرزبان » فانظر الامتناع وقال « وهل هي بين السبايا ؟ » قال « اظنهن يعنون ومعها امراة رومية ايتها هيلانة »

فالتفت الى الخليفة وقال « اذا كانت جهان بين السبايا فاستعن امير المؤمنين من اعطيتها » فقال المتعصب « ولكن الصاحب يقول انها خطيبة وهو صادق » قال « نعم ولكن هذه الفتاة منزلة ابنتي وانا وصي عليها يوماً يخبط ابها ولا افلت الصاحب يذكر ذلك ... »

فاليقنت المتعصب الى ضراغم فرأاه قد تغيرت مختلة وبيان الغضب في وجهه ولما شعر ضراغم ان اظليفة يتعرض في اليه فلما نس في عينيه معنى ادركه . فامسك نفسه عن الغضب وقال « سمعت بالوصية التي كتبت له ولكن خطبتنا حدثت قبل كتابتها »

قال الاشرين « لوضح ذلك لدكها صاحب الوصية في وبيته وهو لم يفعل . فانا اعدك الفتاة غير مخطوبة ولا يجوز ان خطبها الا بامرني حسب وصية والدتها » قال ذلك والثالث المتعصب كله يطلب مشاركته بهذا الحكم . فوقع اظليفة في حيرة لانه يحسب ان يحال

سرغام غرضه ولا يريد ان يهدى شفاق في الجيش فقال « هب ان والد الفتاة لم يكن عالماً بذلك الخطبة اولم يعترف بها وانت ولد الفتاة لمن غضبها عليك » فالاثنين وظاهرا اتفاقيا في وجهه وتغير في الجواب بين ان يغضب الخليفة او تذهب جهان من يدو فاطرق حلقة وسرغام ينظر اليه وقد امسك نفسه بشوفاً لساع ما يقوله الاثنين فاذا بعريبي ببرود وسكينة « انت امر مولاي نافذ لامر» له ولكن ذلك يكون بعد رجوعنا الى سارماً ان شاء الله

فالثالث المعمم الى سرغام ولسان حاله يقول « هذا هو الرأي الصواب » فعلم سرغام ان الاثنين يحافظون على خطبته وينوي غير ما يقول فلم يدرك غضبه فقال « اذا كان الاثنين رضي طلب امير المؤمنين فليعقد الخطبة هنا وخفن حيثاً كثنا في خلله » فايتم الاثنين وااظن بالخلف والاذعان وقال « اذا امر امير المؤمنين فلا مانع لدى ولكن لا ادرى ابن السبابا الان واخذهن خلن الى سارماً » فاستبشر سرغام ببذل المرام لاعتقاده ان جهان في ذلك المسرور وقد رأى فرسها فقال « اذا لم تكون الفتاة هنا اجلها الخطبة الى سارماً فليأمر امير المؤمنين باستقدامها » فنادى الغلام وامرها ان يذهب الى مسرور الافترين بطلب من وكيله ان يرسل الي الفتاة السيبة جهات . فاستقبله سرغام وقال « او يقول له جلنار فالله الاسم المروفة به في هذه الدبار »

خرج الغلام ومكث سرغام كأنه على النار وقد هاجت اشجانه وخفق قلبه « تعلموا رؤية حبيبتكم بعد ذلك البعد الطويل وتصوركم تكون دهشتها لما يقع نظرها عليه بغیر انتظار وهي تخبيه في عالم الاموات — ففي في ذلك دقائق حسيبا ساعات حتى عاد الرسول وهو يقول « ان السبابا ارسلن الى سارماً في هذا الصباح »

فوقع ذلك الجواب وقوع الصاعقة على رأس سرغام ولم يسعه غير الكوت والصبر فاظهر الرضي وسكن وقد عزم في باطن مسرته انه حملما يخرج من فساطط الخليفة يكاف وردان بصدق البحث عن جهان فاذا كانت لا تزال في المسرور اخذها عنوة خالما اذن المعمم باصرافهما ذهب سرغام توأما الى فساططه لشاهده وردان فلم يبلده فسأل بعض العبيد عنه فقالوا اتهم لم يزوره من الصباح ولا يعرفون مكانه . شرخ البحث في فساططه فلم يجدوا ولا وجد حماماً وكان يتوضع ان يراها معه فنزلاء الثانق عليهمما وهو في اشد الحاجة الى وردان . شرخ نفسه لتفقد فرس جهان حيثاً شاهده في الصباح فلم يجدوه

ترجح له ان الاشرين صادق بقوله وهو يعلم انه لا يجوز على الكذب الصريح بيت يدوي  
المخلية فرجع الى فساططه وكظم ما في نفسه

## الفصل الثالث والستون

### الفقر

والواقع ان الاشرين أمر باخراج السبايا من المعسكر من صباح ذلك اليوم - اشار عليه بذلك سامان وهو الذي دله على مقر جهان في قصر الطربق وحرضه على سبيها . وكانت يتبع خطها منذ كانت في البد وعرف بزوجها خاتبة الروم وزوجها عمورية وكان يفعل ذلك اليأساً مما وعده به الاشرين من الوصيصة . فلما تجنت عمورية ذهب هو بنفسه الى اخنه واظاهر انه جاء لتجديتها وان الاشرين جرد هذه الخلية في سبيل اقذافها واخذ يومن عليها التبرول بدء وهي لا تخبيه فعملها رجال الاشرين الى معكره على فرسها قبل وصول ضراغام الى القصر وعها هيلانة وكانت نزية كبيرة لما وقد خاتما وتألقنا وكل مهما تحسب لنسها متروكة لا نصيرا لها . فلما صارت في معسكر الاشرين شق على جهان ذلك الاسر وحدثها نفسها ان تطلب مقابلة المعتصم وتستجير به من الاشرين فاناها انوها وحيث اليها السكت وفقال لها سياخذتها الى سامر؟ تكون هناك كما ثاء . فلما سمعت ذكر سامر؟ نذكرت ضراغاماً وفي نفسها بقية امل بوجوده او مياع حقيقة حاله من والدته اذا كانت لا تزال في قيد الحياة فوافقته واشتريت ان تكون هيلانة معها فقبل . وكان هـ سامان ان يفرجهان قبل ان يعلم ضراغام بوجودها فلما رأى ورдан في الصباح يبحث عنها اسرع الى الاشرين وأشار عليه ان يأمر بارسالها حالاً فقال له الاشرين « الى ابن .. الى سامر؟ »

فاصطعن حكمة ليس فيها من ظواهر الفحشك غير النكثير عن الثناء ونكش عضلات الوجه ولنقار الى الاشرين بنظر الاحوال وقال « الى سامر؟ » وهل انا مجتون لاقفل ذلك؟ قال « بوروك فيك . سر بها رأساً الى اشرومته واحفظ بها جيداً واسأوا وابيك الى هناك » فاسرع سامان واعد الاحمال واخذ حمية تغترم في الطريق واثلهم خلة . ولما جاء غلام الخلية يطلب جهان كان قد مضى على خروجهم مدة ساعات وعم على ظهور الغيل اما ضراغام فاصبح لا يدرى ما يفعل وقد ادهشه غياب وردان وحمد وخف ان يكونا قد اصيأا بسوء وثن الاشرين الحق بهما اذية

بقي الجند في عمورية عدة أيام قفوا خمسة منها في بيت القناع والأمرى رفع السرعة التي توسيوها تكثرة القناع فريح غار الإبرود من ذلك ريجا عظيماً . وقضوا أياماً أخرى في هدم المدينة وأحرقها وقتلوا من أهلها جمماً كبيراً وسلم ناطس صيفه

ولما فرغ الملون من التفتح أمر المعمم بالرجوع إلى سامراً وضرغام لا يزداد في الشاء ذلك إلا قليلاً ولكنك رجع مع الراجمين وهو يرسوان يرى في سامراً شيئاً جديداً . والتف له وهو راكب في الشاء الرجوع أنه رأى في عرض الأفق فرساناً لم يقع نظره على مخوفهم حتى اخلج قلبه في صدره لانه رأى بينها فرساً عرف من مشيته انه فرس وردان فهز جواده للإيقاف ذلك الركب ولا اقرب منهم عرف الاثنين هما وردان وجاد فصالح « وردان »

قال « ليبيك يا مولاي » وفي غنة صونه دلالة السرور والظفر

فقال وهو قد حولا الأعنة ومشيا مع الملة « ابن كننا لقد شغلت بالي عليكما ؟ »

قال وردان « كنا في سامراً » قال « متاذما ؟ »

قال وهو يضحك « أوصلنا العروسين إليها ووجمعنا » فبعث ضرغام وقال « اي عروسين »

قال « جان وهيلانة »

قال « وكيف ذلك ؟ قال .. قل حالاً »

قال « رأيتك كثير المراءة خاطر الاثنين لا يخاطبه الأعلى يد الخليفة ورأيته يخادعك ويفي الفرار بهما إلى حيث لا نعلم وما صدقنا أتنا عرفنا مقرها والمر لا يمكن التقبيل مرة ثانية عنهما . فخطر لي أن أعمد إلى اللوة ولو شاورتك لما رضيت وأغلقت كنت تقول لي الأفضل أن بعد عن أسباب الشفاق . وقلت سرماً إن الاثنين يحاول الترار بهما وقد أمر سامان بذلك فتوطأنا أنا وجاد ان نأخذها بالقوية ونأخذها معهما وقد فعلنا وأوصلنا العروسين إلى بيت الصاحب في سامراً وزججنا سامان في السجن ربنا ترجع »

فرح ضرغام ولكنك قال « ألم يكن الأولى أن يبقى على عبد الاثنين فقد وعدني بين يدي الخليفة ان يعقد لي على جهان حالما ترجع إلى سامراً »

قال « فعل مدققت أنه كان يدوي ارسالها إلى هناك ؟ . وعب الله كان صادقاً فانا لم استطع صبراً على هذه الماءلة وقد فعلت ذلك ولم اشاوريك او اخبرك حتى لا اشررك في الثوب فإذا طالبي الاثنين يذنبي أجيوب عن نفسى »

فالتفت إلى جاد وقال « وانت إليها الصديق ارجو انت تكون قد شاهدت ياقونة وسررت بها .. ولكن لماذا رجمت »

قال «وكيف لا ارجح لرأفتكم واقام خدمتي لك»  
 وكانت الجلة سائرة مرتقاً وضرغام في فرقة المعتصم ليكون قريباً منه . ولما امعن الماء  
 حللت الاحمال وزرلت إثبات ، الراحة والرقاد . وقص ورдан على ضرغام في تلك الليلة  
 مواترات جديدة ومكالمة نصها القوم على المعتصم من قبيل ما تقدم وانه اذا لم يعلن الخليفة  
 حالاً تذهب حياته . وكثير ضرغام ان يكون هو المبلغ وخصوصاً لأن الحارث صاحب التهمة  
 الباري خصيه او مدافنه فنباحث في ذلك مع حماد فقال حماد «انا انقل الخبر الى الخليفة  
 انا اطلب اليك ان تدخلني عليه في خلورة»  
 قال «قم بيا الان» وكان الوقت عشاً فلما وصلنا الى فسطاط الخليفة استأذن ضرغام

بخلوة فاذن له فدخل وعمه حماد فقال الخليفة «ما ورد لك يا صاحب»

قال «عند صديقي حماد عبد امير المؤمنين ثبتت هامة اذا اذن له تكلم»

قال «قل واحذر الاخيراف عن الصواب»

فقص عليه تواطؤ القواد على قتلهم وبما ياعة العباس وهي الموثقان وفي جملتهم الشاء بن اساعيل  
 الخراساني والحارث السمرقندى وعبيف بن عبيبة وغيرهم فاعتبر المعتصم بالامر واستقدم المتمعين  
 واستنبطتهم فاعتبروا فقتلهم على اساسه مختلة لا عمل لذكرها . واحتفظ بالعباس حتى وصلوا  
 سامراً فسماع العذرين واخذ اولاد المأمون فحبسهم في داره حق ماتوا<sup>(١)</sup> . وعد المعتصم هذه  
 الخدمة جيداً لضرغام وحماد معاً واقم عليهم

اما الانشدين فجاءه اخوه من بعض زوجاته بيا فمهلاً وردان وحماد فصيز نفسه حتى يصل  
 سامراً فشكهما ويشكي ضرغاماً

ولما دنت الخلقة من سامراً اخذ قلب ضرغام بالقطقان هول المثلثي بعد ذلك الفياب  
 الطويل . اما جهان لما خططها وردان وحماد عادت اليها آماماً . وكانت لا رأي لها هاججين  
 بين معهما من الرجال لاختطفها استعادت باقه من تولي الاحن عليها وارادت الدفاع ثم  
 سمعت صوت وردان وسمعته ايضاً هيلانة زوجته فاغزانته اليه ولا نسل عن حال هيلانة  
 لما شمعت صوت زوجها وهي تحيبه بين الاموات فترامت عليه فرحة بها واستقبلها حتى  
 يتم محبته . فاصن الذين معه بالقبض على سامراً قبل ان يفر فقبضوا عليه ولوثقوه وثأروا مثيناً  
 ولقدم وردان الى جهان بكل احترام فلما رأته قال «وردان ..»

قال «نعم يا صاحب ابشر بالسلامة والقاد»

فلم تهالك عن ان صاحت «القاء .. ضرغام .. اين هو؟»  
قال « هو في سلامة وخير وسيأتي بعد ايام وانا ذاهب بك الى منزلة في سامر امكثين  
مع والدته ربيعا يعود »

لضفت نفسها في حلم وتفرست ثانية في ورдан وقالت «وردان .. ضرغام هي؟»  
وتدوّرت ان سامان اول من انبأها بموته فالضفت اليه وقد شبه الى ظاهر الفرس وهو ينظر  
ليها نظر الذليل لانه سمع ما دار بينها وبين وردان فلم تقل شيئاً . ورأت صديقتها هيلانة  
معانة بثوب ورдан وتکاد تشرفة بعينيها فقالت لها « هل تعرفين وردان قبل الان؟ »  
صاحت هيلانة من الفرح قائلة « هو زوجي يا مولاتي .. »

قالت « زوجك البليارق الذي قصصت علي خبره؟ »

قالت « تم هو هو .. الحمد لله على لذاته .. واهنتك علي يبلغك الى حبيبك »  
وكان حماد واقفاً وقوف الدحشة وقد اخاف الى هذه الصدفة بقاء ياقوتة حية حق  
يرجع اليها فزادت دهشة

وسألت جهان عن عمل ضرغام فأخبرها وردان انه في عمورية وانه ذاuber بها الى  
سامراً بنيقي فيها حتى يعود قريباً فاطاعتنه ومشوا نحو سامر اوكل فرح باعنته . وقضوا مسافة  
الطريق يقصون ما مرّ بهم من الغراب . وقص وردان على جهان ما حللي به ضرغام عدد  
المتهم وكيف مهاد الصاحب واسباب ذلك واخبرها بخبر حماد وخطيبته ياقوتة ومقدار ما  
ينتميا من المشاهدة العجيبة فاستمرت ذلك كله وصورة ضرغام غالبة علي جوارحها جميعاً  
ولما وصلوا الى سامر ابعث وردان بسامان الى صاحب الجن واخبره ان الصاحب يأمر  
اجهن هذا الجلاسوس فاطاع . وبعث وردان الى آفاتاب بقدوم جهان وكانت ذلك اللفاء  
دهشة يندر مثلما وآفاتاب لم تشبع من لبس جهان وضيقها وتنبيلها . اما ياقوتة فكان فرجها  
يمداد عظيمياً ولم يكن يفتأم عليها لانها كانت عالة ييقانه حياً ولكنها دهشت لما لقيت جهان  
فتوهمت انها ترى نفسها براقة لشدة المشاهدة ينهمساً . ولم تكن جهان اقل دهشة منها وبعد  
ان سلت عليها اخذت لنفسها وكم زادت قرضاً زادت استغراباً فلما فرغ وردان  
من تلك المهمة عزم على الرجوع الى عمورية فرجع حماد معه كما تقدم

ومكث اهل الجوسق على مثل الجسر في انتظار ضرغام وكانت والدته شديدة الدهمة لحيثه  
تشهي شمه وشمها . ولكن شعورها مختلف عن شعور جهان حيثها . ولا ميما بعد انت  
فاست ما قاسته قبل اجتماعها به . والعذاب في سبيل الحب الصادق كالنار للذهب لا تزيد  
الاصناف وروقاً

## الفصل الرابع والستون

اللقاء

فاقت جهان بضعة عشر يوماً في سامراً قبيل وصول ضرغام وتعمت باشيه أكثرها  
جديد عندها وكانت موضع العجب كل من عرفها ولكنها كانت تعد حيائناً نافقة او اذا  
ثبتت قل ثاقبة ولو لا التعامل بالآفاف لكان جحيناً . فكانت تعلم نفسها بقرب مجده ولا نزال  
صورته في ذهنها كأشاهدته ألمة الأخيرة || ودعها في قصر ابيها وعلىه ثواب السفراء وقت  
له بالباب حق توارى

فلا جاءت البشائر برجوع المعتصم وجذبه ظافراً زينت سامرة واصطفت المواكب  
وأجلنود ورفعت الأعلام وضررت الطبريل وضحت المدينة فرحاً وخرج النساء وال رجال الفرجية  
وأشغل الناس بهذا الاحتفال عن كل شيء الا جهان فالهنا لم تكن تسع صوناً ولا ترى  
شيئاً وإنما كانت عينها شائدين فخريباً الجلوس على طهاباً إثشاهد ضرغام داخلأً في موكب  
الخليفة لما دخل الخليفة لم تر أحداً

وهي في تلك الألفة سمعت سعالاً في الدار ارتعدت له فرائصها لأنه سعال  
ضرغام فارادت ان تخول ملاقاته فلم تساعدها قدمها من الارتفاع وآخر وجهها ثم  
علاءُ الأصقرار ولكنها تشدلت وتمالكت وتدركت رباطة جأشها ومشتْ وكان ضرغام  
قد دخل القرفة فرأى جهان تنشي مشية الجلال والوقار وعينها تتكلمان كأنما خطيب  
على منبر يدعو الناس الى التعبد أو يحرضهم على التقانى في الحب . فلم يبالك عن الأعناء  
للسلام وهو يود أن يجعل سلامه معانقة لولا الفسادة التي تحول دون ذلك ثم وقف  
ومدى يده اليها فسدت يدها وتسنمها بسمامة ألغت عن حديث طويل ثم قال «مرحباً بعروض  
فرغانية » لقى أطلات علينا الغياب وطال بناطر يقل وطريق الحسين قصير على ما يقولون  
فضحكت وقالت « طال الطريق لوعورته وكثرة عقباته » ولكن ماء السكر كلما

زدته غلباناً زادت حلاوة »

قال « لكن خشيت ان يعصف ماؤه فيحرق »

قالت « اوشك ان يحرق لوم ارمطه بدموعي » قال ذلك وايرقت عينها  
وتلالات فيها دمعتان ونظرت اليه لفترة وقفت كالسوم في قلبها فقال لها وقد اخذ الميام

من مأخذنا عظيماً «أبخل هذه الدموع كنت تفرين الاحتراق» .  
 قالت «نعم ولكن شتان بين دموع الحزن ودموع الفرج واشكر الله على كل حال» .  
 وكانت يدها لا تزال يده فضفط عليها وقادها الى مقعد هناك وهو شرس في عنبرها  
 وقول «اراك تشكرين الله وعهدي انك تشكرين اوره زد ففي حدث هذا الابدا» .  
 فقالت «وفي تشيي معه حق جلساً مخادعين وقد نسي الوجود الا كلامها ضراغام ..  
 حالي وشغل فرؤادي فاصبحت لا املك شعوري ولا ارى هذا الوجود الا كلامها ضراغام ..  
 ولا آسف الا علي مدة غلب فيها اليأس على قلبي - يوم بعيت اخي وغير اخي البحث عن  
 ضراغام في حارماً فعادوا واكدوا انه لا يوجد فيها وزاد بعضهم انه لا يوجد في الارض ..  
 بينما ذلك الساعة كم أحدثت وكم غيرت .. ولكنني نسيت كل ذلك الآن ولا اعلم الا التي  
 اسعدتخلق الله بل اراضي اسعد اليوم بما كنت بقريتك في فرغانة .. . كنت يومئذ سعيدة عن  
 جهل لاني لم اجرب الشقاء وكنت اتلذذ بقريتك متذكرة بتيار الطلب وانا لا اعرف قدر القاء  
 واما اليوم فقد عرفت ان السعادة يزيد مقدارها كما زاد الشقاء في سبيل الحصول عليها ..  
 لو عرفت ذلك يوم اجتاعنا في فرغانة لنصلت ان اجادت في سبيل حبك قبل الحصول على  
 قريتك » . قالت ذلك وقد غلب عليها الميام ونسى رباطة جأشها وكبر تنسها وهو ينظر اليها  
 وقد شغل يمامي وجهها وسخر عينيها عن تهم كلامها ففرغت من حديثها وهو لا يزال يرنو  
 اليها كأنها لا تزال تخططيه

ثم اتبه لنفسه وتجعل من غفلته عن الموضوع ونبي ما كانا فيه فقال «كم احب انت  
 امنع ما قاسيته في اثناء هذه الغيبة وقد سمعت بعضه ولكنني التذان ان اسمعه من فيك .. ولا  
 ريب عندي انك تجدين الاطلاع على خيري والطريق طويلاً سنتقادها في فرصة  
 اخرى .. ولو بقيت بجانبك النهر كله لا ارتوي من النظر اليك يا جنتي وحياتي .. صدقت ان  
 الطلب زداد للشه كذا زاد النصب في سبيله ولم اكن احب حبنا بقابل الزيادة وحاشا ان  
 يتقبلها ولكنني يزداد بالشعب حلولاً وصفاء» .

فوقت وهي تقول «صدقت ان قلذنا باللقاء لا نهاية له فينبغي ان تنظر الى الآخرين ..  
 هلرأيت ولدتك؟» قال «لم ارها بعد وسارها» .

قال «هديئاً لك على هذه الوالدة الحلوة ففيجب ان تقبل يديها صبيحاً مساً وفي الآن تشاقق  
 الى لمسك وشمك» . فوقف خرمام واطague جهان وخرج الى الدار وفيها والدته فشرعت  
 بترويجهما للحنزت وبستلت يديها لما نفقة ايتها قترانى عليها وقبل يدها واعل صدرها فاضي

وبكله وشمت غنمه ثم قالت « اهتئك بعروسك بل اهفي ، نفسي بهذا اللقاء »  
 وتقدمت جهان قبلت يد آفتاب واثنت على لطفها والتفت الى ياقوته وكانت قد  
 وقفت لاستقبالها وخطبت هر غامماً قائلة « ألم تكن تسانس بروبة ياقوته في الماء غبالي »  
 قال « ربها استأنست حيناً وغضبت برقي احياً ولكن هذه الشابهة هي التي دلني  
 عليك وساقضي اغلى في وقت آخر »  
 قضوا في امثال هذه الاحاديث ساعات وقد اعدت الاطممة فتناولوا ما شاؤا ثم قالت  
 آفتاب « قد آن يا سرغام انت تكتب الكتاب »  
 فقال « صدق يا امامه وغدا انقل ان شاء الله »

## الفصل الخامس والستون

### محاكمة الاشبين

وهم في ذلك جاء احد غلان القصر يدهو ضرقاً ملائكة الخلية قليس فلسالته وسوداته  
 وخرج حق اذا دنا من دار العامة رأى بالباب جماعة من الغلاني الاشرؤسنية فعلم ان  
 الاشبين هناك فدخل فرأى الخلية جالساً على سريره في صدر الايوان والاشبين على كرسي  
 بين يديه ورأى بجانب القاعة وردان وحماداً واقفين فلم فالشار اليه المتعصب ان يجلس  
 فتباطأ وقال « ياذن لي امير المؤمنين بحكمة قبل ان اجلس » قال « قل »  
 قال وهو يشير الى وردان « اقدم لامير المؤمنين البطريق وردان احد كبار بطارقة  
 اربعيني وقد ابلى في خدمة جيشنا بلا حسناً في البد وعموره »  
 فاستغرب للمتعصب والاشبين هذا التصرف وقال الخلية « اليك هو خادمك وردان »  
 قال « كنت اغلبه خادمي وانا لا اعرف اصله فما يلوته علت انه رجل شريف وقد  
 كانت له معي ايادي يضاهي عادت بالثمنع على جند المسلمين فاذ امر امير المؤمنين بمحاسنه  
 فعل وهو صاحب الامر »

قال « ولكن وافق في موقف القضاة وقد دعوك لحضور المحاكمة وتوبي الشهادة »  
 قال « انقل ذلك طوعاً لامير المؤمنين » وجلس واصفي  
 فقال المتعصب « يقول قائد جندنا الاشبين ان وردان وحماداً تمديداً على رجاله  
 واحتفلنا بهم امرأتين من سببها بعد ان اجلنا النظر في ذلك لحين رجوعنا الى ساماً »

قال ضرغام «نعم قد فعل ذلك وإذا حكم امير المؤمنين الله ذهب فانا صاحب النسب لانهها فعله لاجل وان لم يكن بأمرني وانا اتحمل تبعه عمليها . وفي كل حال فان حماداً هذا (واشار اليه) قد عرف امير المؤمنين خدمة وانعم عليه بالغفران وجاً سامرًا ليتال ما وعده به مولانا من النعم فلا يوخذ بغير ربة سواه »

فحل المقصم جيئنه كاهن يسترجع الى ذهنه شيئاً نسيه وقال «صدقت ان حماداً ذو فضل وسابقة ومسؤولية ما هو اهل له فيخرج الان اذا شاء » فانخى حماد وسلم وخرج وبقي وردان وضرغام والاشرين قال اخليفة «فالآن قد قات عن وردان ما هو اهله ولكن ذلك لا يعني انه خالف امراً اصدره ثائن السبطين فقد قلنا وضمن في عموريه ان يترك امرها لحين رجوعنا الى سامرًا فكان ينبغي ان يراعي هذا الامر ... فليأتى بالسبعين الان الى هنا ... »

قال ضرغام «ان السبطين هما خطيبتي وزوجته (واشار الى وردان) . اما خطيبتي فقد سبق امر اخليفة ان تكون زوجة لي وهي في منزله واما امرأة البطريرق فهي عنده ايفاً ولا اثنان الاشرين يهمه امرها »

قال الاشرين وقد بدا الغضب في عينيه «يهمني اولاً ان يراه امير المؤمنين في الاثنتين . واما جهان التي تقول انها خطيبتك فلها شأن خاص لاني وهي امرها بوصية ابيها فعند ذلك تقدم وردان ووجه خطابه الى اخليفة واستأند بالكلام وقال «هل ثبت لا امير المؤمنين الله وصي »

فاتقه المقصم لهذا الاعتراض والفت الى الاشرين وقال «اين هو كتاب الوصية »

قال الاشرين « هو عندي .. وهل الاكاذيب ؟ »

قال المقصم « لكن الشرع يقتضي بالاطلاع على نصه قبل اصدار الحكم .. وهل كچانه ؟ »

فظهرت الحيرة في وجه الاشرين فحمد الى المفاعة واظهر الغضب وقال « اذا كانت الاشرين الملك والقائد يكذب في مثل هذا الامر ويصدق هذا الملحظ فعلى الدنيا السلام »

قال وردان « اني لا انكر وصايته ولكنني ارى ان يطلع امير المؤمنين على نصها ليعرف من هو الاشرين صاحب اثروسنة »

فاستنشط الاشرين غضباً وكأنه نسي موقفه فصاح « ان الاشرين قائد جند المسلمين لا يخاطب بمثل هذا الكلام في حضرة امير المؤمنين .. وهب ان الوصية جاءت متى او

سررت او احترفت فهل يُؤخذ ضياعها جمة على «قاعد كاذباً» . والرجل يقول الله لا يذكر  
الوصاية ثما الثالثة من نصها

فقال وردان «لأنقضب لها الثالث انا في موقف الدفاع بحضوره امير المؤمنين  
والقضاء يطلب اليك ان تثلو الوصاية بضمها»

فازداد الاشرين غيظاً وقال «قد شاعت الرصبة ولا ذكر نصها»

قال وردان «انا اذكّره .. هل انثر بعضها على مسامع امير المؤمنين»

قال المعمم «اتل ما شئت»

فقال «يكفي امير المؤمنين ان الرصبة مصدرة باسم اورمزد معبود الجوس بدل الله  
نماي وقد شهد فيها الموبد كامن الجوس بدل القاضي الشرعي ..ليس كذلك يا قائد  
جند المسلمين»

لهاج غضب الاشرين وادرك ان الرجل يوحي اذلاله وفضح امره وتندم على ما فرط من  
نعمته ولكنه يُخجل وقال «واين هو وجه الطعن فيها ان الموصي عبومي فكتبيها على ما يقتضيه  
دينه وعادات بلاده .. كأنك تربى بذلك اتهامي بالطبروسية .. اهلا لوقاية، كبرى»

لوجه وردان كلامه الى المعمم وقال «هل ياذن امير المؤمنين ان اقول ما اعرفه»  
قال «انك في موقف الدفاع عن نفسك قل ما بدا لك»

فقال للاثنين «لا اتهكم بالطبروسية شئمه ولكنني اقول انك مجوسى تسجد لا اورمزد  
وتفضح الموبد حق الاَن .. واقول فوق ذلك انك تظاهرة بالدقاع عن الاسلام وانت المatsuول  
ذلك طبعاً بالمال .. ولو استطعت صحق دولة المسلمين لتحققتها وهذا يثبت نار كاران شاه  
في فرغاته شاهد على ذلك» . فلما قال وردان ذلك رأى الخليفة التهمة أوسع من ان يتضمن  
بها في تلك الجلسة ناخب تأجيلها فقال «ان هذه التهمة خارجة عن موضوع هذا المجلس  
وانما نبحث الان في اختطاف السبطين»

فقال شرخام «قلت لا امير المؤمنين ان النائب في ذلك لي افالان احدىما خطيبتي وهي  
في منزله الان وقد اذن الاشرين بروايتها على فرض صحة وصايتها»

قطع اظليفة كلامه وقال «خمن لانترض على زواجه بيه او امانطال وردان باختطافها»

فقال وردان «لما اخطتهاها اعلم ان مولانا الاشرين امر بارسالها الى يده الروسية  
لضمان اموالها التي يوصلها الى هناك كل سنة من اموال المسلمين لي Shirley  
بها على استقطاع دولتهم عند الحاجة ..»

فنظر المعتض الى الاشرين فرأى حليمه ترقص في صدره ولو جسّ يده لراها باردة  
كائلاج فضلاً عن ارتعاشها فقال له « ان هذه التهم كبيرة ولا اراك دفعتها عنها »  
قال الاشرين « كلها مفتر بات كاذبة وعند التحقيق يظهر كل شيء وقد امدادنا  
قال وردان « لا باس من التأجيل الى الغد او بعده ولكن من يضمن ان صاحب  
هذه التهم يبق في سامرا الى الغد »  
قال المعتض « يبقى محبوساً في الجلوس » وأشار الى صاحب حرمسان يأخذ سلاحه  
وسواده ويتجesse ويتولى حراسته « فتهنئ الاشرين وقد استط في يده ولكن ما زال يكابر  
ويغاظل ويشي مرحاً وهو يتوعد ويتهدد  
وبعد خروج الاشرين اشار المعتض بالصراف وردان واستبقى الصاحب ثالثاً بدو  
تهدد وقال « يا طولاً طلاً المuros انهم شاركونا في ملكتنا وخدعونا في امرنا .. ولكن الله اعانتنا  
على الافتخار بسيوفهم ورددتكم في نخورهم .. ماذا رأيتم بصاحب؟ »  
قال « ان امير المؤمنين عرف سوء نية هؤلاء، قبل سائر الناس .. ولا انسى شكواه  
منهم صراراً .. »

قال « ان ما اشار به صاحبك وردان لم يخف علينا فان كتب عاملنا في خراسان  
كانت تابينا وفيها الشكوى من كثرة الاموال التي يرسلها الاشرين الى يده ومخزن صابرeron ..  
وقد رفعت اليها الكتب من كثرين يتهمونه بالجوسية وعبادة الاصنام وبالمواءمة مع  
الملازير صاحب طبرستان وبابك على حرثنا .. وقد عمل بذلك الناجي احمد ووزيرنا محمد بن عبد  
الملك الزيات وغیرها وبعثنا نستقدم الملازير صاحب طبرستان الذي تواطأ معه على الغدر  
بنا والمرزبان احد ملوك السند ومويد الجوسيا واثنين من المسلمين كان الاشرين قد عذباهما  
لاتهما بنينا مسجداً في اشروسنة .. وساعدنا بمحضره هؤلاء فقضى بهما استمر وفيري كل  
فاعل وما فعل .. اما انت فلما عرسك تهناً بها ولا باس على وردان فإنه حرٌ ومتوجه  
في خاصتنا وعلى البافي تدور الدوائر » فدعاه له وخرج

وقل يوم تالي عقد المعتض مجلساً مؤلفاً من الناجي احمد بن ابي دواد والوزير محمد  
بن عبد الملك الزيات وغيرها من الاعيان ودعا الصاحب ووردان لحضور اتم اسر بالاشرين  
فالخرج من محجهة وجيء به الى المجلس وتولى ابن الزيات مناظرته بعد ان احضر الشهود  
المشار اليهم .. فطلب اولاً الرجلين المفروضين وكشف عن ظهريهما وهي عارية من اللحم  
وقال للآشرين « اترى هذين؟ »

قال «نعم هذا مؤذن وهذا امام بني مسجداً باشر وسنة فشربت كل واحد من الناس سوط لان بيبي وين ملك السعد عهد ان اترك كل قوم على دينهم فوثب هذان على يه نار في الشروسة كان فيه اصنام فالخرجها وجعلها مسجداً فضر بها على هذا»

قال ابن الزيات «ما كتاب حذك حليه بالذهب والجوهر فيه الكفر بالله تعالى»

قال «هو كتاب ورثه عن أبي فيه من آداب العجم وكفرهم فكنت أخذ الآداب واترك الكفر . ووجده تعلق فلم افتح الى الخلية منه وما فلت هذا يخرج من الاسلام» ثم تقدم المولى وقال وهو يشير الى الاثنين «ان هذا يا كل علم الخوفة ويحملني على اكلها ويطعمها ارطاف من المذبوحة وقال لي يوماً قد دخلت طولاً القوم ( المسلمين ) في كل شيء اكرهه حتى اكلت الزيت وركبت الجمل ولبس التعلم غيري في الى هذه الغاية لم اختتن» فاعبر عن الاثنين على كلام المولى بأنه غير ثقة . فرد ابن الزيات عليه وجده . ثم تقدم المولى وقال مخاطباً الاثنين «كيف يكتب اهل بلدك اليك ؟» قال «لا اقول»

قال «الا يكتبون بكندا وكذا في الاشروسية وتسيره بالعربية الى الله الامل من اعده فلان بن فلان ؟» قال «بل»

قال ابن الزيات «ان المسلمين لا يحصلون هذا فما اتيت لمرءون ؟»

قال «هذه كانت عادتهم لابي وجدي ولبي ايضاً قبل ان ادخل في الاسلام فكررت ان اضع تصفي دونهم فتفسد طاعتهم»

ثم تقدم الماز يار فقال ابن الزيات للاثنين «هل كاتبتم هذا» قال «لا»

قال الماز يار «نعم كتب اخوه الى اخي انه لم يصر هذا الدين الا يعيش غيري وغيرك وغير بايك فاما بايك فإنه تحقق قتل تمه وان قد جمدت ان اصرف عنه الموت فالي تحققه الان اوقعه فان خالفت لم يكن القوم من يرمونك به غيري وهي الفرسان واهل التجدة فان ووجهت اليك لم يبق احد يحار بها الا ثلاثة العرب والمغاربة والأتراك والعربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة واضرب رأسه والمغاربة اكلة رأس والأتراك فما هي الا ساعتها تتفقد سهامهم ثم تحبب الخيل عليهم فتافي على اخرم وبعد الدين الى مالم ينزل عليه ا أيام العجم»

قال الاثنين «هذا يدعي ان اخاه كتب الى اخي وما هو ذنبي»<sup>(1)</sup>

فتقى وردان عند ذلك وقال «ترى ان اخاك كتب ولا تبعة عليك فما قولك هنـ

رأاك رأي العين في بيت النار بفرغاته وجعل المازيرار هذا ونائب عن بايك وقد تواطأتم على  
حق دولة المسلمين وتهددت ان تجتمع المال الكافى لذلك العمل «  
فأعرض الاثنين بوجهه عنه وقال «هذا خصم يكذب في سبيل مصلحة»  
قال «وان أتيتك بالمويد قسه الذي شهد على كتاب الوصية ومحنته يقول مثل قوله؟»  
فقال المخضم «سنرسل في طلبه»  
فقال وردان «واداً بعث امير المؤمنين الاآن من يدخل بيت الاثنين في سامر؟»  
ووجد فيه التائيل الجبوسية «

فقال ابن الزيات «قد اتينا بها بالامس» وامر غلاماً احضرها واذا هي تمثال من  
غشب عليه حلية كثيرة الجواهر وفي اذنه حجران مشتبكان عليهما ذهب واصنام اخرى  
وكتاب من كتب المحسوس وغيره . فارتفع على الاثنين وسكت فامر المخضم بارجاعه الى  
الحبس وان يقطع عنه الطعام والشراب فقطعتها حتى مات سنة ٢٢٦هـ<sup>(١)</sup>

وخلال ضراغم بالمتحتم بعد أيام وقعن عليه حقيقة وصابة الاثنين على جهان فامر  
بالغائبي ورد للحال الى صاحبته . وبعث الى فرغاته فامر بهدم بيت النار كاران شاه<sup>(٢)</sup> وامر ان  
يكون حماد ووردان من خاصته باعطيه تصرف لها وان يقيها في قصر بين داخل الجبوس  
مثل شرquam . وامر بعقد كتاب ضراغم على جهان وافهم عليه نهائاً شقي  
ولام ذلك بقتل ضراغم الانعام الى اصحابه وابلغ جهان ما اصاب الاثنين وان اخليقته  
أمر ان تعود تركة ابيها اليها بلا وصابة فقررت ولكن ساءها ما اصاب الاثنين ليس  
غيره عليه ولكن كبير العقل يأسف لما يلحق البشر من الاذى وان كانوا يتحققونه فاما  
استخفوه للضعف في فطرتهم هم غير مغيرين ليبر

## الفصل السادس والستون

اما سامان فقد تركناه في السجن لا يكترث به احد الا ورдан كان يتردد عليه من  
حين الى آخر ويسأله عن حاله على سبيل التهكم والتشني . وكان ضراغم في شاغل عنه حق  
اذا لفظوا من امر الاثنين احب ان يطلق سراح سامان كمهما وفضلأً فقال وردان «اذا

(١) ابن الأثير ٢٢١ ج ٦ (٢) السعدى ٢٦١ ج ٩

اطلاقه فكانك سجيني مكانه ويهمني في الدرجة الاولى ان اسأله بعض الاسئلة وامع جوابه عليها لاني رأيت منه اموراً لا تصدر عن البشر «

قال « نسأل جهان من رأوها في ذلك » قال « افضل »

فلاق جهان وسأله عن اخيها فقالت « لا ادرى ... ولينك لم تساي عنه لاني احب ان انساء » قال « هو في السجن الان فما الذي تریدين ان تفعل به »

فاطرقت حيناً ثم قالت « احب ان ان تطلقه ولكنني في شوق الى مسر لا يزال مكتوماً عني — اريد ان اطلع على سبب غضب والدك عليه ثم نرى ما يكون »

خذل كسرى آخر قد طال الشياطنه الى معرفته وهو حقيقة تسبه فغم ان يستطلع والدته عنه بعد الفراغ من مسر سامان

وأنس باستقدام سامان من السجن الى منزله في جلسة حضرها غلام والدته وجهان

رواقونه وحمد ووردان وهيلانة وجعلوا معاً كنهه يبتية

دخل سامان دخول غريب تبعده الكلاب ووقف وقف مجرم يقاف العتاب وقد شوهد خلقه كان لما طبعت على صيغتها دناءاته ونقائصه . وكان رث السربال زاده المزال ذلاً حق اذا توسيط الدار وقف معنفي العنق بيمول يصره في الجالسين . فلما رأى ياقونة ظهرت عليه البينة فالتفت الى جهان واجهش فسبقه الى البكاء، وقد حز عليها ان تراه واقفاً هنا الموقف رغم ما ارتتكه في حقها من السيناثات . ولم يبق احد من الحاضرين الا رق لذاك المظاهر الا ووردان فانه لم تأخذه عليه شفقة وكان هو اول المتكلمين فقال « لا يخف يا سامان لمن دعك طحاكه على جريمة من جرائمك فانها لا تتفق الى محاكه ولا نعرف عقاباً يبيها ولكنني رأيت في سيرتك ما ادهشك من تقبلك في الایداء قفين اث ثائم على الاثنين لانه حرمك من الميراث تستعين عليه بالصاحب فاذ انت تستعين على هذا بذلك ثم بذلك على هذا واغرب من ذلك انك غدرت بأختك هذه وهي كلملائكة خلقها خلائقه وواطأت عليها الفسق اهل الأرض وهي مخطوبة وقد وقفت بك وعوات عليك في الفرار الى خطيبها . فرضيت ان توُخذ غدرًا وتتحمل قسراً الى ذلك اللدين زعم اهل القضاة . ولم تكن لتنازل على عملك جزاءً افضل مما قد تناوله لو جئت بها الى سامراً . ومع ذلك لم تقبل من بابك غير الخزي . وبعد ان كنت تصيره خلائقه ويحيط باسمار حصونه الى عدوه . وواطأت الاثنين على اخوك وعلى خطيبها . عرفت في الناس اشراراً يرتكبون افظاعاً مما ارتتكه في سبيل فرض يعوقونه ويعرفه الناس واما انت فما عرفنا لك غرداً ... »

وكان سامان يسمع قول وردان وهو ينطaher بالا طراق وعيشه لم تنتقال عن ياقوته وان لم يظهر ذلك العاضر بن لشدة الحول . فلما فرغ وردان من كلامه ظهر الجلد في وجه سامان وقال « تألي عن اسباب لست اعلم بها منك . ارتكبت فظائع لم يعرف الناس الا طرقاً منها ولو مثلت عن اسبابها لم استطع جوابها . واما اعرف اني كنت ارتكب الخطأ ثم ابادر الى اصلاحه بخطاً اعظم منه كان اعمالي سلسلة غلطات والمدعة على الغلطة الاولى » قال ذلك وتغير وجهه وغضّ بر يقه وقليل فابتدره وردان قائلاً « ما هي تلك الغلطة »

قال « هي الغلطة التي اغضبت والدي وجررت علي هذه المصائب »

فقالت جهان « قل يا سامان اني اكثير الحاضرين شوقاً لمعونة تلك الغلطة »

خول بصره الى ياقوته واطال النظر اليها وعيشه ترتعشان ثم اندلعت الرعشة الى اطرافه حتى اصطكت ركباه وكاد يسقط فلعله شراغم ذلك منه فقال له « اجلس يا سامان وتكلم » وقد استغربوا يغزيره وطول نظاره الى ياقوته حتى تولاها التجلج وحولت يصرها عنه . فجلس سامان جائياً وجعل رأسه بين كفيه واخذ في البكاء بصوت عال يدخله شريق كثير حتى كاد يختنق فانكر القوم بكاءه لاول وعلمه وحملوه على الحيلة ثم ما ليثروا ان تحققوا صدقه فصبروا عليه حتى فرغ من بكائه وهم ينظرون بضمهم الى بعض . واذا سامان نهض بعنة وزراري عند قدمي ياقوته واوغل في البكاء فذهب القوم ولا سيما حماد ووثب اليه ليرجعه عن امرأته فلما يطعه فقال له « ما شأنك يا سامان م يسألونك عن غلطتك الاولى فاجب عليها » فصرخ قائلاً وهو يشير الى ياقوته . « هنا غلطي الاولى ... هذه هي » وعاد الى البكاء . فازداد الحاضرون دهشة وظنوا جن ولا سيما جهان فقالت « قل يا سامان . صرح فقد حيرتنا ... ما هي غلطتك ياقوته »

قال « بل هي غلطتي تقسها ... وما هي ياقوته واما هي شهرزاد »

فلما قال ذلك صاحت آياتاب ام شراغم « شهرزاد ! شهرزاد هي شهرزاد ! ؟ »

وكان جالساً بالقرب منها فضحتها الى صدرها وقالت « قد تنسى ريمك منذ لستك ليلة الاولى ثم صاحت « جهان حبيبتي الا تعرفين شهرزاد ؟ »

فبلغت جهان واعملت فكرتها وقالت « لا اعرف واحدة بهذا الاسم الا اخنا لي

مائت طفلة قبل ان اولد »

فقالت آياتاب هي هي اخنك لم تكون مائت بل خاعت ... واما قالوا ذلك تلطفوا وترضا

ولم يكن يعرف هذا السر الا انا ووالدك سامان هذا وكان ضياعها على يده ولم يحضره

سواء وكان قد خرج بشهر زاد الى البساتين وهي حلقة تكاد لا تستطيع الشيء . فلما عاد سأله ابوالثغر عن اخته فبكتا وزعم ان فرساً من افراس التخاسين اخْطَلَها منه — لات في تركستان جماعة يربون الخيل على الخامسة ويمرّدونها اخطاف الاطفال بأسنانها فيلختط الفرس الطفل بأسنانه ويطير به الى منزل صاحبه — ولم يصدق والدك ما قاله سامان وغضب عليه من ذلك الحين وشاعوا لها مات

وكانت اذناب تحكم والجحيم سكوت كان على رؤوسهم الطير . فلما فرغت اكبت جهان على ياقونة وضعتها وطلقت قبليها وياقونة اشد فرحاً من الجميع لأنها كانت تحسب نفسها بآجرية فإذا هي بنت المرزبان . فقبلت اختها وياقونة لا تزال مائدة والكل يقولون « لم تكن هذه المشاهدة بين الاختين عن عبث واخذوا يتسللون ومم يحسبون انفسهم في حلم فنالت جهان « الفرع يا سامان .. قل كيف أخلت شهر زاد منك »

فاجابها وهو يصح دموعه « أثبتت لوجودي وأنا في نحو العاشرة من العمر وأحتك هذه في نحو الرابعة ورأيت ابوينا يحبانها كثيراً ويدلانها ويرملانني فدب» الحسد في قلبي فصررت اظهر الكره لاختي وما يزيدانني حسداً بتبينها عني بالهدايا والتلذذ . وكتت اذا طابت قعوداً من ابي لم يعطي وأنا ارى القعود مع اختي او حاضتها . وسمعت ذات يوم ان اناساً يطوفون البلاد يشترون الاطفال بالدنارين فهافتت الخاصة واحتلت شهر زاد الى البساتين فرأيتهم مارين فيها لهم بدئارين وعدت وساروا هم في طريقهم . ولما سلّث عنها قلت لها خطفت مني فلم يصدق والدي . واتبه بعد ذلك التي يحبها وبعث من يفتح ويعتّج بلا فائدة . فكرهني من ذلك الحين وهدىني بالحرمان من ماله فصررت أرى كل الناس اعداني وتوهنت ان كل حركة يأنونها اهلاً بريديون بها تكابق او اذاته فأصبحت ولاهم لي الا كسب المال لاستعين به عليهم . واول سعي بذلك في هذا السبيل اتي حاولت نفع والدي من كتابة الوصية فتشات فاردت اصلاح هذا التشلل فوتفت في نسل آخر وهكذا كما تعلمون . ولم ادرك هذه الحقيقة الا وانا في السجن منذ يومين » قال ذلك وتتنفس الصعداء ثم عاد الى اقام الحديث وقد زاد وجهه امتناعاً وبدت الرعدة في اطرافه والاضطراب في عينيه وقال « وقد تأخذكم الشفاعة عليٍّ بعد ما يسلطكم قاعدوه اني لا اثق عنكم لان من كانت حياته سلسلة فظائع لا يجوز ان تذهب بغير القتل » قال ذلك واستل من جيوبه خنجراً طعن به صدره وسقط يتختط بدمه

فضج الحضور وايتمدت النساء عن هذا النظر وقد اسفوا على موت سامان بعد ان ايقنوا بيته فترجواعليه واصروا يذفنه . وكانت جهان اكثرهم حزنًا عليه

## الفصل السابع والستون

### نسب ضرغام

وكان الجماع في أشلاء ذلك يتحدثون بما علموا من القراءات الجديدة اذ سين لهم ان يأتونه اخت جهان وقد اقتسمتا الميراث، وابسح حاد وضر ظالم ليسين وقد كانوا حظوة في عيني المتعصم وتم لهم كل ما يبيرونه الا ضرغاماً بقي في خاطره شيء لا يحب الاطلاع عليه فاختل بوالده يوماً وقال لها « ألم بين الوقت لكشف حقيقة نبى؟ ما الذي تستطري به بعد الذي رأيته من لهم المولى؟ »

قالت « لا انتظر شيئاً ولكنك مع ذلك لم تقل ما انت اهل له »

فقال « تمنين ان والدي كان اعزّ جاباً وارفع مقاماً معي؟ »

قالت « لم »

قال « فهو اذن من كبار الفواد او الوزراء، واداً سمع ذلك فلا يعقل ان يكون خيراً مكتوماً عن الناس »

قالت « انه فوق ما ذكرت »

فيهـت ثم قال « لم يسبق الا ان يكون من اشراف قريش او بني هاشم او بني ابي طالب »

قالت « انه اشرف من ذلك كثيراً »

فاطرق وأعمل فكريه في ما تنبئه امه فلم يبق الا ان يكون ابوه الخليفة وهم ان يأسأها عن ذلك نفجل واسك نفسه وظل ساكتاً وهي تنتظر سؤاله فلما استطاعت أنه

قالت « لم لا ثم استئنك يا ضرغام »

قال « يخجليني ان اقول ما في خاطري »

قالت « لا تخجل ان تسأل اذا كان ابوك الخليفة فانه كذلك »

فأيقـل وقال « ابي الخليفة؟ + كيف يمكن ذلك + ان المتعصم يشارعني سناً فلا يمكن ان يكون هو الراـد ولا الأمـون ولا الأمـين »

قالت « ان هؤلاء اخواتك »

فقال وقد اخذته الدعـة فانا اذا ابن الرشـيد !

قالت « نعم يا ولداء وهذه اول مرة تلتفت بهذه الحقيقة بعد مرور الاعوام الطوال »

قال « أليس في الدنيا احد سواك يعرفها »

قال « كلام »

قال « وما معنى كلها كل هذا الزمن الطويل والناس يفخرون بالاتجاه الى اتباع  
الخلفاء فكيف الى الخلفاء انفسهم »

قالت « لذاك سبب مغقول وهو اني كنت من جلة جواري الرشيد في قصره ببغداد  
وكان يستألهنني ويعيني حقـ كـانت الـبلـةـ الـتيـ قـاتـ فـيـهاـ باـختـهـ الـعبـاسـةـ وـيـعـيـفـ الـبرـمـكـيـ وـابـنـهـماـ  
الـلـسـنـ وـالـحـلـيـنـ (١)ـ وـقـدـ بـالـغـ فـيـ التـكـمـ حـقـ قـتـلـ كـلـ مـنـ اـسـتـخـدـهـ فـيـ ذـاكـ الفتـكـ +ـ قـلـ  
يـكـ أـحـدـ مـنـ اـهـلـ القـصـرـ يـجـسـرـ عـلـىـ اـخـرـوجـ مـنـ حـجـرـهـ مـعـ اـهـمـ مـطـلـمـونـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ  
وـهـمـ يـسـيـدـونـ +ـ الاـ اـنـ قـدـ حـدـتـيـ طـيـشـيـ لـصـنـرـ سـقـ يـوـمـ ثـانـ اـنـ اـخـرـجـ لـارـىـ وـاسـعـ فـوـقـتـ  
مـوـقـاـ ظـلـنـتـ نـفـيـ خـبـثـةـ فـيـهـ لـاـ يـرـأـيـ اـحـدـ فـسـمـتـ حـدـيـثـ لـاـرـشـيدـ رـحـهـ اـهـ مـعـ زـوـجـهـ  
زـيـدـ بـشـأـنـ اـخـتـهـ وـاشـيـاءـ اـخـرـىـ +ـ وـاـنـ فـيـ ذـاكـ رـأـيـتـ زـيـدـةـ تـسـمـاـ مـتـبـةـ نـحـويـ وـهـيـ قـوـلـ  
« يـاـ هـرـونـ اـنـ جـوـارـيـكـ يـسـمـعـ حـدـيـثـاـ »ـ فـوـقـ الـرـعـبـ فـيـ قـلـيـ وـإـقـتـ الـيـ مـنـتـرـةـ  
لـاـ مـخـالـةـ قـلـمـ تـعـدـ رـكـبـتـايـ تـحـمـلـانـيـ مـنـ الرـعـشـةـ +ـ ثـمـ سـمـتـ الرـشـيدـ يـرـعـدـ بـصـوـتـهـ مـنـ النـضـبـ  
وـيـقـولـ « مـنـ هـذـاـ »ـ وـاـمـ سـرـورـآـ فـلـمـلـيـ الـبـهـ قـلـمـارـآـنـيـ اـنـظـرـ الـاـسـفـ عـلـيـ »ـ لـاـنـ قـتـلـ  
لـاـ مـنـاسـ مـنـهـ +ـ قـلـمـارـآـ دـمـوعـيـ رـفـقـيـ وـلـكـنـ كـانـ شـدـيدـاـ فـيـ غـرـشـهـ فـاطـرـقـ لـحـظـةـ ثـمـ  
قـالـ « يـاـ حـيـيـةـ (ـوـهـنـاـ كـانـ اـسـمـيـ عـنـهـ)ـ قـدـ سـمـيـتـ اـلـيـ حـتـفـكـ بـظـلـفـكـ وـيـسـوـفـيـ اـنـ تـقـتـلـ  
وـلـكـنـ لـاـ بـدـ مـنـ قـتـلـ »ـ

فـتـرـأـيـتـ عـنـ قـدـمـيـ وـبـكـيـتـ وـغـلـتـ رـجـالـيـ بـدـمـوعـيـ وـكـنـتـ يـوـمـ ثـانـ حـامـلاـ بـكـ قـتـلـ  
« اـشـفـقـ عـلـىـ صـبـاـيـ بـلـ اـشـفـقـ عـلـىـ هـنـاـجـيـنـ »ـ

فـوـجـ وـتـرـاجـعـ ثـمـ قـالـ « اـعـفـوـ عـنـ جـيـاتـكـ وـلـكـنـيـ لـاـ اـقـدرـ اـنـ اـرـاـكـ وـلـاـ اـسـعـ  
اـسـمـكـ »ـ وـمـاـدـيـ مـسـرـورـآـ قـالـ قـاسـمـ اـنـ يـجـهـزـ فـيـ بـالـالـ وـيـدـبـرـ نـقلـ اـلـيـ الـبـلـدـ الـذـيـ اـخـتـارـهـ  
فـاخـتـرـتـ فـرـغـانـةـ لـاـنـ اـعـرـفـهـاـ مـنـ قـبـلـ ثـمـ قـالـ لـيـ « اـحـذـريـ اـنـ تـقـوـيـ بـكـلـمـةـ اوـتـذـكـرـيـ  
سـابـقـ عـهـدـكـ فـيـ هـذـاـ قـصـرـ اوـ اـنـ تـنـتـيـعـنـ اـلـيـ »ـ وـاـذـاـ وـضـمـتـ غـلـامـاـ فـاـكـتـيـ لـبـهـ عـنـهـ  
وـاـذـاـ خـالـفـتـ ماـ اـقـولـ عـادـ ذـاكـ بـالـوـالـ عـلـيـهـ +ـ وـلـوـ عـلـمـتـ قـيـدـةـ بـاـيـ اـبـيـ اـبـيـ عـلـيـكـ  
لـاـ لـحـتـ عـلـيـ »ـ بـقـتـلـكـ »ـ وـصـرـقـيـ شـرـجـتـ مـعـ مـسـرـورـ فـيـ الـيـلـ الدـامـسـ اـلـيـ خـارـجـ بـهـدـادـ وـقـدـ

(١) اـتـرـأـ رـوـاـيـةـ الـبـلـةـ اـخـتـ الرـشـيدـ

اعذ لي الاحوال واوسي المكارى بي ودفع اليه مالاً وجواهر تكفيني اعواماً وودعني  
 قضيت في الطريق مدة طولية ولدتك في اثناءها • واخيراً وصلت الى فرغانة فافت فيها  
 وعرفت المرزبان وعائلته وطلبي اناس لازواج فايت وانقطعت لزيتك والا كانت سرك  
 وانت تطلب الحبى الى العراق وانا اخلك • • ولامات الرشيد مازلت خاشة من زبده  
 حق اذا مات هان علي الحبى • ورضيت بسفرك الى العراق كا علمت «  
 وكانت آذاب نتكلم وضرخام يتعالو يمنقه للسباع وقد اخذته الدحثة • فلما فرغت  
 قال لها «فانا اذا اخوه المتهم»

قالت «نعم اناك اخوه فاذا علم هو بذلك زادك تقريراً •  
 فهز رأسه هز الانكار وقال «كلا • ان هذا السر يحب ان يبقى مكتوماً يتناقله  
 يطلع عليه المتهم فتحول عبشه الى حذر وكيد • ويكتفي بي اني عرفت حقيقة نسي ولا  
 ارى فائدة من كشفه لان الناس لا يصدقوننا • ونحمد الله انا نانا من العم والرثب  
 فوق ما كنا نتمناه • وان وجود جهان في منزلتي لمعة كافية احمد الله عليها وارجو ان  
 يطول بقاياك »

فواقتته والده على الكهان وهانوا بعد ذلك بزغدر وهناء حتى تشتت شمام وباقي  
 السر مكتوماً الى الأبد

( ثمت الرواية )

